وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية
قسم اللغة العربية وآدابها

الأسلوبيّة البنيويّة منهجاً تفسيرياً

(الميزان للطباطبائي مثالاً)

أُطروحة مقدَّمة إلى مجلس كليّة العلوم الإسلاميّة – جامعة كربلاء

وهي جزءٌ من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها/

لغة القرآن وآدابها/ أدب

كُتِبَتْ من قبل الطالب

كرّار جواد كاظم المَفْرِجِيّ

بإشراف

أ.د. أمجد حميد الفاضل

1445هـ كربلاء 2024م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

صدق الله العلي العظيم

﴿ آل عمران 7 ﴾

ترشيح اطروحة للطبع

نظرا لإنجاز مباحث وفصول الاطروحة الموسومة بـ (الأسلوبية البنيوية منهجا تفسيريا – الميزان للطباطبائي مثالا–) لطالب الدكتوراه (كرار جواد كاظم علوان) فإني أرشحها للطبع

التوقيع

المشرف الاستاذ الدكتور امجد حميد الفاضل رئيس قسم اللغة العربية

مكان العمل العلوم الإسلامية

التأريخ ٢٢-٣-٢٠٢٤

إقــرار المشــرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ **(الأسلوبية البنيويّة منهجًا تفسيريًا _ الميزان للطباطبائي مثالًا_)** والمقدّمة من قبل الطالب **(كرّار جواد كاظم)** جرت تحت إشرافي في كلية العلوم الاسلامية/ جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في لغة القرآن وآدابها.

التوقيع:

المشرف: أ.د. أمجد حميد الفاضل

التاريخ: ٩/ ٦/ ٢٠٢٤

بناء على التوصيات المتوافرة، أرشح هذه الأطروحة للمناقشة:

التوقيع:

الاسم: أ.د. أمجد حميد الفاضل

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

التاريخ: ١٩/ ٦/ ٢٠٢٤

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أنّنا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ (**الاسلوبية البنيوية منهجًا تفسيريًا – الميزان للطباطبائي مثالاً**) وناقشنا الطالب(**كرار جواد كاظم علوان**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنّها جديرة بالقبول بتقدير (امتياز) لنيل شهادة الدكتوراه؛ فلسفة في لغة القرآن وآدابها.

أ.د. إيمان مطر مهدي السلطاني

جامعة الكوفة/ كلية التربية للبنات

عضوًا

٢٠٢٤/٦/٢٣

أ.د. حازم فاضل محمد

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

رئيسًا

٢٠٢٤/٦/٢٣

أ.م.د. علي حسون شلاكه

جامعة بابل/ كلية العلوم الإسلامية

عضوًا

أ.د. علي محمد ياسين

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضوًا

٢٠٢٤/٦/٢٣

أ.د. صفاء حسين لطيف

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضوًا

٢٠٢٤/٦/٢٣

أ.د. امجد حميد الفاضل

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضوًا ومشرفًا

٠٩٤-٢٦-٦-٢٣

صُدِّقت في جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

التوقيع :

الاسم: أ.د. محمد حسين عبود الطائي

التاريخ: ٢٠٢٤/٦/٢٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإهداء

إلى من لا يعرفُه إلا اللهُ ورسولُه

(عليٌّ بنُ أبي طالبٍ) (عليه السلام)

كرّار جواد كاظم

الشكر والعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) (لقمان: 12) (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا) (الكهف: 1) فإني أحمد الله حمدا كثيرا طيبا يملأ السماوات والأرض، وأشكره قبل كلّ شيء كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أشكره كما ينبغي لجزيل فضله وعظيم إحسانه، على ما أنعم به علي من إتمام اطروحتي المتواضعة، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبي الرحمة للعالمين، وعلى الخبير بالرحمن من علمه البيان الإمام الناصر لمحمد، الشاهد على صدق رسالته، ومن عنده علم الكتاب، شكرا وافيا، والشكر لولي الأمر الإمام المنتظر صاحب العصر وليك وابن وليك، ثمّ إنّه لا يسعني إلّا أن أشيد بالفضل وأقر بالمعروف لكل من ساهم في إنجاز هذه الأطروحة وأخص بالذكر أمي وأبي وزوجتي وعائلتي من إخوة وأخوات وأبنائي لما تجشموا من عناء صبر وتضرع دعاء فشكرا لهم بحجم دفئهم وحبهم وصبرهم، وأستاذي المشرف على ما خصني به من التوجيه والتصويب وما علمني من فيض إنسانيته وخلقه الرفيع وإلى كل من كانت له أنفاس عون وأنامل مشاركة وأخص منهم أستاذي المفضال الدكتور حازم البارز لما تفضل علي به من تيسير لعقبه النشر العلمي فشكرا بحجم عطائه الشكر والامتنان إلى أخوتي وأصدقائي وزملائي الدكتور عقيل فاضل زكي، والدكتور سلام سلمان حسين، والدكتور علي جعفر حسن؛ لما بذلوه معي من جهد في إتمام هذه الدراسة والشكر كلّ الشكر للباحثين اللذين أعاناني برفدهما إياي بالمصادر الباحث عمار جواد الورّاد، والباحثة وئام عبادي كاظم والشكر أيضا موصول لأصدقائي وزملائي وإخوتي وأساتيذ القسم وعمادة كلية العلوم الإسلامية والحمد أولا وآخرا.

خلاصة

إن لكل دراسة هدف، وهدف دراستنا أن نتوقف عند منهج جديد يتعامل مع النص القرآني بتفسيره اياه والوقوف على دلالاته ومقاصده التي يمكن ان يُتَوصل إليها من طريق ذلك المنهج بآلياته التي يتبعها، ورب سائل يسال عن المراد من عنوان الدراسة وهو الاسلوبية البنيوية منهجا تفسيريا؟ فحتى نقف على ملامح المنهج ومظاهره وتطوراته وما آلَ إليه هذا المنهج والى أي زمن كان يعود، ذهبنا الى تتبع ملامحه في التراث العربي من تفسير وعلوم قران وبلاغة ونقد، من ثم ذهبنا الى دراسة تطوره حتى أصبح مظهرا عند اصحاب الجهود التقليدية وتتبعنا تطوره، ذاهبين الى المجددة من الدارسين في النص القرآني، ثم نضجت تلك المظاهر وتحول الى منهج فعلي للدراسة عند المحدثين فما كان عند القدامى والمقلدة من قارئ عمدة خارج النص أو يستعان به من قبل الكاتب صار الآن عند المحدثين القارئ العمدة هو الكاتب نفسه، وهذا يعد تطورا في المنهج وتتبعا للأفكار، وحتى يكون المنهج ذا وضوح كامل لابد من ان يكون هنالك مثال لهذا المنهج متكامل يستوعبه بكل مفاصله وآلياته وأسسه لذا كان انضج هذه التجارب واكملها وفق المنهج الاسلوبي البنيوي هو كتاب الميزان للطباطبائي رحمه الله لذا كانت تتمة العنوان هو الميزان للطباطبائي مثالا، ما أود قوله أن الجزء الاول من الدراسة أو من العنوان يعنى بتنظير الدراسة والتثبت من المنهج وآلياته وطرق التعامل به مع النصوص وتتبع صوره واشكاله وكيف ظهرت له ملامح منذ القدم عند الكُتّاب والبلاغيين والمفسرين والمشتغلين على علوم القران ثم تطورت هذه الملامح وتكاملت بعض الشيء لتصبح مظاهر واضحة بين طيات كتب الدارسين الى أن وصل غاية تطوره فاصبح منهجا عند المحدثين والمجددة، ولعل سائل يسال لماذا كان مثال هذه الدراسة الميزان ولم يكن غيره وهل أن غير الميزان من كتب التفاسير الحديثة كان هذا المنهج يشكل

جزءا منه؟ للإجابة على هذا السؤال نقول نعم كثير من التفاسير الحديثة التي تعاملت مع النص القرآني كانت مشتملة على آليات الاسلوبية البنيوية، إلا أن الميزان محل دراستنا او محل مثالنا في الدراسة كان انضج هذه التجارب واقربها، بل واكثرها تطبيقا بإتقان لآليات الاسلوبية البنيوية لا سيما في العرفان النظري الا ان الفارق بين الاسلوبية البنيوية التي جاء بها ريفاتير والمنهج الذي عمل عليه صاحب الميزان هي المنظومة المصطلحية لكليهما فما اطلق عليه ريفاتير بالأسلوبية البنيوية اطلق عليه صاحب الميزان بلسان السورة أو جو السورة وما اطلق عليه صاحب الاسلوبية البنيوية بمقاييس اللغة اطلق عليه صاحب الميزان لسان الآية ثم ما اراد به من فكرة القارئ العمدة عند ريفاتير جاءت عند صاحب الميزان تحت مصطلح اقول والى مظاهره والياته الاخرى فلكل مصطلح ولكل فكرة عند كليهما مصطلح وعلى هذا يكون كتاب الميزان هو أقرب الكتب أو المتون لمنهج الاسلوبية البنيوية.

الدراسات الأسلوبية الحديثة حظيت باهتمام كبير من الدارسين علوم البلاغة والنقد وعلوم اللغة، إلا أن الوقوف عند اتجاهات الأسلوبية وما يمكن الإفادة منها لا ليس قليلاً إلا أنّه لم يأخذ من السعة ما أخذه غيره من الدراسات، فضلا عن أن الأسلوبية البنيويّة من المناهج التي لها أثر كبير في قراءة النصوص والوقوف عند مدلولاتها، ولعله أبرز من درس ووضع آليّات للأسلوبية البنيويّة كان جاكوبسون، وجاء بعده ريفاتير، وربَّ سائل يسأل لماذا توقف الباحث عند أسلوبية ريفاتير متغاضيا عمّا جاء به جاكوبسون؟ إنّ أسلوبية البنيويّة التي جاء بها جاكوبسون تخوض غمار اللغة أكثر مما تلج بحور الأدب، هي تعمل على وفق آليات اللغة وما تفضيه تلك الآليات من دلالات، أما ما جاء به ريفاتير من أدبيّة الأدب والعمل على مفصليات النص للوقوف على الدلالة فقد كان يتواءم وما يصبو إليه الباحث من الوقوف على أسس هذا المنهج.

ثبت المحتويات

العنوان	الصفحة
المقدّمة	أ- هـ
التمهيد. منهج الأسلوبيّة البنيويّة وتفسير الميزان	44-1
المبحث الاول. منهج الأسلوبيّة البنيويّة في قراءة النص وتأويله	18-2
المبحث الثاني. المصادر المنهجية لتفسير الميزان	30-19
المبحث الثالث. العرفان النظري والأسلوبيّة البنيويّة	44-31
الفصل الأول. ملامح الأسلوبية البنيوية في التراث البلاغي والنقدي والتفسيري القديم	113-45
المبحث الأول. في كتب البلاغة والنقد القديم	75-48
المبحث الثاني. في كتب علوم القرآن	95-76
المبحث الثالث. في كتب التفسير	113-96
الفصل الثاني. مظاهر منهج الأسلوبيّة البنيويّة في التفسير العربي الحديث	169-114
المبحث الأول. الجهود التقليدية	133-117
المبحث الثاني. الجهود المجددة	152-134
المبحث الثالث. الجهود الحداثوية	169-153
الفصل الثالث. تطبيقات منهج الأسلوبية البنيويّة في تفسير الميزان	227-170
المبحث الأول. حاكمية السياق	186-172

المبحث الثاني. هيمنة القارئ العمدة	198-187
المبحث الثالث. فاعلية المحور الخارجي والداخلي	213-199
المبحث الرابع. فاعلية الدلالة ومقاييسها	227-214
النتائج	230-228
المصادر والمراجع	246-231
الملخص انكليزي	A -B

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد نبيه الأمين والسلام على أمير المؤمنين وسيد الوصيين.

وبعد..

فإنّ الدراسات الأسلوبية الحديثة حظيت بعناية كبيرة من دارسي علوم البلاغة والنقد وعلوم اللغة، إلا أن الوقوف عند اتجاهات الأسلوبية وما يمكن الإفادة منها ليس قليلاً إلا أنّه لم يأخذ من السعة ما أخذه غيره من الدراسات، فضلا عن أن الأسلوبية البنيويّة من المناهج التي لها أثر كبير في قراءة النصوص والوقوف عند مدلولاتها، ولعله أبرز من درس ووضع آليّات للأسلوبية البنيويّة كان جاكوبسون، و جاء بعده ريفاتير، ورب سائل يسأل لماذا توقف الباحث عند أسلوبية ريفاتير متغاضيا عمّا جاء به جاكوبسون؟ إنّ الأسلوبية البنيويّة التي جاء بها جاكوبسون تخوض غمار اللغة أكثر مما تلج بحور الأدب، هي تعمل على وفق آليات اللغة وما تفضيه تلك الآليات من دلالات، أما ما جاء به ريفاتير من أدبيّة الأدب في كتابه (مقالات في الأسلوبية البنيوية) الذي ألّفه عام 1971م، والعمل على مفصليات النص للوقوف على الدلالة، فقد كان يتواءم وما يصبو إليه الباحث من الوقوف على أسس هذا المنهج، ولعل سائل يسأل مرّة أخرى، ما الواعز خلف الوقوف على كتاب الميزان الذي انتهى من تأليفه عام 1954م ليكون مثالا لهذه الدراسة؟ كما مرّتْ الدراسة بين طياتها من البحث في التراث ثم إلى المجددة ثم إلى الحداثيين من المشتغلين على النص القرآني وأظهرت ملامح ومظاهر الأسلوبية البنيويّة فيها لذا كان من انضج التجارب وأكثرها تطابقا بل أكثرها تمثيلا للمنهج الأسلوبي البنيوي هو تفسير الميزان؛ لاشتغاله على النص على وفق السياق ومستويات اللغة أو مقاييس اللغة كما أسماها ريفاتير، فضلا عن تحكيم القارئ العمدة في استنباط المعاني،

والخوض في النص ذاته من طريق تفسير القرآن بالقرآن كما صرح صاحب الميزان، ولعل ذلك يأخذنا إلى أنّه جاء بمنهج لتفسير القرآن لم يقف عنده أحد من الدارسين من قبل، ويزعم الباحث انه أول من وقف عند هذا المنهج وهو منهج (الأسلوبية البنيويّة)، إلّا أنّ المنظومة المصطلحية اختلفت بين صاحب الميزان وريفاتير، فما أسماه ريفاتير بالقارئ العمدة صرح به صاحب الميزان بقوله: (أقول)، وما أسماه ريفاتير بالأسلوبية البنيويّة جاء عند صاحب الميزان تحت عنوان (لسان الآية)، وكانت آلياته هي آليات العرفان النظري من إضفاء معنى للفظ على وفق عقيدة آمن بها صاحب النص ولعل الباحث لا يجانب الصواب إن قال: أنّ صاحب الميزان قد سبق إلى منهج الأسلوبية البنيويّة ووضع آلياته والعمل عليها والوقوف عند دلالات الآيات والسور قبل ريفاتير، إلّا أنّ المنظومة المصطلحيّة اختلفتْ بين كليهما وما أعان الباحث في أنّ يقف على كل ذلك هو اختياره لآلية عمل تمكن من طريقها أن يحيط وَلو بالنزر اليسير بهذا المنهج الحديث في قراءة النص القرآني وتأويله.

ربّ سائل يسأل ما الذي أعان الباحث في أن يسبر أغوار مثل هذا الموضوع، وما المنهج الذي اتّبعه في هذه الدراسة؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة نقول: إنّ ما أعان الكاتب في كشف خفايا النصوص والولوج إلى مداليلها هو اعتماد المنهجين التحليلي والوصفي واللذين لا يخفيان على كلّ دارس ما لهما من مساس كبير مثل هذه الموضوعات، فضلا عن التتبع التاريخي والاتكاء على آليات اتجاه نقد النقد في الوقوف على المقاصد المرادة من النصوص، والتعامل معها من وجهة نظر نقدية خالصة.

إنّ من الدراسات التي سبقت هذه الدراسة هو كتاب (الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، للدكتور عدنان حسين قاسم) إلّا أنّ صاحب هذا الكتاب قد افترق عن دراستنا بأنّه اتخذ من الشعر والنثر متناً لدراسته، أمّا ما عمدنا إليه في دراستنا فقد ذهبنا إلى جوانب عديدة منها ما كان بلاغيا ومنها ما كان تفسيريا ومنها

ما كان في مجال علوم القرآن وذهبنا إلى قديمها، وحديثها، وجديدها، ومجددها، فضلا عن أن متن دراستنا من أكثر الكتب الحديثة التي تعاملت مع النص القرآني بسعة كبيرة على وفق آليات منهج الأسلوبية البنيويّة لذا تكون دراستنا بلغت من السعة ما لم يبلغه صاحب هذا الكتاب، ولا نزعم أنّنا بلغنا الكمال في هذه الدراسة إلا أنّنا أظهرنا ما لصاحب الميزان من أحقية في سبقه إلى هذا المنهج وبيان اختلاف المنظومة المصطلحية بينه وبين ريفاتير ما أخفى مجهوده ولم يُتَوَقَّف عنده، ونسأل الله أن قد بيّنا بعض ما لهذه الشخصية أي (محمد حسين الطباطبائي) من منزلة فاضلة في العلم وجهود منمازة في اتخاذ منهجٍ بهذا النضج وهذه التجربة الكبيرة حتى بلغ غاية البلوغ في إنتاجه لتفسير الميزان بهذه المنهجية الفذّة.

جاء البحث مقسما على ثلاثة فصول، سبقها تمهيد قسّم على ثلاثة مباحث؛ جاء في الأوّل منها الأسلوبية البنيويّة في قراءة النص وتأويله، والثاني المصادر المنهجية لتفسير الميزان، والثالث العرفان النظري والأسلوبية البنيويّة. وجاء الفصل الأوّل حاملا لعنوان: ملامح الأسلوبية البنيويّة في التراث البلاغي العربي والنقدي والتفسير القديم، وقسّم على ثلاثة مباحث، المبحث الأوّل: في كتب البلاغة والنقد، والمبحث الثاني في كتب علوم القرآن والحديث، والمبحث الثالث في كتب التفسير، ثم يطالعنا الفصل الثاني معنونا بـ مظاهر منهج الأسلوبية البنيويّة في التفسير العربي الحديث، وهو على ثلاثة مباحث أيضا أوّلها: الجهود التقليديّة، والثاني الجهود المجددة، وثالثها: الجهود الحداثوية، من بعد ذلك يأتي الفصل الثالث بعنوان تطبيقات منهج الأسلوبية البنيويّة في تفسير الميزان، وهو على أربعة مباحث؛ حمل أوّلها عنوان: حاكميّة السياق، وثانيها: هيمنة القارئ العمدة، وثالثها فاعليّة المحور الداخلي والخارجي، ورابعها الأخير: فاعلية الدلالة ومقاييسها، وختمت الدراسة بنتائجها وقائمة مصادرها ومراجعها، ولعل أصعب ما مرّ على الدراسة شحة مصادرها المتعرضة للأسلوبية البنيويّة في النص القرآني، ولا أدعي كمالا فيها.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر من كان له الفضل الأوّل في أن خرج هذا العمل إلى النور وأبصر الحقيقة وهو أستاذي ومشرفي الدكتور أمجد حميد الفاضل مقبلا يد إرشاده ونصحه وإنارته طريق بحثي بكل ما أعانني به من جهد فـ(شكرا).

التمهيد

منهج الأسلوبية البنيويّة

وتفسير الميزان

المبحث الأوّل منهج

الأسلوبية البنيويّة في قراءة النص وتأويله

لا بد من الوقوف عند ملامح هذا المنهج أي منهج الأسلوبية البنيويّة، ومظاهره في التراث العربي التفسيري القديم وبيان أهم هذه الملامح في كتب النقد والبلاغة وعلوم الحديث وتفاسير القرآن الكريم؛ لكونها الميدان الرحب لهذا المنهج ومن ثُمّ اكتمال الرؤية في الفصل الثاني إذ تحول مجموع هذه الملامح إلى مظاهر أسلوبية بنيوية في جهود ثلاثة من المستويات التي تعاملت مع النص القرآني كذلك حتى بانت ملامح هذا المنهج في هذا الفصل لذا جاءت تسميته مظاهر منهج الأسلوبية البنيويّة في التفسير العربي الحديث متخذا المبحث الأوّل جهود علماء التفسير التقليدية المنحصرة بين القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين، من ثم الذهاب إلى الجهود المُجَدّدة من أمثال: محمد عبدة وسيد قطب وحسن البنا الخ...، وختاما الجهود الحداثوية التي انمازتْ عن سابقتها في التعامل مع دلالات النص القرآني لذا ومما مرّ ذكره سيكون العمل في هذا الفصل هو تثبيت واكتمال هذا المنهج عن طريق بيان:

أولًا- تعامله مع النص وتأويله.

ثانيًا- البحث في المتن المختار للدراسة عن مفصليات هذا المنهج.

ثالثًا- البواعث والمصادر المنهجية التي أوصلت صاحب الميزان في اتباع منهج الأسلوبية البنيويّة.

وعلى ما مرّ ذكره لابد من التعرّف الموجز على الأسلوبية التي هي "ثنائية تكاملية من مواضعات التفكير الألسني، وقد أحكم استغلالها علميا سوسير، وتتمثل في تفكيك مفهوم الظاهرة الألسنية إلى واقعين، أو النقل إلى ظاهرتين وجوديتين؛ ظاهرة اللغة، وظاهرة العبارة، وقد اعتمد كل الألسنيين بعد سوسير هذا الثنائي فحاولوا تركيزه في التحليل، وتدقيقه بمصطلحات تتلون بسمات اتجاهاتهم

الألسنية"[1]، وكذلك عبر ستيفن أولمان عن الأسلوبية بأنها "موازية للسانيات نفسها، وتعنى الأسلوبية بالقوة التعبيرية الموجودة في العناصر اللسانية، فهي تعنى بالمستوى الصوتي، والمستوى المعجمي، والمستوى النحوي"[2]، ومن ثمّ لابد من التعرف على الأسلوبية البنيويّة التي كان للماركسية تأثير في ظهورها، وبما أنّ المجتمع الأوربي كان فيه كثير من الصراعات الأيدولوجية التي ظهر بريقها في هذا المجتمع، عندما كانت الماركسية هي صاحبة السيادة في ذلك الوقت، فظهور البنيويّة كان بمثابة تخليص لذلك المجتمع من الصراعات الايدولوجية التي كانت مسيطرة عليه، ولكنّها أعلنت نهاية هذه الأيدولوجيات[3]، وأخذت مآخذها في تلك الحقبة، فقد كانت ثلاثية البنيويّة الفرنسية التي كانت مطبقة على الواقع ذات تأثير في الفكر بذلك الوقت، إذ كانت بمثابة تحقيق لحلم عالم اللغة السويسري سوسير الذي كان له دور في صياغة تصنيفات عملت على تشكيل بداية النقد البنيوي، إذ كان لأفكاره دورٌ فاعلٌ في تكوين البنيويّة واتجاهاتها، فقد عبر سوسير بقوله: "...أنّ اللغة ليست مجموعةً حسابيةً للعبارات التي تفوه بها قسم من الناس، بل إنها شيء آخر يربطهم جميعا في إطار منتظم، فهي نظام من الدلائل موجود في أدمغة الجمهور يمارس عند اللفظ لدى جماعة من الأشخاص المنتمين إلى مجموعة واحدة...، فهي ليست تامة عند فرد بمفرده ولا وجود لها على الوجه الأكمل إلا عند الجمهور"[4]، وما زلنا في خوض

(1) الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، وتونس، 1977: 34.

(2) علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، صلاح فضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1985: 138.

(3) ينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، محمّد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط 2، 1997: 32.

(4) دروس في الألسنية العامة، فرناندو ديسوسير، ترجمة: صالح الفرماوي وآخرون، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985: 3.

غمار تجربة دي سوسير إذ إنّ أفكاره أصبحت راسخة في وصف البنيويّة اللغوية التي تضمنت ما يأتي:

1. أصبحت اللغة نظاما اجتماعيا يرتكز إلى بديهيات ذات أيقونة خاصة اتفق عليها أبناء المجتمع الواحد[1].
2. عمل على دراسة اللغة من طريق العناصر التكوينية الخاصة بها، ما أدى إلى اقترانها من زاويتين هما، وصف البنية اللغوية وتطورها تاريخيا[2].
3. بيّن أنّ الكلمات ليستْ برموز مع ما نرمز له؛ بل هي علاقات مركبة بين طرفين، الأوّل الإشارة التي أطلق عليها بالدال، والثاني المدلول وهو ما نميّزه ونستوعبه من تلك الإشارة[3].
4. اعتباطية الرمز الذي كان يجمع بين الدال والمدلول[4].

وقد تحدث عنها بعض الدارسين وعرفوها من منطلقين أو تركيبين؛ أحدهما نحوي، والآخر بلاغي؛ لكي تسمو إلى أعلى مستويات الجمال الفني من طريق "وحدته وانسجامه الداخلي وهذا يتفق مع مفهوم الأسلوب المبني على أساس لسانيات النص التي تعد الأسلوب طريقة لبناء النص"[5]، ونتيجة للتطورات التي وجدَتْها الدراسات الحديثة في النقد واللسانيات، ودراسة النصوص، وكيفية العمل في توظيف المصطلحات التي لها ارتباط كبير بالتحليل الادبي؛ ظهر مصطلح يعد اتجاها نقديا جديدا وهو البنيويّة؛ فهي "تسعى إلى تحليل الأسلوب من طريق التركيب

(1) ينظر: النقد البنيوي بين لبنان وأوربا، فؤاد أبو منصور، دار الجبل بيروت، 1985: 46.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 46.

(3) ينظر: أدبية النص، صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2002 : 202. وينظر: في معرفة النص، يمنى العيد، دار الآداب، بيروت، ط4، 1999: 49.

(4) ينظر: النقد البنيوي بين لبنان وأوربا: 36.

(5) الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد، 1: 190.

اللغوي للخطاب، فتحدد العلاقات التركيبية للعناصر اللغوية في تتابعها ومماثلتها، وذلك بالإشارة إلى الفروق التي تتولد في سياق الوقائع الأسلوبية ووظائفها في الخطاب الأدبي"[1]، فقد عنى جولدمان بدراسة تعمل على كشف بنية النص الأدبي عن الدرجة التي يجسد بها النص بنية الفكر أو رؤيا العالم عند طبقة أو مجموعة اجتماعية ينتمي إليها الكاتب، وعلى أساس أنّه كلما اقترب النص اقتراباً دقيقاً من التعبير الكامل المتجانس عن رؤيا العالم عند طبقة اجتماعية، يصبح أعظم تلاحم في صفاته الفنية[2]، وبذا فإنه ليس لديه عناية كثيرة بتحليل النص المروي والعمل على تبيان خصائصه، بل يركز عناية على متابعة الوعي التاريخي الذي ينبعث منه، وهذا ما وضحه جمال شحيد من ربط هذين الكتابين بكتاب نظري ثالث هو "التاريخ والوعي الطبقي" الذي ركز جولدمان عبر هذه الكتب على رؤيا لوكاش، إذ وجد فيها جماليات ثلاثة ألا وهي الشكل والبنية والشمولية؛ إذ يرى تدرجاً مرّ به لوكاش وانتقل فيه من التأثير الهيكلي إلى التأثير الماركسي المادي، وكثيرا ما يستعمل جولدمان تسمية "البنية الدلالية "ليدل على مفهومي الشكل" في كتابه الروح والأشكال "والشمولية" (في كتابه التاريخ والوعي الطبقي) والبنية الدلالية لدى جولدمان هي ركن من أركان البنيويّة التكوينية"[3]. فالأسلوبية البنيويّة تعمل على دراسة التركيب اللغوي للخطاب، وتعمل على تحليل الفروق التي تتكون في سياق الوقائع من طريق الإشارة التركيبية للعناصر اللغوية في الخطاب "والقراءة البنيويّة تقدم قراءة متكاملة للنص الأدبي، بحيث يمكن تحليله تحليلا شاملا منتظما، فالنص الأدبي بنية تشكل

(1) المصدر السابق: 89.

(2) ينظر: تأصيل النص المنهج البنيوي لدى لوسيان جولدمان، محمّد خشفة، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1997: 40.

(3) في البنيوية التركيبية، دراسة في منهج لو سيان جولدمان، جمال شحيد، دار ابن رشد بيروت،1982: 75.

جوهرا قائما بذاته ذا علاقات داخلية متبادلة بين عناصره وليس النص الأدبي نتاجا بسيطا من العناصر المكونة، بل هو بنية متكاملة تحكم العلاقات بين عناصرها قوانين خاصة بها، وتعتمد صفة كلّ عنصر من العناصر على بنية الكل"[1]، أي إنّها تبحث عن العناصر المكونة للنص ونوع تلك العلاقة التي تربط بين تلك العناصر حتى يبلغ النص أدبيته.

أهم المصادر التي نشأت منها البنيويّة:

1. الشكلانيون الروس التي تعد أهم مصادر البنيويّة، إذ ظهرت في روسيا التي حثت على العناية بقراءة النص من الداخل أي عمق النص، فالأدب من وجهة نظرها نظام ألسني ذا وسائط إشارية (سيميولوجية) للواقع، مستبعدين علاقة الأدب بالأفكار ذات الفلسفة والمجتمع والتاريخ.
2. النقد الجديد الذي يعد ثاني مصدر للبنيويّة ظهر في أربعينييات القرن العشرين وخمسينياته في أمريكا إذ كانت وجهة نظر أعلامه أنّ الشعر هو نوع من الرياضيات الفنية ولا حاجة لهم بالمضمون، والأهم عندهم هو القالب الشعري وبنظرهم أن لا هدف للشعر سوى ذاته[2].
3. المصدر الثالث هو علم اللسانيات الحديث، وهذا المصدر يتقاطع مع الشكلانية الروسية ويعد رائد الألسنية دي سوسير بسبب (ألسنية دي سوسير) ويعد هذا المصدر من أهم مصادر البنيويّة وعلى الرغم من أنّه لم يذكر البنية في اتجاهاته البنيويّة نجد أنّ الاتجاهات البنيويّة خرجت من الألسنية والذي عمل على التمهيد لظهور استقلال النص الادبي[3].

---

(1) الأسلوبية منهجا نقديا، محمّد عزام: 110.

(2) ينظر: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثي، محمّد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003: 13.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 13.

4. حلقة براغ، وتعد المصدر الرابع في نشأة البنيويّة وهي عبارة عن حلقة دراسية مكونة من مجموعة من علماء اللغة ومؤسسها هو نفسه مؤسس المدرسة الشكلية الروسية "جاكبسون" الذي تنقَّل بين روسيا وبراغ والسويد والولايات المتحدة الأمريكية، فكان أينما حلَّ بشَّر بآرائه، وكان له دَور فعَّال في نشر الوعي بالنظرية الجديدة وترسيخها في أوساط المثقفين، ومن هنا التقط علماء حلقة براغ مشعل الدراسات اللغوية الحديثة الذي صبَّ سوسير زَيْتَه ونسجتْ الشكلية خيوطه، وأخذوا يتحدَّثون بشكل صريح متماسك عن بنائية اللغة[1]، ونلحظ أنّ البنيويّة قد تكونت من مجموعة من البنيويات وليس بنيويّة واحدة وكلّ بنية اختص بها عدد من الشخصيات؛ فالبنيويّة اللسانية من روادها دوسوسور، مارتينه، هلمسليف، جاكسبون، هاريس، هوكيت، بلومفيلد، البنيويّة السردية Narratologie من روّادها رولان بارت، كلود بريمون، جيرار جنيت البنيويّة الأسلوبية stylistique من روّادها ريفاتير، ليو سبيتزر، ماروزو، بيير غيرو، بنيويّة الشعر من روّادها جان كوهن/ مولينو، جوليا كريستيفا ولوتمان، البنيويّة الدراماتورجية أو المسرحية Dramaturgie من روّادها هيلبو، البنيويّة السينمائية من روادها كريستيان ميتز، البنيويّة السيميوطيقية من روادها غريماس وفيليب هامون وجوزيف كورتيس، البنيويّة النفسية من روّادها جاك لاكان وشارل مورون، البنيويّة الأنتروبولوجية خاصة أهم روّادها كلود ليڤي شتراوس الفرنسي، فلاديمير بروب الروسي.

البنيويّة الفلسفية من روادها جان بياجيه، ميشيل فوكو، جاك دريدا ولوي ألتوسير[2].

---

(1) ينظر: النقد البنيوي، الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص، محمّد بالقاسم، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009: 50.

(2) ينظر بنيوية موسوعة عارف، مقالة [wiki] https:3arf.org 3 arf .org.

وللأسلوبية البنيويّة مهمة انمازت بها، إذ أنّها تعمل على اكتشاف القوانين التي ترتب الظواهر الأساسية في الخطاب الأدبي ففي منظورها أنّ النص يعمل على تشكيل بنية قائمة بذاتها مكونة من علاقات داخلية موجودة بين عناصره كل له قوانينه الخاصة، وأشهر من يعنى بهذه الدراسات الأسلوبية رومان جاكبسون، ميشال ريفاتير ويخضع المنهج البنيوي عند كثير من النقاد الأسلوبيين البنيويين إلى مقاييس أربعة وهي:

- دلالة أساسية معجمية.
- دلالة صرفية.
- دلالة سياقية موقعية.
- دلالة نحوية.

فالبنيويّة لديهم عبارة عن نظام لغوي يعبر عما في داخله، إذ "تكتسب اللغة بهذا العمل الفني قيمتها الجمالية والابداعية بخروجها عن دائرة التقريرية إلى لغة إيحائية، وهذه الإيحائية هي التي تجعل النص غير منتهٍ، انطلاقا من هذا البعد الذي يحدد أدبية النص راح البنيويون ينظرون إلى النص بصفته لغة خاصة داخل اللغة العامة، ووجهوا نقدهم إلى اكتشاف القوانين الداخلية للنص"[1]، ونلحظ إنّ الأسلوبية البنيويّة قد بان بريقها في الدراسات اللغوية، إذ ظهر لمعانها في أروع صوره بما جاء به دي سوسير والتي عملت فارقا بينها وبين الأحكام القيمية والنظرة الجزئية فإن "المفارقة الهائلة التي أقامها سوسير بين المنهج التاريخي المقارن والمنهج الوصفي الآني، تعد تحولا أساسيا في الدراسات اللغوية وعلامة مميزة في التفكير البنيوي الذي دعا إليه، وإسهاما جادا في تأصيل الحركة الأسلوبية"[2]، وبما أنّ الأسلوب عند

(1) الأسلوبية وتحليل الخطاب، 1: 94.

(2) الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع، مدينة مصر،1421: 33.

ريفاتير يعد قوة ضاغطة تعمل على جذب القارئ في إظهار عنصر الكلام إذ عبر عنها أنّها قوة جذب فإذا ابتعد عنها القارئ أصبح النص غير وافٍ، وإذا قام بتحليلها ظهرت له أبعاد ذات دلالات مميزة وبهذا يكون الكلام هو المعبر والأسلوب هو الذي يعمل على إبراز النص[1]، ونلحظ أنّ من القواعد الثابتة للمعنى لدى البنيويين التي قام بتدعيمهما سوسير هي "بأن المعنى يستمد من وضع "الفونيم" و"المورفيم" إلى جانب الكلمة للحصول على دلالة جديدة"[2]، التي أخذت صدى واسعا لدى البنيويين، ومن القضايا التي اعطاها البنيويون عناية هي قضية السياق؛ فالسياق له بصمة مهمة في تحديد الوظيفة اللغوية، وريفاتير يفرق بين معنى السياق في منظوره والمعنى الجاري للغة "فالسياق الأسلوبي يختلف عن السياق اللغوي من جهة أنه يقوم على الترابط والتتابع وليس دوره ضبط المعنى وبيانه أو الإضافة إليه"[3]، ومما للحدث من أهمية فإنّه يقوم عند ريفاتير" على عنصر السياق وكذا عنصر التضاد القاطع لنسقه العادي إذ يكوّن السياق بنية لغوية يقطع نسقها عنصر غير متوقع وعن التضاد في بنية الكلام"[4]، ومن العوامل المهمة التي ركز عليها ريفاتير في تفهم النص والعمل على استقرائه، الذوق والعبقرية؛ لما لهما من تأثير واضح في المتلقي وإثارة تكهناته الداخلية وأعطى ريفاتير القارئ دورا فعالا ومنمازًا للإسهام في كشف الوقائع الأسلوبية المرتبطة بعملية التلقي وتحديدها انطلاقا من قوله: (لا دخان

(1) ينظر: الأسلوبية، مجلة كلية الآداب د محمود جاد الرب، العدد الخامس، جامعة المنصورة، 1984: 262.

(2) بنيوية جاكبسون التأسيس والاستدراك، تأليف ليونارد جاكسون، ترجمة إبراهيم خليل، عمان نزوى العدد رقم عشرة، 1997: 97.

(3) الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، حمادي صمود، تح: توفيق بكار، الدار التونسية للنشر، ط1، 1988م: 169.

(4) المصدر نفسه: 149.

من دون نار) فهو يعمل على تداخل الضمني بالعلن، أي جهات الكلام نتيجة لأشياء مثيرة متواجدة في النص، ويعد ريفاتير من الذين جددوا في التنظير الأسلوبي في مقالاته التي تم نشرها في بداية الستينيات ثم انهيت وجمعت في أوائل السبعينيات من القرن الماضي في كتابه (مقالات في الأسلوبية البنيويّة) (Essais de stylistique structurale)[1]، إذ أعطى ريفاتير الأسلوب أهمية كبيرة في تكوين النص البنيوي، وفي الأسلوب ينقل نظر المتلقي إلى الأسلوب والمنهج الذي جاء به الكاتب موضحا ذلك في حديثه عن القارئ العمدة "إن استجابة القارئ العمدة لا تعني الباحث الأسلوبي كاستجابات قيمة بل أنّ أحكامه بالاستحسان أو عدمه يجب إسقاطها من الحساب وإنّما تنحصر فائدته في تعيين الوقائع الأسلوبية لا تفسيرها، ويبقى التفسير مهمة الباحث الأسلوبي نفسه ونجاحه في التفسير موقوف على ادراكه للبنية الأساسية للنص"[2]، فهو يوضح بان القارئ العمدة لابد أن تكون لديه قدرة أدبية رصينة ويحمل ذوقا جماليا واسعا يكون مسندا على أسس ثقافية رصينة تجعل منه قارئا حذقا وله القدرة على الغوص في غمار النص، فنلحظ أنّ ريفاتير يعمل على استهداف البنى الأسلوبية؛ لكونها تشتمل على أبعاد دلالية ذات ظواهر مرتكزة على بنى ممكن دراستها في ذاتها "إنّ المهمة في اكتشاف القوانين التي تنظم الظواهر الأساسية في الخطاب الأدبي"[3]، فالقارئ العمدة لديه مجموعة الاستجابات الظاهرية تُجاه النص، فيحصل عليها المحلل من طريق عدد من القراء، ويعمل على تحليل النص ويقوم تحليله بعد رصده هذه الاستجابات في مرحلتين:

(1) ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمّد عبد المطلب، طبعة مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط2، 1994: 175.

(2) اتجاهات البحث الأسلوبي، شكري محمّد عياد، دار العلوم، جدة، السعودية، ط1: 16.

(3) الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السيد، 1: 89.

أولًا. مرحلة الوصف:

وعبر عنها ريفاتير بمرحلة اكتشاف الظواهر وتوضيحها وتعيينها، وتعطي للقارئ المجال لمعرفة وجوه الاختلاف بين بنية النص والبنية النموذج التي تقوم في حسّه اللغوي.

ثانيًا. مرحلة التأويل:

تعطي للقارئ المجال في سبر أغوار النص وتفكيكه على نحو تترابط فيه الأمور وتتداعى ثم تعود لتتكامل في صورة دلالة مختلفة بحسب ما يعطي القارئ للبنى اللغوية المتميّزة[1]، وإنّ ما يشد العناصر المكونة إلى مركز واحد هي الدلالة الكلية لنظام البنية" فقد عبر عنها البنيويون بتصويرهم بأن البنيويّة أشبه ما تكون بأسلاك عجلة الدراجة التي ترتبط جميعها بنقطة رئيسة في مرتكز دائرية، فإن النص الشعري ينماز بأن فيه بؤرا أخرى تختلف من حيث أهميتها، فإذا كان العنصر ذا هيمنة وقوة فاعلية فإنّه يصنع دائرة خاصة، ولكن الدوائر تنتمي إلى المحيط الذي يشملها جميعا"[2]، ويعبر البنيويون عن تركيزهم على شخصية الكاتب والظروف التي تحيط به وما تسعفه هذه الظروف من كتابات تعطي للقارئ مساحة في استنباط الأفكار داخل النص التي ولدها والتي تكون للكاتب فيه نظرة جوهرية مختلفة عن النظرة التي تصورها القارئ للنص؛ فالقارئ له دلالاته الخاصة التي تتولد من طريق قراءته للنص؛ لما له من تجارب يخوضها في الحياة ومن طريق تلك القراءة ربما يرضى القارئ عن النص لما يجد فيه ما يحقق الصورة الواضحة لطموحاته أو ربما العكس.

---

(1) ينظر: الأسلوبية، مفاهيمها وتجلياتها، موسى ربابعة: 17.

(2) الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، د. عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع : 200.

وهذا ما سعى إليه ريفاتير من طريق جعل فعل التلقي معيارا لتحديد الوقائع الأسلوبية في القول الأدبي، فالأذواق إذا كانت متغيرة وكان لكل قارئ أحكامه المسبقة الخاصة، فهذا يكون واضحا عندئذ في تحويل ردود الفعل الذاتية إلى أداة موضوعية للتحليل[1].

وعبر ريفاتير عن القارئ بأنّه "يجلي الأسلوب بفعل الأثر الذي يتركه، فالأسلوب يستأثر بانتباه القارئ واهتمامه عبر ما يفضيه في سلسلة الكلام، والقارئ يستجيب بدوره للأسلوب فيضيف إليه في نفسه من طريق رد الفعل الذي يحدثه فيه"[2]، ونلحظ تداخل الأسلوبية في البنيويّة ذلك لأن الأسلوبية تولدت من الفكر اللغويّ والأدبيّ السابق للحركة البنيويّة، متأثرة بالاتجاهات نفسها التي كان لها نصيب في نشأتها خاصة كان أوّل من أسس للأسلوبية تشارل بالي الذي كان عناية واسعة بالمظهر اللغوي للأسلوب، مرتكزا على الجانب العاطفي في تكوين الأساليب اللغوية وتشكيلها [3]، وعلى الرغم من أن الأسلوب هو المنطلق الذي تتولد من طريقه الأسلوبية البنيويّة فقد تكونت مجموعة من التعريفات للأسلوبية البنيويّة، ومنها تعريف يستند على النموذج التواصلي وترجع الأسلوب إلى المرسل مثلما عمل دي بوقون معبرا عن الأسلوب بقوله: إنّ الأسلوب هو الرجل، ومن هذا فإنها تعيد الطابع الشخصي في الأسلوب الكتابي والأثر الشخصي الذي يظهر من طريق كتابته المنمازة، وفي إطار تلك المجموعات إذ أصبح الأسلوب اختيارا لغويا من أحد

(1) ينظر: الدلالات الأسلوبية البنيوية بين عبد القاهر الجرجاني وميكائيل ريفاتير، طاطة بن قرماز، 1 أبريل 2014، 66.

(2) الأسلوبية عند ريفاتير، طارق البكري، مجلة الموقف الأدبي، عدد، 402 تشرين أول 2004م، نسخة إلكترونية من موقع اتحاد الكتاب العرب.org.dam-awu.w.

(3) ينظر: الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي، محيي الدين محسب، علوم اللغة، العدد 2، 1998م: 76.

الاختيارات والبدائل، وهذه البدائل هي التي تعمل على تمييز صاحب الأسلوب وتركز على خواصه.

نلمح في تعريفات أخرى مختصة في نشأة الأسلوبية البنيويّة التي تعمل على إعادة الأسلوب إلى المتلقي مع العمل على الربط بين النص والكاتب وتكون بؤرة التركيز منصبة على القارئ لكونه الأكثر قدرة على تمييز الخواص الأسلوبية الموجودة في النص وإدراكها، وهو القادر على اكتشاف انحرافاتها والوظائف التي تترك الأثر الواضح في النص، ومن طريق هذا يظهر القارئ النموذجي الذي ذكره ريفاتير الذي يكون ردّ فعله بمثابة حدود لمعالم الأسلوبية البنيويّة في النص[1]، ومن طريق ما تقدم نلحظ أنّ الأسلوبية البنيويّة "لا تهتمّ بالعناصر اللغوية داخل النص الأدبي فقط، إنّما تبحث عن مدى كثافتها، وانسيابها في النص الأدبيّ"[2]، ويبرهن هذا أنّ الأسلوبية البنيويّة تعمل على الاستطلاع في كيفية وضع البنى الخاصة في القانون الدلالي الذي يعمل على التحكم بأدبية النص؛ للكشف عن القوى التي تؤثر في اختيار طرق مختلفة في تشكيل الوعي الخاص بالملامح التي تعمل على تجاوز النص "وبهذا تفصح عن وجوه جذب طرق انتظام هذه البنى على وجه دون آخر، توخيا للاستقطاب التي تمارس سلطتها على المتلقي، وتكشف مزاياهاَ الجمالية التي تتمتع بها الكلمات وترجع أدبية الأدب لما به من فضاءات ورصف أسلوبي"[3]، إذ تعمل على كشف الهيكل البنائي الذي تتمركز فيه الكلمات التي يتركز عليها الأساس الذي تقتضيه تجليات الدلالة، وهكذا "ينظم النص الأدبي المفردات بحسب جماليتها

(1) ينظر: الأسلوبية، www.uobabylon.edu.iq.

(2) "الأسلوبية وطرق قراءة النص الأدبي"، دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمر العنبر، محمّد عواد، (2014)، العدد 2، المجلد 41: 441.

(3) المناهج الأسلوبية والنظريات النصية، عبد الله العنبر، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد: 34، ملحق: 4، 2016: 1815.

ويفرض عليها سياقه الخاص، فإن تنفصل عن معانيها الأصلية الأولى وتبتعد عنها مسافة قد تضيق أو تتسع، وفي هذه المسافة التي يحررها الهاجس الجمالي تفقد المعاني حدودها الصارمة وتتداخل ببعضها ويتأثر بعضها ببعضها الآخر فتتولد معان جديدة وتتعدد إمكاناتها"[1]، وكيفما يكون تنظيم الأديب للنص لابد له أنّ ينظم اللغة التي يتعامل معها ويجعل لها "بناءً مفروضا على الأديب من الخارج والأسلوب مجموعة من الإمكانات تحققها اللغة، ويستغل أكبر قدر منها الكاتب الناجح صانع الجمال الماهر الذي لا يهمه تأدية المعنى وحسب، بل ينبغي إيصال المعنى بأوضح السبل فإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب وانعدم أحسنها وأجملها، ومعه الأسلوب"[2].

من هذا كله يتبين أنّ الأسلوبية تميل إلى قراءة النص الأدبي وإظهار القانون الدلالي الذي تأخذ منه البنى دلالاتها من طريق تنظيمها على وفق المجال الذي يقتضيه الإبداع، وتروم بيان لعبة التكثيف الدلالي عن الملامح المائزة التي تكسب البنى غايتها الأدبية بـ"اعتبار الأسلوب قوة ضاغطة يسلطها المتكلم على المتلقي إذ يسلبه حرية التصرف إزاء هذه القوة، فكأنّ الأسلوب أصبح بمثابة قائد لفظي للمتلقي، هذه القوة الضاغطة تتمثل فيها عملية الإقناع بوسائلها العقلية التي من طريقها يسلم المتلقي قيادته للفكرة الموجهة إليه، كما تتمثل فيها عملية الإمتاع التي تلون الكلام بكثير من المواصفات العاطفية الوجدانية، إذ تكون هناك مزاوجة بين الجانب الإقناعي والجانب الإمتاعي. كما تتمثل عملية الإثارة التي بها يوقف المبدع المشاعر التي فيها لإحلال انفعالات كانت مختزنة عند المتلقي أو يجمدها تمهيدا

(1) الاستعارة في النقد الأدبي، أبو العدوس، عمان: الأهلية، ط1، 1997 : 85.

(2) الألسنيةّ العربية، طحان، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1981، 2: 116-117.

جديدة، مسببة عن الطاقة الفكرية والعاطفية الموجهة إليه"[1]، إذ أخذ التركيز على المتلقي ذا الفطنة وإعطائه المجال لتكوين الاستقراء الإبداعي الذي يعمل على استظهار خفايا الإبداع المكنونة في النّص التي تعمل في النهوض باستجلاء وتوضيح الظواهر الأسلوبية المكنونة الخفية في النصّ، ولتحقيق السير في جماليات النص لابد من توفير عنصر السياق الأسلوبي أو السياق الفني واستثماره الذي يعد عنصرا أساسيا ومهما في تشكيل الظاهرة الأسلوبية، من جانب تمثيله للخصوصية الإبداعية الخاصة بمؤلف دون آخر في تنسيقه للكلام تنسيقا منظما، ويعنى أيضا" في العمل بالاجتهاد من المتلقي من أجل التوصل إلى تحديد وتميز العلامات المشفرة في النّصّ الأدبي، وإعطاء الأهمية للقارئ المتحكّم في مهارة الاستقراء وكيفية مراعاة كلّ كلمة على وفق مرجعياتها اللغوية المعجمية"[2]، وبهذا فإنّ الخطاب الإبداعي ينماز باشتماله على خيوط تواصلية إخبارية تعمل على ايصاله مرتبا كلًّا بحسب طبيعة مؤانسة يريدها المنشئ ويحتاجها، إذ ينمو هذا التعزيز التواصلي بين السامع أو القارئ وبين المنشئ للنص حتى تصل إلى الانسجام الادبي؛ لأنهم يلتقون في نقطة واحدة وهي التفهم، فالانسجام الانفعالي بين هذه الأطراف يكون بمثابة الأداة المساعدة التي تعمل على توضيح آليات الخطاب الفني، وقد تبدو التوقعات البلاغية، أو الإيقاعية التي تعمل على تغليف بلاغة الخطاب التي تكون بمثابة مثيرات تناسب المعطيات البنائية التي تعمل على تسهيل المهمة للمتلقي في الانغماس في داخلية النص، فالقارئ يعمل على جلب المعاني عن طريق تأويل النص ومحاولاته الواسعة من أجل كشف النية التي

(1) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، عبد المطلب، الشركة العربية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1995: 173.

(2) ينظر: [مقالات عن البنية الأسلوبية، عرض وترجمة دانيال في فلاماريون باريسر: 61/36]، نقلا عن: الدلالات الأسلوبية البنيوية بين عبد القاهر الجرجاني وميكائيل ريفاتير، طاطة بن قرماز.

كتب بها الكاتب[1]، ونلحظ أنّ ريفاتير أخذ يسعى إلى استعمال "فعل التلقي بجعله معيارا لتحديد الوقائع الأسلوبية في القول الأدبي، فالأذواق إذا كانت متغيرة وكان لكلّ قارئ أحكامه المسبقة الخاصة فإنّ المشكلة تتبيّن عندئذ في تحويل ردود الفعل الذاتية إلى أداة موضوعية للتحليل"[2]، وقد أعطى ريفاتير القارئ النموذجي أهمية وميزات متمثلة بالفطنة التي يمتلكها والثقافة الأدبية التي تكون كفيلة بإعطائه قيمة أدبية تمكنه من تحليل النصوص، ويكون مؤهلا للعمل في تقييم النصوص إذ نلحظ أن ريفاتير ركز على عبقرية القارئ وذوقه إذ يكونان بمثابة وسيلة مهمة يستعين بها القارئ في تأويلاته للنص[3]، وربما الفطنة التي ذكرها ريفاتير "هي الفطنة البلاغية التي أشاد بها عبد القاهر الجرجاني التي ينبغي توافرها في المتلقي المتميز، ونعتقد أنّ هذا القارئ لا بدّ من أن تتوافر لديه مصداقية أدبية يكون بها شريكا لنتائج حياة الخطاب.. فاستمرار التأثيرات الأسلوبية عبر الزّمن وتلقي الشعر في كلّ لحظة يتوقفان تماما على القارئ"[4]، وقد يكون الاستعداد الذي يكمن في نفس المتلقي هو الواعز الحاسم في الإجراء لذلك عدّ القارئ محورا للدراسات الأسلوبية "فريفاتير صاحب رصيد كبير من الآراء بشأن القراءة إذ طالب المتلقي بفكّ شفرة النّصّ، حين دعا الكاتب لتشفير نصّه ..."[5].

(1) ينظر: التأويل والتأويل المفرط، أمبرتو ايكو، ترجمة ناصر الحلواني، مركز الانماء الحضاري، حلب – سورية: 33.

(2) ينظر: مقالات عن البنية الأسلوبية، عرض وترجمة دانيال في فلاماريون باريسر: 42.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 47.

(4) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، النادي الثقافي، بجدة، ط3: 248.

(5) محمّد المبارك، استقبال النصّ عند العرب ط:1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1999: 88.

ولقد أشار ريفاتير إلى معرفة المفارقة الناتجة عن ضرورة إدراك عنصر نصّي متوقّع تابع لعنصر غير متوقّع، فعبر عن الأوّل غير الموسوم بالسياق الأصغر، وعبّر عن الثاني بالموسوم وهو السياق الأكبر والذي عمل به ضمن استجابة الطبع البلاغي عند ريفاتير[1]، قائلا "بأسلوبية السياق Contexte stylistique والسياق الأسلوبي في نظره ليس مركبا لأنّه لا يعتمد على سياق من الأفعال التي تحدّ من وضع مفاهيم عديدة لمصطلح واحد، وإنّما يرتكز السياق الأسلوبي على الجانب اللساني من طريق تلك الوحدة التي تفصل المعنى عن الآخر من تموقعه الرئيس في التركيب، فالقيمة الأسلوبية للسياق تكمن في نظام العلاقات الموجودة بين الوحدات اللسانية بحيث لا يكون أي أثر أسلوبي إلاّ من طريق ما ينتجه تركيب الوحدات بأسلوب آخر، السياق الأسلوبي هو تلك المقابلات الوظيفية في اللّغة والتي تؤسّس بنية لغوية محتملة"[2].

(1) ينظر: البلاغة والأسلوبية: 65.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 58.

المبحث الثاني

المصادر المنهجية لتفسير الميزان

إنّ جعل الهدف نصب العين والسير باتجاهه بخطوات واثقة فضلا عن المرور بمعتركات الحياة الصعبة يكسب الإنسان إمكانات واصرارا على بلوغ الهدف والغاية، فإن نظرت إلى حياة السيد الطباطبائي، وما مر به تجد أنّ كثرة الترحال والتنقل بين الأمصار وسعيه خلف العلم مكنّه إلى أن يسبر أغوار شتى العلوم منها علوم الفلسفة والاخلاق، وقد افنى عمره في تحصيل العلوم وتدريسها، وكانت له مواهب تفرد بها وامتلك قدرات فكرية استثنائية خاصة به توّلد عنها كثير من المعارف والكتب والتي كان منها كتابة الميزان، إذ وظّف تلك المهارات لخدمة العلم وترك بصمة واضحة، السيد الخامنئي في حق هذه الشخصية الفذة: "كان مجموعة من المعارف والثقافة الإسلامية، كان فقيها حكيما عارفا بالتراث الفلسفي الشرقي والغربي، كان مفسرا للقرآن ومطلعا على العلوم الإسلامية، أي العلوم المأخوذة من الإسلام: الأصول والكلام والأدب والنجوم والهيأة والرياضيات وبعض العلوم الأخرى"[1]، ولو تأملت الكلام المار ذكره تجد أن الطباطبائي قد أحاط بالمناهج الفلسفية "لم يكن يخرج عن دائرة البرهان في الأبحاث الفلسفية، ولم يخلط بين المسائل الفلسفية والمسائل الشهودية والعرفانية والذوقية"[2]، كان له ذائقة فنية وبحثية في العلوم جميعها " كان السيد الطباطبائي مفكرا كبيرا وكان لتفكيره أبعاد مختلفة، في التفسير والفلسفة كما في العرفان والأخلاق، وبلغ القمّة في دراسة العرفان النظري، ولكنّه ضمّ إليه العرفان العملي بتهذيب النفس والتقوى، فكان جامعا بين العلم والعمل، فقد كان ضليعا بالعلوم النظرية في الوقت نفسه الذي كان حريصاً على مراقبة نفسه

(1) سيرة العلّامة الطباطبائي، بقلم كبار العلماء والأعلام، بيروت، دار الهادي، ط1، 2000 م: 6.

(2) علوم القرآن آية الله السيد محمّد حسين الطباطبائي "دراسة مقارنة "، الشيخ عارف هنديجاني فرد جمعية القرآن الكريم، لبنان بيروت 2013 : 5.

وتربية طلاّبه"[1]، كان لتفسيره المنهجي أثر بيّن "فقد اعتمد منهج تفسير الآيات بالآيات، فجعل أساس تفكيره رفع إبهام القرآن بالقرآن، وقد صرّح أن هذا الأسلوب هو أسلوب أستاذه الميرزا علي القاضي، وكان العلاّمة الطباطبائي بعدما ينتهي من تفسير الآيات يعقبها ببحوث اجتماعية وفلسفية وأخلاقية وتاريخية، وقد خدم تفسير (الميزان) الحديث، فعرض قسما من الأحاديث الواردة بشأن الآيات على القرآن الكريم وفصل الموافق على المخالف"، كان للسيد الطباطبائي أثر واضح لاحترام كثير من علماء عصره ومراجعه له ومنهم السيد البروجردي وغيره، وكان للعلاّمة الطباطبائي الأثر الواضح في الاطلاع؛ فقد اتقن اللغة الفارسية واللغة العربية ونهل من علماء مدينة تبريز المشهورين كثيرا من العلوم حتى حصل على السطوح من علماء تلك المدينة، ولما رأى الطباطبائي أن نجم مدينة النجف الاشرف قد سطع وبان بريقها ذهب إليها ونهل من معينها العلم لمدة عشر سنوات على كبار العلماء والمراجع "وقد كان للسيد علي آغا القاضي التبريزي الأثر الكبير في شخصية العلاّمة الطباطبائي وحياته الأخلاقية والفكرية والروحية، ولا سيما فيما يتعلق بالتفسير، فقد تربى على يديه في السير والسلوك والعرفان العلمي والمجاهدات النفسانية والرياضات الشرعية، فكانت تلك المدة من حياته مرحلة النضوج العلمي والفلسفي والفكري، وبذلك يكون العلاّمة الطباطبائي قد طوى أهم مرحلة فكرية وعلمية في حياته"[2]، من العلماء الذين تتلمذ عليهم الطباطبائي ونهل من علميته في الفقه والأصول "الميرزا محمد حسين النائيني العالم الجليل المدقق صاحب التنقيب والتحقيق، أصولي فقيه له الآراء السديدة في علمي الأصول والفقه، متين في الحكمة والفلسفة، لقد كان صاحب فكر ومدرسة، كما أنّه تسلَّم الزعامة والمرجعية للطائفة الشيعية، وله

(1) علوم القرآن اية الله السيد محمّد حسين: 5.

(2) المصدر نفسه: 10.

آراء ومناقشات على العلماء السابقين في علم الأصول، كتبها وسجلها تلاميذه في تقريرات لدروس أستاذهم النائيني من العلماء الذين تتلمذ عليهم الطباطبائي ونهل من علميته وأيضا من الذين تتلمذ على يدهم الفلسفة السيد حسين البادكوبي من أجلاء العلماء وأفاضل الفلاسفة، اشتهر بالفلسفة والعلوم العقلية، كان محققاً، ومن الذين تتلمذ على يدهم الطباطبائي الرياضيات السيد أبو القاسم الخوانساري وهو عالم أديب ورياضي بارع فضلا عن العديد من الفضلاء والاجلاء الذي كانوا لا يفارقونه في جلساته مع تلاميذه ذاكرا ذلك "عن سير وسلوك العرفاء الأجلاء، وخاصة عن أحوال المرحوم الآخوند الملا حسين قلي الهمداني وتلامذته المبرزين، كالسيد أحمد الكربلائي الطهراني والحاج الميرزا جواد آقا الملكي التبريزي والحاج الشيخ محمد البهاري والسيد محمد سعيد الحبوبي، وعن سيرة ونهج المرحوم ابن طاووس وبحر العلوم، وعن استاذه المرحوم القاضي رحمة الله عليهم أجمعين"[1]، الذي ترك بصمة كبيرة في شخصية الطباطبائي ومنهجيات حياته الأخلاقية والفكرية والروحية في السير والسلوك العرفاني، وكل ما يتعلق بالتفسير[2]، وكانت رحلته إلى النجف الاشرف مليئة بالعلوم والمعارف والتي انتهت بعودته إلى مسقط رأسه تبريز، فقد كان يحضر دروس الفقه والأصول والفلسفة والرياضيات وأيضا نهل السير والسلوك العلمي والعرفاني، إذ ورد إلى النجف الاشرف سنة 1344هـ، وبقي فيها حدود عشر سنوات، وتعد هذه المرحلة المهمة في حياته مرحلة النضج العلمي والفلسفي والفكري

(1) الشمس الساطعة، رسالة في ذكر العالم الرباني العلّامة السيد محمّد حسين الطباطبائي التبريزي، الحسيني الطهراني، السيد محمّد حسين، تعريب: عباس نور الدين وعبد الرحيم مبارك، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط1، 1997 م: 16.

(2) ينظر: أصول التفسير والتأويل، مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين، الحيدري، السيد كمال، دار فراقد، إيران، ط2، 2006 م: 11.

بصورة عامة[1]، وكان للمعرفة الإلهية والأخلاق وفقه الحديث أثرها الواضح في شخصيته؛ لما تتلمذه على ايدي أساتيذه الأجلاء[2]، وجنى منهم ثمار السلوك العرفاني العلمي والسير والسلوك والرياضيات الشرعية والمجاهدات النفسانية، كان الطباطبائي بارعا في الفلسفة وعمل على دراسة كثير من العلوم وأهمها على فطاحل العلماء والمراجع، إذ نهض بتلك العلوم وأبدع بها وتفوق فيها على أقرانه فأخذ من الكمال الفكري والعلمي مأخذا عظيما[3]، قد تأثر العلّامة الطباطبائي بالعارف الكبير والفقيه المقتدر، صاحب المكاشفات والكرامات الظاهرة، الحاج السيد الميرزا علي آغا التبريزي[4]، الذي يعود نسبه الشريف إلى الإمام الحسن السبط عليه السلام[5]، وقد استلهم منه الطباطبائي كثيرا من العلوم التي كان لها الأثر الواضح في شخصيته وسلوكه الفذ "وقد استلهم من أخلاقه وتعاليمه وارتياضه أعمق تجربة روحية في السير والسلوك، مضافاً إلى استلهام أسلوب تفسير القرآن بالقرآن وفقه الحديث في منهجه،

(1) ينظر: تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية، عبد الجبار الرفاعي، بيروت، دار الهادي، ط2، 2005 م: 128. نقلاً عن يادنامه مفسر كبير استاذ علامة سيد محمّد حسين طباطبائي (الفارسية) انتشارات قم.

(2) ولد السيد القاضي في الثالث عشر من شهر ذي الحجة من سنة 1282هـ، في مدينة تبريز في شمال إيران وتوفي عن عمر ثلاثة وثمانين عاما، فانتقل إلى جوار ربه (عز وجل) في السادس من شهر ربيع الأول سنة 1366هـ.

(3) ينظر: علوم القرآن اية الله السيد محمّد حسين الطباطبائي "دراسة مقارنة"، الشيخ عارف هنديجاني فرد، جمعية القرآن الكريم، لبنان _ بيروت، 2013: 12.

(4) هو السيد الميرزا علي آغا بن الميرزا حسين بن الميرزا أحمد بن الميرزا رحيم الطباطبائي التبريزي القاضي عالم مجتهد تقي ورع أخلاقي فاضل، وكان مستقيماً في سيرته كريماً في خلقه شريفاً في ذاته.

(5) طبقات أعلام الشيعة نقباء البشر في القرن الرابع عشر، القسم الرابع في الجزء الأول في أعلام القرن الرابع عشر الشيخ آغا بزرك الطهراني، دار المرتضى للنشر، مطبعة سعيد، مشهد، ط2، 1404هـ، 1: 1565.

أساتيذه المعروفين بأنهم فريدوا عصرهم في تهذيب النفس والأخلاق، والسير والسلوك، وكافة المعارف الإلهية، والواردات القلبية، والمكاشفات الغيبية السبحانية والمشاهدات العينية"[1]، وبعد مكوثه في النجف الاشرف لمدة عشر سنوات عاد إلى مدينة قم سنة 1945 – 1946م، ومكث فيها حتى وافته المنية في الثامن من المحرم الحرام 1982م، وكانت هذه المرحلة من حياته مرحلة مرصعة بلآلئ العلم والمعرفة والإنتاج العلمي في العديد من مجالات التربية والتعليم والتدريس[2]، ذاكرا هذه المرحلة في حياته قائلا عنها "ثم أغمضت العين عن أمر المعاش وتركت المدينة (تبريز) عائداً إلى قم المشرفة وحين نزلتها أحسست بنجاتي من السجن المؤلم، شاكراً العلي القدير، لأنه أجاب دعائي وأعطاني التوفيق والسداد في سبيل العلم وإعداد رجال الدين وتهيأة جيل صالح لخدمة الإسلام والشريعة المحمدية "[3]، وجل ما قاله العلّامة الطباطبائي عن رحلته إلى النجف الاشرف، وعن العلماء الذين انتهل منهم المعارف والعلوم الإسلامية والفقه وغيرها من العلوم، ويقول: "واستكمالًا لدراساتي الإسلامية ذهبت إلى النجف الاشرف الأشرف فحضرت درس الأستاذ آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني، ودرست خارج أصول الفقه لمدة ست سنوات متتالية، وفي أثناء تلك المدة كنت أحضر الدراسات العالية في التشريع الإسلامي والفقه الشيعي لشيخنا آية الله النائيني، وأكملت عند سماحته أيضا دورة كاملة خارج أُصول الفقه لمدة ثماني سنوات، وفي الرجال تتلمذت في: كليات علم الرجال على المرحوم آية الله الحجة الكوه كمري، كان أستاذي في الفلسفة الإسلامية،

(1) أُصول التفسير والتأويل بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين، السيد كمال الحيدري، دار فراقد، إيران، ط 2، 2006 م، ص11.

(2) المصدر نفسه: 16.

(3) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1992: 255.

وهو حكيم الإسلام السيد حسين البادكوبي وقد تتلمذت على سماحته في منظومة السبزواري والأسفار والمشاعر للملا صدرا، والشفاء لابن سينا، وكتاب أثولوجيا لأرسطو، والتمهيد لابن تركه، والأخلاق لابن مسكويه، وقد كان الأستاذ الباد كوبي يحبني كثيراً ويشرف بنفسه على دراستي وترسيخ جذور التربية في وجودي، ومن ذلك كان يرشدني إلى مدارج الفكر وطرق الاستدلال، حتى اعتدت بها في تفكيري" وكان لأستاذه البادكوبي أثر عميق في تنمية المنحى العقلي في شخصيته وترسيخ النزعة البرهانية في تفكيره، ولذلك وجهه إلى دراسة الرياضيات"[1]، ومن ثم أمرني أن أحضر درس العالم الفلكي السيد أبي القاسم الخوانساري فقرأت معه: الرياضيات العالية دورة كاملة والعلوم الهندسية بكلا قسميها: المسطحة والفضائية والجبر الاستدلالي "لقد كان الطباطبائي جامعا بين العلم والعمل وكان متقنا للعلوم النظرية وكان حريصا على مراقبة نفسه مراقبة عميقة وأيضا أخذ على عاتقه تربية طلابه وكانت له أبعاد مختلفة في كثير من العلوم منها الفلسفة والعلم والأخلاق أيضا "كان يرى فلسفة صدر الدين الشيرازي أقرب للواقع، وكان يقدّر خدمته لعالم العلم والفلسفة غاية التقدير، وكان معجباً جداً به وبمنهجه الفلسفي وبالإتيان بأسلوب جديد وحديث كأصالة الوجود وتشكيكه وإيجاد مسائل جديدة كقضية إمكان الأشرف واتحاد العاقل والمعقول والحركة الجوهرية والحدوث الزماني وقضية بسيط الحقيقة كل الأشياء ونظائرها"[2]، وابرز ما قاله العلّامة الطباطبائي عن رحلته العلمية في مدينة قم "عندما استقر بي المقام في مدينة قم بمطالعة المناهج الدراسية والمواد التي تدرس فيها، فوجدت أنها لا تستجيب لجميع متطّلبات المجتمع الإسلامي الفكرية والعقائدية وأحسست أن مسؤوليتي الشرعية هي القيام بهذه العملية، التفسيرية الوظيفة، وكان

(1) العلّامة الطباطبائي لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي، السيد كمال الحيدري، مكتبة عروج، العراق، بغداد، د ط، د ت: 14.

(2) تفسير الميزان _ من كتاب تذكرة الأعيان لمحة من حياة السيد الطباطبائي : 431.

أهم تلك النواقص في الحوزة العلمية يرتبط بتفسير القرآن الكريم والأبحاث العقلية، وعلى هذا الأساس بدء هاتين المادتين، مع أنّي كنت على بينة أنّ الجو العلمي الذي يحكم الحوزة في ذلك الزمان كان ينظر إلى من يهتم بهذه الأبحاث. لاسيما التفسير- نظرة من لا يستطيع التحقيق والتدقيق في الأبحاث الأصولية والفقهية، بل كانوا يعدون المشتغل بعلوم القرآن الكريم والتفسير ضعيفًا في الجوانب الأخرى، لكن مع هذا لم يكن أتى بكتابة تفسير ذلك عذر مقبول أمام الله تعالى في ترك التفسير فبدأتُ بكتابة تفسير الميزان"[1]، ومن العلماء الذين كان يُكِنُّ لهم العلّامة الطباطبائي الاحترام والاهمية الكبرى هما "السّيد الأجل علي بن طاووس إذ كان يولي أهمية لكتابه – الإقبال– ويعده سيد أهل المراقبة، أما الثاني فهو السّيد مهدي بحر العلوم، إذ كان كثيرًا ما يشيد بطراز حياته وسلوكه العلمي والعملي ومراقباته، كما كان ينقل مرات كثيرة تشرفهما بلقاء الإمام المهدي صاحب الزمان (أرواحنا له الفداء)"[2].

وبإنعام النظر في أسلوب العلّامة الطباطبائي في تفسيره الميزان نجد أنّه قد انماز بالفلسفة العالية والدرجة العلمية في الوقت نفسه، فقد استند على مبادئ وأسس ثابتة في فهمه للآيات وهي القرآن الكريم والسنة النبوية وما كان مأثور عن أئمة اهل البيت (عليهم السلام)، فضلا عن جعل الآية شاهدة على الآية من طريق تحكيم السياق كما صرح في مقدمة تفسيره، إذ نجد أن الطباطبائي وضع الركيزة الأساسية فيه أي في التفسير، وكان ينماز بقدرات عقلية رزق بها جعلته ينهج منهج التفسير والتأويل أيضا ومن الآيات التي استند عليها العلّامة الطباطبائي قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً**﴾[3]، فهذه الآية بمثابة البداية التي

(1) إيضاح الحكمة في شرح بداية الحكمة، علي باني كلبيكاني، ترجمة: محمّد شقير، دار الهادي، ط2، 1422هـ - 2001م، 1: 7.

(2) الطباطبائي لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي، السيد كمال الحيدري: 43.

(3) سورة النساء: 82.

ينبغي على المفسر أن ينطلق منها والتي لابد أن تتوافر به الشروط اللازمة في التفسير والانطلاقة التي ينطلق منها المفسر للتفسير، فإن كلام الله تعالى ﴿**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[1]، كما ذكر العلّامة الآملي: "إن العلّامة بنى تفسيره على ثلاثة مصادر يستحيل أن يتعارض معها القرآن وهي:

أوّلا: المحكمات من الآيات.

ثانيًا: السنة القطعية.

ثالثًا: المبادئ العقلية والأصول اليقينية[2].

فضلا عن هذه المبادئ ما أحاط به من العلوم الأصولية والاجتماعية والفقهية والتاريخية وعمل على جمع البحوث بوحي من القرآن الكريم وهذا يعطيه مزية على بقية التفاسير الأخرى، وهذه دلالة على علمية الطباطبائي وجعله إماما في المنقول والمعقول، وبما أنّ القرآن هو السنة التي لا يمكن الاختلاف عليها فجعله الطباطبائي سنته الثابتة لأن غير القرآن يقع فيه الخلاف[3]، لذا فإن من أهم ما انماز به أسلوب الطباطبائي في تفسير القرآن، "إيمانه القوي بالرسول والأئمة الأطهار عليهم السلام: إذ هو لم يكتفِ بعرض الآيات القرآنية على نحو ما اشتهر عنه من تفسير للقرآن بالقرآن، وإنما سعى إلى تفسير الآيات بالسنة القطعية"[4]، إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية التي تساعد على التجلّي في التفسير للقرآن فيما انطوى عليه من عبادات ومعاملات وسياسات، ومنهج قويم، وكمال دين "إذ إنّ القرآن هو كتاب كامل نزل به الروح

---

(1) سورة فصلت: 42.

(2) الطباطبائي مفسّراً وفيلسوفاً، عبد الله الآملي، سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي ، تأليف مجموعة مؤلفين، تعريب عباس صافي، بيروت، 2012: 96.

(3) تفسير الميزان، 21: 20.

(4) علوم القرآن اية الله السيد محمّد حسين الطباطبائي "دراسة مقارنة: 5.

الأمين على قلب محمد ليكون مبشراً ونذيراً، من طريق القرآن الذي جعله الله تعالى تبياناً لكلّ شيء، لا في مجال الهداية وحسب، كما هو مبنى ظاهر اللفظ من البيان، وإنما في ما هو كائن ويكون إلى يوم القيامة، وكما يرى الطباطبائي أن هناك رواياتٍ لو صحّت تكشف عن أسرار وخبايا لا سبيل للفهم المتعارف إليها"[1]، ولم يكن أسلوب الطباطبائي هو تفسير الآية بالآية نفسها فقط، وإنّما أضاف عليها المعارف العقلية، فضلا عمّا يمتلكه من منهج عقلي جعل أسلوبه منمازا عن التفاسير الأخرى وعمل على التميز بين الآيات التي لها بعد عقائدي وبين الآيات التي لها بعد تشريعي عبادي وهو بذلك "لم يخلط في أسلوبه التفسيري بين الآيات على النحو الذي يجعل القارئ على نفور في الربط بين سياق ومداليل الآيات القرآنية، وذلك من طريق تخصيص بحوث لمضمون كل آية تتضمن تأسيساً أو إشارة إلى حقيقة اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، إلى غير ذلك مما تضمّنه القرآن من إشارات علمية في مجال الكون والحياة والإنسان"[2]، إلا أن للميزان مزيته وتفرده بين التفاسير؛ لأنه جمع إلى تفسير الآية بالآية القدرة العقلية المتميزة لكون الطباطبائي هو ممن يؤمنون "بأنه لا تناقض بين العقل والوحي، لأن التناقض معناه عدم قبول العقل القطعي، واعتبار الوحي الإلهي باطلاً، وهذا بحد ذاته يؤكد استحالة التضاد بين حجتين من حجج الله سبحانه، وكيف يمكن لباحث أن يستثني العقل في تفسيره للقرآن، وجميع المعارف الإلهية والحقائق الموجودة في القرآن مستندة إلى حقيقة واحدة، وهي أصلها جميعاً، كما يقول الطباطبائي، وهي التوحيد"[3]، فالقرآن كما يرى، "يؤيد التفكر العقلي يعده جزءا من التفكير الديني، والتفكر العقلي بعد أن يصادق على صدق نبوة النبي يجعل الظواهر القرآنية بما فيها الوحي السماوي،

(1) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 12: 325.

(2) علوم القرآن أية الله السيد محمّد حسين الطباطبائي "دراسة مقارنة: 5.

(3) الميزان تفسير القرآن، 10 : 129

وأقوال النبي وأهل البيت عليهم السلام من موارد الحجج العقلية[1]، وأهم مزيّة لتفسير الميزان اعتماده منهج تفسير القرآن بالقرآن، يضاف إلى ذلك الترجيح بين الآراء؛ فإنّ كثيرا من المفسرين عندما يتعرضون لآية ذات وجوه كثيرة يكتفون بطرح تلك الوجوه والاحتمالات التفسيرية من دون الترجيح بينها فيما تجد العلّامة الطباطبائي يشير إلى الرأي الراجح عنده مع ذكر العوامل التي دعته للترجيح كالآيات الأخرى والقرائن الحافة بالآية المباركة.

ومن مميزات تفسير الميزان معالجته لموضوعات كثيرة من قبيل إعجاز القرآن، قصص الأنبياء، الروح والنفس، استجابة الدعاء، التوحيد، التوبة، الرزق، البركة، الجهاد، الإحباط و.... استطرادا وبمناسبة تفسيره للآيات التي تتعلق بتلك الموضوعات مستعيناً بالآيات الأخرى.

ومن الأمور التي يمكن الإشارة إليها في تفسير الميزان اعتماد العلّامة الطباطبائي – خلافاً للسائد بين المفسرين قبله – أسلوب ضمّ الآيات بعضها إلى بعض– إن اقتضت الضرورة – للخروج بنتيجة واضحة، فعلى سبيل المثال تراه يضم جميع الآيات ذات العلاقة بمبحث الإحباط ليخرج بمفهوم محدد لمعنى الإحباط قرآنيا.

ومن الأمور الأخرى التي انماز بها تفسير الميزان قضية القصص القرآني، إذ تراه يجمع الآيات المتناثرة في القرآن بشأن القصّة ويقوم بتفسيرها في مكان واحد، ثم يشير إلى ما توصل إليه عند البحث عن الآيات المتفرقة في محلها إشارة عابرة مكتفيا بما توصّل إليه سابقا، كذلك انماز في معرض بحثه عن قصص الأنبياء وتوضيحها باعتماده على أمّات المصادر، فضلا عن البحث المقارن بين القصة

(1) الشيعة في الإسلام، الطباطبائي، بيت الكتاب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999 م: 94.

بحسب التصوير القرآني وبين القصة نفسها بحسب الرواية التوراتية والإنجيلية (العهدين) مشيراً إلى نقاط التحريف والخلل فيهما.

ومن الأمور أيضا الاهتمام بموضوع الشبهات والإشكاليات المثارة من قبل المخالفين، نقدا وتحليلاً من جهة مع وضع المعالجات الصحيحة التي تكشف تطابق الإسلام مع المتغيرات الزمانية والمكانية، فضلاً عن الأبحاث العلمية والفلسفية والكلامية[1].

(1) ينظر التبيان في تفسير القرآن، ويكي شيعة، https://ar.wikishia.net/view/.

المبحث الثالث

العرفان النظري والأسلوبية البنيويّة

قبل الدخول إلى العرفان النظري عند السيد الطباطبائي وما علاقة هذا العرفان بالأسلوبية البنيويّة لابد أن نطرح بعض الأسئلة حتى تكون منطلقا للحديث عن مضمون هذا المبحث، فرُبّ سائل يسأل ما هو العرفان وما هي أنواعه؟ وما الفرق بين تلك الأنواع؟ فحتى نجيب عن ذلك لابد أن نقف عند تعريف العرفان وحده، إذ عرفه (القيصري) بقوله: "هو العلم بالله سبحانه وتعالى من حيث أسماؤه وصفاته، ومظاهره وأحوال المبدأ والمعاد، وبحقائق العلم وكيفية رجوعها إلى حقيقة واحدة، وهي الذات الأحدية، ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة لتخليص النفس من مضائق القيود الجزئية، وأيضا لها مبدؤها واتصافها بنعت الاطلاق والكلية"[1]، ومما مرّ من تعريف للعرفان بصورة عامّة يخالج الفهم أنّ العرفان على نوعين، منه ما هو نظري، ومنه ما هو عملي، وعلى هذا يكون العرفان النظري هو "رؤيا كونية عن المحاور الأساسية في عالم الوجود (الله)، و(الإنسان)، و(العالم)؛ ولكن العارف يستند في تأسيس هذه الرؤية على المكاشفة والشهود"[2]، وعرفه غيرهم من وجهة نظر مغايرة إذ قال: "التعبير عن الحقائق والمعارف التوحيدية أي الوحدة الشخصية للوجود ولوازمها والتي يصل إليها العارف من طريق الشهود في آخر مرحلة والتي تحصل بسبب الرياضة والعشق"[3].

ولعله يمكن القول: إن مباحث العرفان النظري قائمة على أصول ثلاثة: "أولها: معرفة الوحدة الحقيقية التي صدر عنها الوجود وثانيها: معرفة الكثرة الصادرة

(1) دروس في الحكمة المتعالية، كمال الحيدري، شرح كتاب بداية الحكمة، دار الصادقين، قم، ط 1، 1999، 1: 55.

(2) المصدر نفسه، 1: 65.

(3) العرفان النظري مبادئه وأصوله، يد الله يزدان بناه، ترجمة: علي عباس الموسوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت، ط1 ، 2014 م: 83.

من تلك الوحدة، وثالثها: معرفة النسبة بين تلك الوحدة وهذه الكثرة"[1]، ولا جفاء بين الحقيقة وقول أن هذه الأصول الثلاثة هي منطلق العرفان النظري بل تشكل اللبنة الأساس له، ما يمكن الوقوف عنده بعد عرض ما مرّ ذكره أنّ العرفان النظري يسلط الضوء من طريق البحث والدراسة المعمقة والفكرية على وعي الإنسان حتى يبلغ به معرفة واقعية بالله وصفاته وأفعاله ما يؤدي إلى نور في قلبه يهديه إلى علم حقيقي للمبدأ والمعاد وما يعينه على ذلك الاتكاء على قوة عقلية منحها الله إيّاه متخذا من البرهان والأسلوب العقلي مؤدى إلى اليقين، ولعله يمكن القول: إن العرفان النظري هو عملية البحث عن حقائق الأشياء وكنهها بعملية الإشراق والوصول[2].

وأما ما يتعلق بالسؤال الأخر وهو هل هنالك عرفان عملي؟ نجيب عن ذلك بالقول: إنّ العرفان العملي "طريق السفر إلى الله تعالى، وكيفية طي المراتب والمقامات المعنوية ومعاينة منازل السلوك بواسطة الكشف والشهود... فهو علمٌ يعمل على قيادة الإنسان وسوقه نحو الواقع المشاهد والمكشوف فيتمحور موضوعه حول المنازل التي يقطعها الإنسان في سيره وسلوكه نحو ربه وكيفية تحصيلها"[3]، رب سائل يسأل ما الغاية من العرفان العملي؟ وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول إن الغاية منه هو محاولة الوصول إلى الكمال الإنساني من طريق الالتزام لمجموعة من القواعد التي تعنى بالسير والسلوك تحت ظل الشريعة وأحكامها حتى يحصد ثمر ذلك من طريق معارف قلبية وحقيقة حتى يصل بقلبه إلى مرحلة انكشاف الحقائق[4]، من تأمل الكلام المار ذكرهُ والحديث عن العرفان العملي يمكن القول إن محور العرفان

(1) فلسفة العرفان النظري، دراسة تحليلية في أصول العلم ومنهجه المعرفي، فادي ناصر، دار الولاء لصناعة النشر، بيروت– لبنان، ط 1، 1439 هـ – 2018 م، 79– 80.

(2) ينظر: فلسفة العرفان النظري: 8.

(3) المصدر نفسه: 80 –81.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 81.

العملي هو (القلب)؛ لكونهِ المرتكز الأساس في وجود الإنسان، لأن من طريقه يتأثر الإنسان وينفعل ويؤثر ويفعل مع كل ما يحيط به من موجودات، وعلى هذا تكون الغاية من العرفان العملي تطهير القلب، حتى تتحصل الهداية في الفعل والانفعال[1].

ويمكن القول من وجهة نظر أخرى إن العارف يبتغي بسلوكه الوصول إلى مقام ألّا يرى في الوجود غير الله تعالى، إذ إن العارف غايته في ذلك أن يصل إلى مرتبة ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهَ**﴾[2]؛ لأن يقين العارف أنّ الله تعالى أقرب إليه من نفسه منطلقا من قوله تعالى: ﴿ **أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾[3]، ومما ورد ويمكن فهمه بالإشارة أنّه هادٍ إلى المعنى المار للعرفان العملي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: "إنّ الله جعل الذكرى جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح لله- عزت آلاؤه- في البرهة بعد البرهة، وفي ازمان الفترات عبادٌ ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم"[4]، وكذلك مما ورد عنه في ذات المضمون قوله عليه السلام: "قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة، وثبتت رجلاهُ بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه"[5]، وعلى هذا ومما مر ذكره

(1) ينظر: فلسفة العرفان النظري: 81.

(2) سورة البقرة: 115.

(3) سورة الانفال: 24.

(4) ينظر: فلسفة العرفان النظري، دراسة تحليلية في أصول العلم ومنهجه المعرفي، 81. نهج البلاغة، وهو ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، ط 1، 1431 هـ - 2010 م، الخطبة: 221.

(5) نهج البلاغة، الخطبة 219.

يمكن القول إن العرفان العملي هو سلك الطريق إلى الله لمن أراد أن يصل مقام القرب الإلهي الخالص.

مما مرّ ذكره يتبيّن ما العرفان وما أنواعه، ولابد من الوقوف على ما يتصل بدراستنا من هذا الموضوع وهو العرفان النظري، إذ المشتغل وفقه – أي العرفان النظري– في غير مرة لا تكون اللغة ملبية لما يؤمن به من عقيدة ومن نقاء روحي ورياضة عشق، إذ إنّها تقف عند المعنى المعجمي للألفاظ مما يضطر العرفاني للذهاب إلى معانٍ أبعد مما تقدمها له اللغة المعجمية ويضفي معاني جديدة إلى الألفاظ من منطلق عقدي عرفاني، وقد يكون معتمدا في بعضها على المعنى الذي يمكن ان يفهم من السياق ومن ذلك ما ورد عن ابن عربي مما ذكره في تفسيره إذ يقول: "في قوله تعالى: ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾[1]، وأعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالم الأفلاك وهو فلك الشمس وفيه مقام روحانية ادريس وتحته سبعة أفلاك وفوقه سبعة أفلاك وهو الخامس عشر، وأمّا علو المكانة فهو لنا أعني المحمّديين كما قال تعالى: ﴿**وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ**﴾[2]، والله معكم في هذا العلو وهو يتعالى عن المكان لا عن المكانة"[3]، إذ لو تأملت التفسير المار للآية لا تجد أنه تعامل مع العلو من منطلق لغوي؛ لأن التفسير اللغوي لا يضفي إلى ما هو مؤمن به من عقيدة وتصوف، فاتكأ على ما اكتسبه من العلوم والمعارف، إذ إن على وفق منهجه العرفاني لا يمكن أن يعطيه المعجم أو اللغة هذه السعة والذهاب إلى المعنى الذي وصل إليه من أنّ العلو هو علو المكانة، وما أوضحه في الأعلى، وبزيادة التأمل يثبت أنّ كل ما ذهب إليه منطلق من العرفان النظري والفلسفة الصوفية التي

(1) سورة مريم: 57.

(2) سورة آل عمران: 139.

(3) فصوص الحكم، محيي الدين بن عربي (ت 638هـ)، دار آفاق، القاهرة، ط 1، 2016 م: 75.

ما انفك يمارسها معنويا وعمليا، وتظهر في كتاباته ونتاجاته الفكرية، وعلى هذا يرى أنّه اعتمد في تعامله مع النص القرآني على وفق مقياسين اثنين؛ أولهما: مقياس العبارة متخذا من التحليل الأسلوبي البنيوي سبيلا لكشف مداليل النص، إذ يبدأ بتحليل البنى الأسلوبية من طريق أنّه هو القارئ العمدة للنص، وهذا ما يعطيه السلطة في إضفاء المعاني التي ذهب إليها، والثاني: الإشارة وهي التي من طريقها يدخل إلى التحليل العرفاني عندما لا تلبي اللغة طموحة العقدي في فهم النص ولعل ذلك ما قابل المحور الخارجي في الأسلوبية البنيويّة إذ أنّ للعبارة ما، ويتعلق بها خارج النص معتمدا في ذلك على السياق.

وإذا ما ذهبنا إلى العرفان النظري وعلاقته بالأسلوبية البنيويّة عند صاحب الميزان نجد أن العرفان النظري عنده لا يبتعد عن المضمون العام؛ لما ورد عند غيره من العلماء السابقين عليه، إذ أنّه يشترط للعرفان الرياضات والمجاهدات المؤدية إلى الاستقرار بين النفس الإنسانية والدين، إذ يقول: "إن الآثار الدينية للأعمال والعبادات وكذلك آثار الرياضات والمجاهدات إنما تستقرُ الرابطة بينها وبين النفس الإنسانية بشؤونها الباطنية، فالاشتغال بشيء منها اشتغال بأمر النفس"[1]، وعلى هذا إن بلوغ الإنسان علية الاستقرار النفسي الديني يشترط الرياضات والمجاهدات المؤدية إلى نقائها. ويناقش في موضع آخر مسألة معرفة النفس والتوصل إلى حقيقة النفس الإنسانية وما تقتضيه من فطرة مؤدية إلى الدين القويم الهادي إلى التوحيد، إذ يقول: "نعم لنا أن نقضي بأمر وهو بأن عرفان النفس بأي طريق من الطرق فرض السلوك إليه إنما هو أمرٌ مأخوذٌ من الدين، كما أنّ البحث البالغ الحر يُعطي أن الأديان على اختلافها وتشتتها إنما انشعبت هذه الانشعابات من دين واحد عريق تدعو إليه

(1) الميزان في تفسير القرآن، 6: 256.

الفطرة الإنسانية وهو دين التوحيد"[1]، وما يفهم من القول المار أن بلوغ غاية المعرفة هو النقاء والعودة إلى الفطرة الأصل للإنسان، أي إزالة الشوائب وتجريد النفس عن كل ما يمكن أن ينأى بها عن السبيل المؤدي إلى السعادة الروحية، إذ إنّه يقر بأن الدين الفطري هو عرفان النفس مشترطا في ذلك الوصول إلى السعادة الإنسانية وهي معرفة الإله، إذ يقول: "إن الدين الفطري إنما يعد أمر عرفان النفس ليتوصل به إلى السعادة الإنسانية التي يدعو إليها وهي معرفة الله التي هي المطلوب الآخر عندهُ، وبعبارة أخرى الدين إنما يدعو إلى عرفان النفس دعوة طريقية لا غائية، فإنّ الذوق الديني لا يرتضي الاشتغال بأمر إلا في سبيل العبودية وأن الدين عند الله الإسلام، ولا يرتضي لعباده الكفر فكيف يرضى بعرفان النفس إذا استقل بالمطلوبية؟"[2]، وعلى هذا فإن العرفان عنده يشير دائما إلى الأصل الفطري للدين جاعلاً منه طريقاً للوصول إلى السعادة الكاملة لا غاية في نفسه، أي إن العرفان ليس بغاية إنما طريق للوصول إلى الدين الفطري، إذ يقول: "إن العرفان ينتهي إلى أصل الدين الفطري إذ ليس هو بنفسه أمراً مستقلاً تدعو إليه الفطرة الإنسانية حتى ينتهي فروعه وأغصانه إلى أصل واحد هو العرفان الفطري"[3]، ويرى أن من بلغ غاية النقاء والسعادة تكشفت له أشياءُ لم تتكشف لغيره، وظهرت عنده كرامات قد تخرق العادة التي ما ألفها الإنسان، إذ يقول: "يحكى عن كثير من صلحائنا من أهل الدين أنهم نالوا في خلال مجاهداتهم الدينية كرامات خارقة للعادة وحوادث غريبة اختصوا بها من بين أمثالهم كتمثل أمورٍ لأبصارهم غائبة عن أبصار غيرهم، ومشاهدة أشخاص أو وقائع لا يشاهدها حواس من دونهم من الناسِ"[4]، ففي ذلك

(1) المصدر السابق، 6: 256.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 6: 257..

(3) المصدر نفسه، 6: 257.

(4) المصدر نفسه، 6: 257.

بيانٌ واضحٌ أن الكرامات التي حظي بها صلحاؤنا من أهل الدين والتي أطلق عليها صفة (خارقة للعادة) عازيا إياها إلى النقاء الروحي ومجاهدة النفس، فضلا عن إسناد ذلك إلى الله تعالى؛ لأنّه يرى أنّ عالم الأرواح لا تعتريه أكاذيبُ في أخبارِه، لأنه يتمتع بالطهارة والصفاء ولا سبيل للكذب والفرية والزور فيه[1]، وعلى هذا يقسم صاحب الميزان المشتغلين على معرفة النفس على قسمين؛ "أوّلهما: المشتغلُ بالاشتغال بإحراز شيء من آثار النفس الغريبة الخارجة عن حومة المتعارف من الأسباب والمسببات المادية، كأصحاب السحر والطلسمات، وأصحاب تسخير روحانيات الكواكب، والثاني: المشتغلون بمعرفة النفس بالانصراف عن الأمور الخارجة عنها والانجذاب نحوها للغور فيها ومشاهدة جوهرها وشؤونها كالمتصوفة على اختلاف طبقاتهم ومسالكهم"[2]، إذ أنّه لا يعدُ أصحاب القسم الأول من المشتغلين بالعرفان إنما يبعدهم عنه ويخرجهم منه، لما لأعمالهم من لوازم غير مؤدية إلى حقيقة الدين الفطري، وأمّا أصحاب القسم الثاني فإنّه يرى أنّ طائفة منهم يسلكون مسلك معرفة النفس ويرزقون بذلك بعض منها إلا أنّهم ينسون معرفة خالقها؛ لأنّهم لا يريدون غير النفس فهم في غفلة عن أمر صانعها وهو الله (عز وجل)[3]، وأمّا الطائفة الأخرى فهم أيضا يقصدون معرفة النفس إلا أنهم يجعلون منها ذريعة لمعرفة الربّ تعالى، وهؤلاء يراهم الطباطبائي أصلح العارفين؛ لأن طريقتهم هذه في رأيه ما يرتضيها الدين أي أن يشتغل الإنسان بمعرفة نفسه بما أنّها آية من آيات الله بل هي أقرب الآيات وتكون الغاية في ذلك الوصول إلى الله تعالى وما النفس إلا طريق لتحقيق هذه الغاية[4].

---

(1) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، 6: 257.

(2) المصدر نفسه، 6: 258.

(3) ينظر: المصدر نفسه، 6: 258.

(4) ينظر: المصدر نفسه، 6: 258.

ويخلص الطباطبائي إلى أن عرفان النفس لا يتمُ إلا من طريق عملي دون النظري، وأما ما دونه القدماء من أرباب النظر فليس بمغنٍ في ذلك بشيء وإنّما دوّنه المحدثون من فن النفس العملي إنّما هو من فنون الأخلاق على ما دوّنه القدماء[1]، وبهذا تتضح الرؤية للعرفان بجميع مفاصله عند الطباطبائي ونظرته إليه، فضلا عن إيضاح آلياته وكيفية التعامل به، إذ أن العارف على وفق عقيدته يكوّن فهما خاصاً لآي القرآن الكريم متأتيا من بلوغه درجة النقاء التي أرتهُ ما لا يراه غيره، فمن المواضع القرآنية التي وقف عندها الطباطبائي متعاملا معها من وجهة نظر عرفانية قوله: "في قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ**﴾... لسان الآية لسان الوجوب، فإنّ الكتاب يستعمل في القرآن في مورد القطع واللزوم ويؤيده ما في آخر الآية من قوله حقاً، فإن الحق أيضا كالكتابة يقتضي معنى اللزوم لكن تقييد الحق بقوله على المتقين من ما يوهن الدلالة على الوجوب والعزيمة فإن الأنسب بالوجوب أن يقال: حقاً على المؤمنين"[2]، بالوقوف عند قوله: (لسان الآية) يخالج الفكر عند الباحث الأسلوبي البنيوي أن الكلامَ منحصر بعنصر لساني ورد في سياق الآية، إذ إنّه توقف عند معنى الكتابة مضفيا عليها معنى الوجوب مستدلا بالاستعمال القرآني جاعلا من سياق الآية شاهدا على صحّة القول، متخذا من دلالة لفظ آخر عنصر دعم وتأكيد على ما جاء به، وهو ما ورد في آخر الآية من لفظ حقاً مؤيداً ذلك أنّ الحق أيضا يقتضي معنى اللزوم، فضلاً عن إبدائه الرأي من أنّ لفظ المتقين ما يوهن الدلالة على الوجوب والعزيمة مصوبا ذلك أن يستبدل العنصر اللساني (المتقين) بـ (المؤمنين) ليصير النص حقاً

(1) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، 6: 259.

(2) المصدر نفسه، 1: 190.

على المؤمنين، ولو تأملت ما جاء به من تحليل للبنى اللسانية[1]، تجدُ أنه تعامل مع النص من منظور كونه القارئ العمدة للنص[2]، فضلاً عن تحكيم دلالة السياق[3]، في استبدال العناصر اللسانية بالاعتماد على الإشارة الخارج نصيّة وهذا ما يقابل المحور الخارجي في الأسلوبية البنيويّة[4]، إذ إنّ استبداله بلفظ المؤمنين جاء على وفق محددين؛ أوّلهما: وهن الدلالة أي ضعف المعنى في رأيه، وثانيهما: نوع العلاقات بين العناصر المكونة للسياق، ولعل ما أخذ بزمام تدبره إلى هذا الرأي هو إيمانه وعرفانه الذي أفضى إلى تقبل المؤمنين بدل من المتقين؛ لأن من لوازم تنقية النفس وجعلها مسلكاً للوصول إلى الله يبدأ بالإيمان أوّلاً؛ لأن المسلم على وفق النظرة العرفانية يحتاجُ إلى الإيمان ومن ثم التقوى وعلى هذا تبيّن مدى التقارب والتعالق بين العرفان النظري والأسلوبية البنيويّة في التعامل مع النصوص وإظهار المعاني والدلالات المتوخاة منها.

ومما يوضع ضمن العرفان النظري أيضا قوله في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[5]، تحديد لأمد القتال كما مرّ ذكره، والفتنة في لسان هذه الآيات هو الشرك باتخاذ الأصنام كما كان يفعله ويكره عليه المشركون بمكة ويدل عليه قوله تعالى **(وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)**"[6]، فتراه في القول المار ذكره متوقفاً عند معنى الفتنة غير عائد إلى المعجم، إنّما منطلق من منظور عرفاني عقدي مبينا أنّ الفتنة الشرك بالله بعبادة الأصنام والأوثان، معتمدا في ذلك على

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 42.

(3) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(4) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(5) سورة الانفال: 39.

(6) الميزان في تفسير القرآن، 2: 216.

سياق الآية بالمرتبة الأولى فضلا عن الإشارة النصية من قوله (يكون الدين لله) واضعا ذلك كله تحت مسمّى (لسان الآيات) ولو تأملت غاية التأمل تجد أن إفضاء المعنى على اللفظ يقع ضمن المقياس المعجمي للأسلوبية البنيويّة[1]، وأن تحكيم السياق في استنباط المعاني لا يفترق عن تحكيم السياق[2]، عند ريفاتير في الوقوف على دلالة النص، وأما الاتكاء على الإشارة النصية ذلك يشير إلى المحور الداخلي[3]، في الأسلوبيّة البنيويّة أي اعتماد النص نفسه للوقوف على الدلالة، وعلى هذا يكون مصطلح (لسان الآية أو لسان الآيات) يقابل مصطلح (الأسلوبية البنيويّة) عند ريفاتير، وعلى هذا تظهر ملامح المنظومة المصطلحية للمنهج عند صاحب الميزان للمناظرة مع ما جاء به ريفاتير.

وفي موضع آخر قوله: "فأهل الكتاب في لسان القرآن كافرون بآيات الله غير كافرين بالله ولا ينافيه قوله تعالى ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾[4]، إذ نفى الإيمان عنهم صريحاً"[5]، إن إطلاق حكم للاتكاء على السياق والإتيان بشاهد من ضمن القرآن لتدعيم ذلك الحكم أي جعل الآية شاهداً على آية أخرى من منطلق تفسير القرآن بالقرآن للوقوف على معنى لفظ داخل آية ألا وهو (الكفر) لأهل الكتاب وما هي حدود ذلك الكفر من طريق الإشارة النصية وبيان أنّ كفرهم بالآيات لا بالله، كل ذلك يضعه صاحب الميزان تحت مسمى (لسان القرآن) مبيناً هذه المعاني من

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب:60.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر، إلياس الخوري، دار ابن رشد، بيروت، لبنان، ط 1، 1979: 62.

(4) سورة التوبة: 29.

(5) الميزان في تفسير القرآن: 3: 113.

وجهة نظر عقدية عرفانية، ولعلّ هذا لا يفارق ولا يبتعدُ ابتعادا كبيرا عن ما جاء به ريفاتير، فلو تأمّلت المعنى الذي ذهب إليه على وفق المنظور العرفاني للفظ الكفر لوجدته يوافق ما ذهب إليه ريفاتير في المقياس المعجمي[1]، من الأسلوبية البنيوية، وإنّ جعل الآية شاهدة على أختها ذلك ينبئ بتحكيم السياق[2]، والاتكاء عليه في الوقوف على الدلالة، ولعل هذا أيضا غير مفترق عن أثر السياق في استنباط المعنى والوقوف على دلالات النص عند ريفاتير، ثم إنّ استعمال الإشارة النصية في بلوغ المعنى لا يجافي ما جاء به ريفاتير في المحور الداخلي[3]، باعتماد النص للنص أو اعتماد النص على نفسه وعدم الخروج عنه في اكتشاف الدلالات وعلى هذا يكون مصطلح لسان القرآن يوافق بالضرورة مصطلح الأسلوبية البنيويّة لريفاتير.

وفي موضع آخر قوله في: "قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أكبر مِن نَّفْعِهِمَا**﴾[4]، والآية مدنية تبين أن شرب الخمر من الإثم الذي حرمته آية الأعراف، ولسان الآية – كما ترى – لسان رفق ونصح"[5]، أن تجمل نصا أو آية بكل ما ورد فيها من ألفاظ معبراً عنها بالمضمون معتمداً في ذلك على السياق ذلك ينبئُ أن القراءة التي قرأت بها النص جاءت على وفق نظرة تدبرية من القارئ معتمدة على ما آمن به هو من عقيدة ظهرت بين طيّات كتابته، وهذا ما يوافق ما جاء به ريفاتير في تحكيم السياق[6]، بالوقوف على دلالة النص من جهة، ومن جهة أخرى وإنه كان قارئا عمدة للنص[7]،

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(4) سورة البقرة: 219.

(5) الميزان في تفسير القرآن، 4: 238.

(6) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

للنص[1]، من طريق مكتنزه من علوم ومعارف أهلته إلى أن يقف عند ذلك المعنى، فضلا عن أن تُجَمِّل جمعا من الألفاظ بمعنى واحد وهو إنّما ورد في الآية من خمر وميسر، واعطاؤها معنى الإثم ذلك يعني أن المعنى جاء على وفق منهجية المعنى المعجمي، وهذا غير مبتعد عما جاء به ريفاتير في المقياس المعجمي للدلالة[2]، ثم أن تعتمد الإشارة الخارج نصية في أن تحكم نصًّا مدنيّا كان أم مكيّا، هذا ما يوافق المحور الخارجي[3]، في الأسلوبية البنيويّة من ثم يختتم الكلام بمصطلح لسان الآية، وهذا يوافق مصطلح الأسلوبية البنيويّة.

ومن ذلك أيضا قوله: "على أن من الحكمة أن لا يغفر لكل مذنب ذنبه وإلا ألغي الأمر والنهي وبطل التشريع وفسد أمر التربية الإلهية وإليه الإشارة بقوله لمن يشاء، ومن هنا يظهر أن كل واحد من المعاصي لا بد أن لا يغفر بعض أفراده، وإلا ألغى النهي عنه وهذا لا ينافي عموم لسان آيات أسباب المغفرة، فإن الكلام في الوقوع دون الوعد على وجه الإطلاق ومن المعاصي ما يصدر عمن لا يغفر له بشرك ونحوه"[4]، كما مر في غير موضع سابق من التعبير عّما يتضمنه النص بقوله: (لسان الآية) آخذا بذلك المعنى العام للنص بالاتكاء على السياق متوقفا عند لفظ من الفاظه مبينا معناه على وفق آلية المعنى المعجمي، إلا أن ما يصدر من معنى عند صاحب الميزان يكون منبعه عرفانيا عقديا، فضلا عن أنّه يجعل من نفسه القارئ النموذجي للنص بما اكتسبه واكتنزه من علوم ومعارف أهلته أن يكون قارئا عمدة للنص، فضلا عن مناقشته لمعانٍ وردت في النص نفسه، متكئا في تفسيرها

(1) ينظر معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 60.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 4: 330.

على النص ذاته، وهذا ما يشابه ويساوق المحور الداخلي[1] للاسلوبية البنيويّة، وعلى هذا يمكن القول إنّ المعنى العرفاني للفظ يوافق المقياس المعجمي[2]، للأسلوبية البنيويّة وقراءة الكاتب للنص على وفق مستواه العلمي يوافق القارئ العمدة[3]، للأسلوبية البنيويّة وإن جعل آية شاهدة على أختها في الوقوف على الدلالة ذلك يوافق تحكيم السياق عند ريفاتير في نتاج الدلالة، فضلا عن أن اتخاذ النص محورا للحديث وعدم الخروج عنه إلى متعلق خارجي ذلك يوافق المحور الداخلي للأسلوبية البنيويّة، وعلى هذا كله فإنّ مصطلح (لسان الآية أو لسان الآيات أو لسان القرآن) يوافقن مصطلح الأسلوبية البنيويّة لريفاتير.

ونخلص إلى أن مصطلح (لسان الآية ولسان الآيات ولسان القرآن) في العرفان النظري يوافق مصطلح الأسلوبية البنيويّة عند ريفاتير، وأن آليات العرفان النظري من شهادة آية على آية في الوقوف على المعنى، وإضفاء معنى على لفظ وإبداء الرأي على وفق قراءة الكاتب للنص، فضلا عن الاستعانة بالنص وخارج النص كلها توافق ما جاء به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة، إذ إن شهادة الآية على أختها يوافق السياق في الأسلوبية البنيويّة، وإضفاء معنى على لفظ يوافق المقياس المعجمي للأسلوبية البنيويّة، وقراءة الكاتب للنص توافق القارئ العمدة في الأسلوبية البنيويّة، واعتماد النص وعدم الخروج عنه يوافق المحور الداخلي في الأسلوبية البنيويّة، وجعل الخارج دليلاً على معنى داخل النص يوافق المحور الخارجي في الأسلوبية البنيويّة، ومن هنا تظهر آليات منهج الأسلوبية البنيويّة عند صاحب الميزان وهذا ما سيأتي بيانه في الفصول القادمة ما بين تتبع ملامح هذا المنهج في التراث العربي وبين إظهار تطبيقاته بصورة أوسع وأبين في كتاب تفسير الميزان.

---

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 42.

الفصل الأول

ملامح الأسلوبية البنيويّة في التراث البلاغي والنقدي والتفسيري القديم

كثيرا ما خطر في ذهن الباحث طيف سؤال يقول: هل الأسلوبية البنيويّة تنسجم مع النص العربي، أو بمعنى آخر هل للبناء النصي العربي تواشج مع الاسلوب؟ عند الإجابة عن هذا السؤال نعود إلى الجذور العربية لنرى إن كان للأسلوب مقدار من الترابط الوثيق بينه وبين البنية وهل كان انتقاء البنى شيئا معتنى به؟ وحتى نكون على إحاطة بما يتواءم ومفردات البحث عند الإجابة عن مثل هذه التساؤلات، لابد من الذهاب إلى حالات لها من التعالق بالموضوع غاية القرب والمساس، لذا فإن كتب البلاغة العربية القديمة هي المصدر الأوّل الذي يُبْحَث فيه عن ملامح الأسلوبية البنيويّة بين طيّات سطورها سعيًا خلف أهم المقولات النقدية البلاغية التي لها هيأة الأسلوبية البنيويّة أو فيها من ملامح الأسلوبية البنيويّة ما يجعل منها جذرا يمكن الرجوع إليه عند البحث عن أصول هذا المنهج، ومن ثمّ الذهاب إلى كتب علوم القرآن الكريم لتقصّي هذه الملامح فيها أيضا وهذا من شأنه أنّ الأسلوبية البنيويّة لم تقتصر على الكتب البلاغية فحسب بل تخللت أكثر من علم ومن الطبيعي أن يكون لكتب التفسير الحظ الأوفر في هذه الدراسة؛ لأن متن الدراسة أحد هذه الكتب المهمة وهو تفسير الميزان للطباطبائي الذي تتخذه الدراسة مقتربا إلى اكتمال الملامح التي أشار إليها ريفاتير عند وضع خطاطته المتعلقة بالأسلوبية البنيويّة والاقتصار على هذه المجموعة من المصادر في البحث لما لها من مساس بموضوع الدراسة أي الفروع الثلاثة المشار إليها من فروع العلم.

الغاية المتوخاة من تتبع مظاهر الأسلوبية البنيويّة في التراث العربي ما هي إلّا معرفة جذور الأسلوبية البنيويّة وملامحها وملاحقة التطور الذي أصابها عند العرب سواء أ كان على مستوى الشكل أو الاتجاه أو المنهج، ومن هنا انبثقت فكرة الولوج إلى هذه المجالات الثلاثة من العلم أي كتب البلاغة التي كانت تعنى بدراسة النص القرآني وما يعتريه من وجوه بلاغية مماسة للأسلوبية البنيويّة، ومن ثمّ الذهاب إلى كتب علوم القرآن لما تبحثه من مجالات متعلقة بأسباب النزول وأحكامه وناسخه

ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، ثم بعد ذلك الذهاب إلى كتب التفسير التي يكون متنها الأساس هو النص القرآني والسير خلف المعاني التي بها يستنير المرء ويميز الحق من الباطل، ولا يكون هذا الولوج إلى النص القرآني؛ إلّا على وفق مناهج إمّا أن تكون نصية، وإمّا أن تكون دلالية، وإمّا أن تكون لغوية، ومنها ما كان أدبيا وليس تفسير الميزان محل البحث إلّا واحدا من هذه الكتب التي بحثت في المعاني القرآنية، اعتمد فيها صاحب الكتاب على السياق كما صرّح في مقدمة كتابه، ومن ثمّ وجدناه معتمدا على علم الفلسفة أيضا متخذا من منهج تفسير القرآن بالقرآن سبيلا لإيضاح المعاني والدلالات.

المبحث الأوّل

في كتب البلاغة والنقد القديم

اتخذتْ كتب البلاغة والنقد القديم اتجاها في دراسة مدوناتها يحوم حولها النص محاولا استكناه بنائه بالاستعانة بما هو خارج النص من سياق ومقام وسبب نزول (فيما يتعلق بالقرآن) وغير ذلك مما يساعد على تجلية المعنى، وليس الباحث هنا في موضع استقصاء كل ما كتب، فإنّ المدونة البلاغية والنقدية القديمة كبيرة جدا وواسعة ولا يمكن الإحاطة بها، ولكن هناك مجموعة من الكتب التي تعد عنوانات بارزة في رحلة البلاغة والنقد العربي، لابد من التطرق إليها والنظر في أهم عباراتها وملاحظاتها ومقارنتها بمقولات الأسلوبية البنيويّة لتشخيص الملامح الأولى لها في ذلك التراث القديم:

1- البيان والتبيين، للجاحظ (ت 255هـ).

ظهرت ملامح الأسلوبية البنيويّة في غير مرة بين أروقة حديثه إذ يقول الجاحظ: "وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه " ويزيد في ذلك في قوله: "فكن في ثلاثة منازل، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا، وإما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت"[1]، المتلمس لملامح الأسلوبية البنيويّة في كلام الجاحظ المار ذكره يجد أنّه ارتكز فيه على مسائل من شأنها أن تكون ذات صلة بالنص ذاته منطلقة من الكاتب تارة ومن المحيط تارة أخرى إذ إن ما ينتج من الكاتب هو اختياره للبنيات أو العناصر اللسانية التي تشكل الوحدة الأساسية للنص، وفي مرة أخرى تجده ينطلق من الخارج إلى النص أي من المتلقي وما أثر اختيار العنصر اللساني في ذلك المتلقي وفقا لإمكاناته التي يتحلى بها من ثقافة وطبقة معيشة محددا ذلك بقوله: (الخاصة،

(1) البيان والتّبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) تحقيق وشرح: عبدالسّلام هارون، مكتبة الجاحظ، مؤسّسة الخانجي، القاهرة، ط 2، د ت: 1: 83، 136.

العامة) وهذا كله يعطي انطباعا على أنّ النص نتاج عوامل خارجية وداخلية أي هناك ما هو داخل النص وما هو خارج النص، وكما بيّن ذلك ريفاتير في خطاطته التي تكلم فيها عن علاقة الأسلوب بالواقع الخارجي إذ قال: "النص مصدر ثرّ للوقائع التي يمكن أن تصلح لإعادة بناء وضع سالف للغة، ويحاول الأسلوبي إعادة بناء الأثر الذي كان لإسلوب نص ما في زمن كتابته"[1]، وعلى هذا يكون اختيار الألفاظ على وفق المخاطب أي لا يمكن فصل الدال عن المدلول وهذا ما أسماه ريفاتير بالمحور الخارجي[2]، أي علاقة النص بالخارج وبالوقائع التي يبنى عليها النص مراعيا زمن الكتابة، مما يستدعي من الكاتب أن يراعي مسألة اختيار الألفاظ ومطابقتها للمعاني ومراعاة المتلقي ومن هنا يظهر الملمح الأسلوبي البنيوي الذي جاء به ريفاتير، وإنّ المتتبع لكلام الجاحظ يجد أنّه في غير مرة ظهرت عنده ملامح أسلوبية بنيويّة، وكان لها من الجلاء ما جعل منها يسيرة التعرف عليها إلا أن الفارق دائما يكون في المصطلح أو بآلية الطرح المختارة من الكاتب نفسه، إذ يقول في موضع آخر من كتابه البيان والتبيين: "وجملةُ القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهي إليه، ولا يؤْتَى على وصفه، وإنّما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص، وقد رأينا الله (عز وجلّ) ردد ذِكر قِصة موسى وهودٍ، وهارون وشُعيبٍ، وإبراهيم ولوطٍ، وعادٍ وثمود، وكذلك ذِكْر الجنة والنار وأمورٍ كثيرةٍ؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبِي غافلٌ، أو معاند مشغولُ الفِكر ساهي القلب"[3]، وهنا بالوقوف عند لفظ ترداد وما طرأ عليه من تغير دلالي حتى وصلت إلى التكرار أي أن الترداد يشير إلى التكرار إذ إن تكرار الألفاظ

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفاتير، ترجمة: د. حميد لحمداني، دار النجاح الجديد – البيضاء، ط1، 1993: 29.

(2) دراسات في نقد الشعر، 62.

(3) ينظر: البيان والتبيين: 1/ 105.

لـه مـن الأثـر فـي الأسـلوب أن يكـون ذا عنصـر جـذب وتشـويق، إن كـان مـن نـوع التكرار غير الممجوج في السمع ولا في القراءة عند السامع أو القارئ وتكرار القصة أيضا يفضي إلى زيادة في الموعظة على مستوى الآيات القرآنية واستنتاج معانٍ جديدة متعلق بغرض إما داخل النص أو بالمتلقي ولو تأملنا هذا النص المار ذكره سينساب إلى أفهامنا أن الملمح الأسلوبي البنيوي قائم على إحصاء الترددات في النص أو إحصاء التكرار للقصة كما أوردها الجاحظ مبينا في ذلك مدى العلاقة بينها وبين المتلقي وهذا ما اصطلح عليه بالمحور الخارجي[1]، أي هو البحث عن العلاقة بين النص والمتلقي أو الواقع الخارجي وهذا ملمح من ملامح الأسلوبية البنيويّة، إذ يقول ريفاتير في التكرار: "أن تكون التشكيلات الأكثر تكرارا ينبغي أن يستند إلى مجموعة أوسع من التعويضات الممكنة"[2]، فضلا عن أن في كثرة الترداد أو التكرار هنالك تضاد أسلوبي؛ لأن التكرار يفيد أن هنالك تتابعا في الحدث الأسلوبي داخل النص، فعندما يتغير ذلك التتابع في الحدث إلى موضوع مغاير يكون هنالك تضاد أسلوبي أي تغير في الموضوع الواحد المتحدث فيه إلى موضوع مغاير عنه مما يحدث تضادا أسلوبيا في النص وهذا من الملامح الأسلوبية البنيويّة.

2- ابن قتيبة (ت 276هـ)، أدب الكاتب.

قال: "العدول عن المصدر" تتبعا إلى "أَتِّباعا"، ثم قال: وإنما تجيئ هذه المصادر مخالفة للأفعال لأن الأفعال وإن اختلفت أبنيتها فهي واحدة في المعنى"[3]، وهنا نجد أن اختيار صيغة صرفية دون أخرى تبعا لمطابقة القصد الذي يروم المتكلم الوصول به إلى السامع أو المتلقي ذلك ضرب من الإبداع، فضلا عن أن الأبنية وإن

(1) دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) ينظر: معايير تحليل الاسلوب: 60.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 29.وأدب الكاتب، ابن قتيبة، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمّد الدالي، دار مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د. ط، 421.

اختلفت فإنّها تؤدي إلى معنى واحد إلّا أن الفارق يكمن في ما يود القائل الوقوف عنده من معنى زيادة أو نقصان إذ اشترط ريفاتير على الباحث الأسلوبي أن يكون ذا دراية، إنّ الدلالة في الأسلوبية البنيويّة خاضعة لأربعة مقاييس هي (معجمية – صرفية – سياقية – نحوية)[1]، إذ يقول ريفاتير: "هناك كلمة نحتت الدلالة... والتي هي بطبيعتها ذاتها من شأنها أن تخلق مفاجأة في أي سياق"[2]، أي أنّ الكلمات ذات تأثير مباشر في إظهار الدلالة بالنسبة لأي نص لما يطابق قصد المتكلم والمعنى المراد التعبير عنه، وما ذهب إليه ابن قتيبة في هذا الموضع ما هو إلّا كما أوضح ريفاتير من أن الدلالة في هذا الموضع خاضعة لمقياس المعجمية، هذا من باب ومن باب آخر إن اللفظ بما هو لفظ اعتيادي مؤدٍ لمعنى مراد، يبقى أن كلّ اختيار لبنية معبر عن اختيار الكاتب من وجهة الاستبدال العمودي للنص أي أن أيَّاً كان التركيب يبقى المتكلم أو منشئ النص هو صاحب الاختيار بين البنى بما يتوافق ومقتضى الحال.

وإن من الملامح الأسلوبية البنيويّة التي ظهرت عند ابن قتيبة في ذات الكتاب الآنف الذكر قوله: "ما جاء فيه المصدر على غير صدر"[3]، كما سلف القول في النص السابق أن اختيار الصيغة الصرفية المعينة لغرض معين يؤدي الدلالة لما له من أثر في نفس السامع أو المتلقي، إذ أنّه أوضح أن العمل في هذا السياق هو عن الدلالة اللغوية وما هي الأبعاد النفسية على المتلقي بين استعمال

(1) الأسلوبية بين مجالي الأدب ونقده والدراسات اللغوية، د. مؤمني بو زيد، جامعة محمّد الصديق بن يحيى – حيجل، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية العدد 9 – 2014: 95.

(2) معايير تحليل الأسلوبية: 60.

(3) أدب الكاتب: 421.

الصيغ على وفق الدلالة اللغوية لذلك النص وبين ما وضعت له في أصل اللغة بوصفها نظما إشارية تتضمن أبعادا إشارية[1] تظهر الملمح الأسلوبي البنيوي.

3- ابن المعتز (ت 296 هـ) كتاب البديع.

من الملامح الأسلوبية في هذا الكتاب قوله: "انصراف المتكلِّم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك"[2]، إن اعتماد ما يسمى في البلاغة العربية بأسلوب الالتفات في إظهار المعاني والوقوف على الدلالات واحد من مقومات النصوص ولوازم إضفاء المعاني وسعة رقعة التأثير في المتلقي والمتأمل في ما ذهب إليه ريفاتير من مظاهر للأسلوبية البنيويّة يجد أنّه أثبت في ضمن مظاهرها المنبثقة من المحور الداخلي للنص وتتابع النسق الأسلوبي والإتيان بالتضاد الأسلوبي إذ يقول: "هو نموذج لساني مقطوع بواسطة عنصر غير متوقع"[3]، أي أنّ السياق يسير على وفق تراتبية ووحدة موضوع حتى يأتي لفظ يقطع ذلك السياق إلى ما هو ضد ذلك أي يكون انعطافا إلى الضد من طريق عنصر لساني جديد قاطع للسياق المتعلق بهذا المظهر إذ لو تتبعت هذا الأسلوب تجد أنّ المتحدث فيه يسير بتتابع أسلوبي معين ثم ينعطف إلى أسلوب آخر مضاد له وهذا ما هو راسخ عند الباحث الأسلوبي البنيوي، ولو تتبعنا النص غاية التتبع لوجدنا أنّ الكاتب اعتمد في كلامه على المقومات الأسلوبية النحوية التي تعتمد على الضمائر التي من شأنها تغيير الزمن وتغير المتحدث معه أي اعتمد على العناصر الأسلوبية

(1) ينظر: محاضرات في الأسلوبية وتحليل الخطاب (المحاضرة الأولى)، محمّد نعمي، جامعة البليدة 2، الجزائر، الأسلوبية البنيوية.

(2) كتاب البديع، ابن المعتز(ت 296هـ)، اعتنى بنشره والتعليق والمقدمة والفهارس أغناطيوس كراتشيوفسكي عضو أكاديمية العلوم في لينين غراد، دار المسيرة، بيروت، ط 3، 1402 هـ - 1982 م: 58.

(3) معايير تحليل الأسلوب: 56.

والعلاقات بينها لإنتاج بنية نصية مفهمة للمعنى وهذا ما ذهب إليه ريفاتير أنّ البحث عن العناصر ونوع العلاقة بينها هو المنتج للأسلوبيّة البنيويّة.

4- الحسن بن بشر الآمدي (ت 631 هـ)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري.

مما جاء فيه من ملامح أسلوبية بنيويّة قوله: "الصدق الحرفي في المضمون (محاكاة الواقع) والجمال الديباجة، فيقول: إن أسلوب البحتري إنّما حسن هذا الحسن، وقبلته النفوس؛ لأنه اعتمد أن يخبر بالأمر على ما هو، مع حسن عبارته، وبراعة نسجه، وجودة تلخيصه ومتخير الفاظه"[1]، إنّ اعتماد اللغة السهلة المتصلة بالحدث الخارجي أي ما يدور في الواقع يكون ذا أثر بليغ في نفس المتلقي لذا كان شعر البحتري أقرب إلى نفوس الناس من أبي تمام لاختيار الألفاظ السهلة اليسيرة على السامع مع سبكه لها بطريقة السهل الممتنع فضلا عن تمثيلها للواقع تمثيلا مفهما للقارئ والسامع، مقصد المتكلم في كلامه بالعودة إلى ما جاء به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة إذ يقول: "النص مصدر ثر للوقائع التي يمكن أن تصلح لإعادة بناء وضع سالف للغة، ويحاول الأسلوبي إعادة بناء الأثر الذي كان لأسلوب نص ما في زمن كتابته"[2]، تجد في المحور الخارجي أنّه ينطلق من النص إلى الواقع وهذا ذات الذي جاء به الآمدي في موازنته متخذا من اللغة معينا له إذ جعل المقياس للتفاضل بين الشاعرين هو مقدار دنوهما من الواقع مع اختيار الألفاظ الحسنة المعبرة عن حقيقة الدلالة المرادة من النص وذلك يثبت أن البحتري توافرت عنده هذه اللوازم إذ كان سبيله إلى ذلك هو الأسلوبية البنيويّة، وهذا مستوحى من المحور الخارجي الذي نادى به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة[3].

---

(1) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الحسن بن بشر الآمدي، تح: السيد أحمد صقر – عبد الله المحارب، دار المعارف – مكتبة الخانجي، ط 4، 1994 م: 181.

(2) معايير تحليل الاسلوب: 29.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

5- أبو الحسن الرماني (ت 384 هـ) النكت في إعجاز القرآن.

إذ أن مما جاء فيه قوله: "وإنما صار الحذفُ أبلغَ من الذِّكر؛ لأن النفس تذهب فيه كلّ مذهب، ولو ذُكِر الجواب لَقُصِر على الوجه الذي تناوله البيان"[1]، بالتأمل في النص المذكور يستشف أنّ القياس لتقبل النص هو مدى تأثيره في المتلقي من طريق تحكيم السياق والحذف والذكر وتحديد الدلالة من طريق السياق ذاته معتمدا في ذلك ما جاء به ريفاتير من مسألة القارئ العمدة[2]، إذ قال: "مجموعة قراءات وليس متوسطا أنه أداة لإظهار منبهات نص لا أكثر ولا أقل"[3]، أي أنّ القارئ العمدة ليس بشخص يقرأ النص؛ إنّما هم مجموعة من القراء ومن طريق تفاعلهم مع النص الذي قاموا بقراءته يتبيّن للباحث الأسلوبي مدى تأثير ذلك النص وفاعليته وحيويته، والدلالة السياقية الموقعية للألفاظ[4]، وكما ذكر ذلك في قوله: "الكلمة لا تختلف من حيث المعنى، ولكن معناها مهما كانت طبيعته على مستوى اللغة، من الضروري أن يتبدل في النص بواسطة ما يأتي قبلها وما يأتي بعده"[5]، ومدى تأثير ذلك في المتلقي وإظهار ذلك الأثر عليه، هذا من جانب، ومن جانب

(1) النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ)، تح: محمّد خلف الله، د. محمّد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط 3، 1976 م: 77.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي، شكري محمّد عياد، دار العلوم، جدة، السعودية، ط 1، 16.

(3) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(4) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث(الأسلوبية والأسلوب)، نور الدين السد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 م، 1: 94.

(5) معايير تحليل الأسلوب: 21.

يلمح من قول صاحب النكت أن دلالة اللغة لها أبعاد تأثيرية نفسية[1]، تعطي قبولا أو رفضا لدى القارئ أو السامع وهذا عين ما جاء به ريفاتير من بحثه عن الدلالات اللغوية وأبعادها النفسية والاجتماعية إذ أن المتكلم ابن بيئته ومجتمعه، به يتأثر ومعه يتساير ويتعايش، إن الأسلوبية البنيويّة لها ملامح جلية في الموروث العربي البلاغي النقدي.

وجاء في موضع آخر من الكتاب ذاته قوله: "غفِّار معدول عن غافر للمبالغة"[2]، إن اختيار صيغة دون أخرى واحدة من لوازم مراعاة المعنى والقصد المراد من النص الذي يود المتكلم بلوغه عند السامع أو القارئ لذا اختيار صيغة المبالغة من شأنها زيادة في المعنى وهذا من المقاييس التي تخضع لها الدلالة في الدراسة الأسلوبية البنيويّة التي جاء بها ريفاتير هو المقياس الصرفي وهو أحد أربعة مقاييس: "معجمية، صرفية، سياقية، نحوية"[3]، إذ يقول: "هناك كلمة نحتت الدلالة... والتي هي بطبيعتها ذاتها من شأنها أن تخلق مفاجأة في أي سياق"[4]، وما نجده في قول صاحب النكت ما هو إلا المقياس الصرفي الذي نصت عليه الأسلوبية البنيويّة وكيفية استعمال صيغة دون الأخرى وكيفية العدول من صيغة إلى أخرى على وفق ما يتناسب والسياق الذي جاءت فيه الصيغة من مبالغة في السياق المذكور في النص أعلاه إذ أوضح الفرق بين غافر وغفّار لاحتياج السياق إلى كثرة المغفرة وهذا ما يتناسب والرحمة الإلهية.

---

(1) ينظر: الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، حمادي صمود، تح: توفيق بكار، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1988 م: 149.

(2) النكت في إعجاز القرآن: 104.

(3) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تأريخية تأصيلية نقدية، فايز الداي، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1973 م: 20.

(4) معايير تحليل الأسلوب: 60.

وفي موضع آخر قال: "فإن الإيجاز في موضعِهِ، وحذْفُ ما يستَغنَى عنه من الكلام نوع مِن أنواع البلاغة، وإنما جاز حذفُ الجواب في ذلك وحسن؛ لأن المذكور منه يدلُّ على المحذوفِ والمسكوتِ عنه مِن جوابه؛ لأن المعقول من الخطاب عند أهل الفَهم كالمنطوق به"[1]، والذوق اللغوي العربي يمج أن يكون السياق ذا رتابة وخالي من أي شدّ ذهني يجلب انتباهه لذلك كثيرا ما يلجأ العربي إلى المجاز في كلامه وحذف بعض الكلام لدلالة السياق عليه وذلك من قبيل خير الكلام ما قلّ ودلّ وهذا عين ما جاء به ريفاتير إذ جعل الحدث الأسلوبي قائما على السياق والتضاد القاطع لنسقه إذ يمكن أن يلمح من الحذف التضاد الأسلوبي[2]، لما يحمله من كسر أفق التوقع لدى السامع أو القارئ، ولو تأملت النص محل الدراسة تجد أن الاعتماد في إظهار الملمح الأسلوبي البنيوي على القارئ العمدة بقوله: "عند أهل الفَهم" وهذا عين ما جاء به ريفاتير من تحديد القارئ العمدة[3]، إذ يقول: "مجموعة قراءات وليس متوسطا أنه أداة لإظهار منبهات نص لا أكثر ولا أقل"[4]، ومدى تأثير النص فيه واستنباط الملمح الأسلوبي البنيوي من ذلك كله.

6- علي بن عبد العزيز الجرجاني(ت 392هـ)، الوساطة بين المتنبي وخصومه.

من ملامح الأسلوبية البنيويّة التي بانت عنده قوله: "تقَسّم الألفاظ على رتب المعاني"[5]، إن لكل معنى في مضمر الكاتب ما يمكن أن يعبر عنه من لفظ يوصل الدلالة أو يعبر عن مقصد الكاتب لذا بيّن الجرجاني في هذا الموضع أن الألفاظ

(1) النكت في إعجاز القرآن: 77.

(2) ينظر: الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة: 150 – 151.

(3) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(4) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(5) الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم – علي محمّد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د. ط، 1966 م: 24.

تقسم على رتب المعاني ومما لا يخفى على الناقد الأسلوبي البنيوي أنّ الأسلوبية البنيويّة جاءت منادية بعدم الفصل بين الدال والمدلول[1]، إذ قيل فيه: "ولا مجال في الأسلوبية البنيويّة للفصل بين الدال والمدلول، كما أنها تتخذ من النص مرجعًا وحيدًا لها، لأن النص هو المعني بالدرس أوّلا وأخيرًا"[2]، لذلك هي محتاجة إلى اختيار الألفاظ المساوقة للمعاني المراد التعبير عنها حتى يتم السياق المعبر عن قصد المتكلم وهذا ما يستشف من القول المار ذكره.

وفي موضع آخر من الكتاب ذاته يقول: "إن الشاعر الحاذق من يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة فإنها الموقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء"[3]، إن الآذن الواعية الناقدة للمتلقي تمحص الكلام وتمج الرديء منه وتقبل الحسن الجيد فإن كان الكاتب اختار الكلام على وفق ما قصد من معنى بسياق يدخل السمع والفكر دون ترك أي انعطافة عن سلامة السبك وتآلف العناصر اللسانية في ذلك النص، كان في كل ذلك مُوصِل للمعنى ومفهم للقصد مراعيا في ذلك كله السياق إذ يقول ريفاتير: "استخدام عدد من العناصر الأكثر ألفة"[4]، لا مناص في الأسلوبية البنيويّة من وجود علاقات بين مستويات النص[5]، فضلا عن التأكيد على العلاقة بين العناصر[6]، المكونة لسياق النص ذاته ووحدة الدلالة فيه وهذا ما يمكن فهمه من القول المار دراسته المشير إلى

(1) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، 1: 94.

(2) المصدر نفسه، 1: 94.

(3) الوساطة بين المتنبي وخصومه: 48.

(4) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(5) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب: 93.

(6) ينظر: علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، صلاح فضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1985 م: 138..

العلاقة بين مستويات النص من استهلال وتخلص من ثمة الخاتمة وما لها من تأثير في السامع أو المتلقي.

7- أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) الفروق اللغوية.

مما يمكن أن يكون من ملامح الأسلوبية البنيويّة في هذا الكتاب قوله: "إن (الرحيم) مبالغة لعدوله وإن (الرحمن) أشد مبالغة لأنه أشد عدولا"[1]، إنّ الإتيان بصيغة صرفية دون الأخرى ذلك من لوازم إيضاح القصد والتعبير عن المعنى البعيد للفظ لا القريب؛ لأنه ببساطة شديدة لو أراد المعنى القريب لتوقف عند الصيغة المعتادة دون العدول إلى غيرها إذ يقول ريفاتير: هناك كلمة نحتت الدلالة... والتي هي بطبيعتها ذاتها من شأنها أن تخلق مفاجأة في أي سياق"[2]، والمتأمل في الأسلوبية البنيويّة وما أشار إليه ريفاتير محددا به بعض الملامح الخاصة بها يجد أنّ لها مقاييس أربعة كما أسلفنا القول من هذه المقاييس هو المقياس الصرفي واختيار الصيغة المعبرة عن الدلالة المُكْتَنَزَة عند المؤلف لذا يتم اختيار الألفاظ أو العناصر على وفق هذا المبدأ؛ تجد الكاتب في الأسلوبية البنيويّة يستعمل اللفظ هذا بدل اللفظ ذاك والعنصر اللغوي هذا دون العنصر اللغوي الآخر انطلاقا من إيمان الباحث الأسلوبي البنيوي بأنّ العناصر والعلاقة بين هذه العناصر هي المنتجة للنص والمعبرة عن دلالاته.

8- أبو هلال العسكري(ت 395هـ)، كتاب الصناعتين.

مما ورد فيه من ملامح الأسلوبية البنيويّة قوله: "الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بطول الفكرة ويكون سليما من

(1) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار آفاق الجديدة، دار آفاق الجديدة، بيروت، ط 4، 1400 هـ - 1980 م: 215.

(2) معايير تحليل الأسلوب: 60.

التكلف بعيدا من سوء الصنعة بريا من التعقيد غنيا عن التأمل"[1]، إنّ تفاعل العناصر داخل النص وإمكانية تعبيرها عن المضمون الذي يود الكاتب التعبير عنه من طريق اللغة ذلك كله ركيزة من ركائز تكوين سياق مفهم مؤدي لمقصدية المتكلم المتحدث عن حكمة المنشئ للنص، إذ الأسلوبية البنيويّة التي جاء بها ريفاتير وما اصطلح عليه بالمحور الداخلي[2]، إذ يقول: "الكلمة لا تختلف من حيث المعنى، ولكن معناها مهما كانت طبيعته على مستوى اللغة، من الضروري أن يتبدل في النص بواسطة ما يأتي قبلها وما يأتي بعده"[3]، أي تفاعل العناصر فيما بينها بنوع علاقات متناسقة مكونة لسياق الكلام واتساق أفكاره في التعبير عن خلجات الكاتب، وهذا بادٍ في ما نصّ عليه صاحب كتاب الصناعتين في ما مرّ من كلام إذ جعل الاسم أي اختيار العنصر الكلامي معبرا عن المضمون الذي جاء به النص وذلك عين ما وقف عليه ريفاتير.

ذكر أيضا في الكتاب ذاته قوله: "اسم لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة منها ما يكون شعرا ومنها يكون سجعا ومنها ما يكون خطبا وربما رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ والإيجاز هو البلاغة"[4]، بالتأمل في النص المارِّ ذكره والنظر إلى النص السابق عليه لا نجد افتراقا بين كلا النصين من جهة التوظيف للمحور الداخلي في الكلام سوى أنّ القول الأخير انماز عنه بأن جعل المجاز من شرائط النص والسياقات البلاغية وهذا مرَّ ذكره في مواضع سالفة

(1) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت 395هـ)، تح: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2: 34.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) معايير تحليل الأسلوب: 21

(4) كتاب الصناعتين: 20.

من الحديث أي أن ملامح الأسلوبية البنيويّة لها أشكال كثيرة في التراث العربي ومنها ما كان متكررا في أكثر من موضع في كتب البلاغة ذاتها.

9- الباقلاني (ت 403هـ)، كتاب إعجاز القرآن.

مما يمكن أن يعزى إلى ملامح الأسلوبية البنيويّة في هذا الكتاب قوله: "خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد"[1]، وهنا تجده يتحدث عن إمكانية توظيف العناصر اللغوية في السياق الذي ينماز به كل منشئ لنص عن غيره لأن اختيار العناصر والعلاقات فيما بينها وتوظيفها في سياق معبر عن الدلالة التي يرمي إليها المتكلم كل ذلك يعطي هذا الكاتب دون ذاك مزية تغاير أسلوبهما عن بعضهما لأن العلاقات اللغوية هي المرتكز الأساس في تحليل النصوص من وجهة نظر الباحث الأسلوبي[2]، وإن من أساسيات الأسلوبية البنيويّة هو كسر أفق التوقع لدى السامع أو المتلقي ومما جاء في الأسلوبية البنيويّة وقت تحدث عن الانزياح إذ قال: "قد يكون الانزياح خرقا للقواعد، أو لجوء إلى ما ندر من الصيغ...، وإذا كان لجوءًا إلى ما ندر من الصيغ، فهو من مقتضيات اللسانيات العامة والأسلوبية خاصة"[3]، وهذا نفسه يمكن أن يفهم من قول الباقلاني المارّ ذكره.

(1) إعجاز القرآن، أبو بكر محمّد بن الطيب للباقلاني 403هـ، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط 3: 51 – 52.

(2) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، 1: 93.

(3) التفكير الأسلوبي عند ريفاتير، مونية مكرسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي تخصص البلاغة والأسلوبية، جامعة الحاج لخضر – باتنة، 2009- 2010: 73.

10- ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) ، كتاب سر الفصاحة.

إن من الملامح التي وردت في هذا الكتاب قوله: "الإيجاز: إيضاح المعنى بأقلّ ما يمكن من اللفظ"[1]، حتى يكون نص كاتب ما متفردا عن غيره من النصوص لابد للكاتب أن يفعمه بما يميزه من صياغات والفاظ متساوقة والمعنى الذي يروم الوقوف عنده فضلا عن أن ذلك يعد مزية لهذا الكاتب دون غيره مما يكسب النص فرادة عن غيره من النصوص، وبإنعام النظر في النص المذكور آنفا يظهر إلى الباحث الأسلوبي البنيوي أن اختيار العناصر اللسانية[2]، يأتي على وفق ما يود المتكلم التعبير عنه لذلك يلجأ المؤلف إلى اختيار العناصر المتعالقة المعبرة عن المعنى الذي يدور في مخيلته وهذا ما يمكن أن يلائم الفهم عند قراءة القول المار وهو ملمح أسلوبي بنيوي على وفق ما نادى به ريفاتير وقت قال: "كلما استخدمت عناصر لغة أدبية ما، من لدن كاتب قصد إحداث تأثير محدد، فإن هذه العناصر تصبح وحدات من أسلوبه"[3]، أي أن اختيار العناصر اللسانية المكونة لسياق نص كاتب ما التي بها يعبر عن قصده بتكرارها في النص تصبح سمة أسلوبية ينماز بها ذلك الكاتب دون غيره وهذا ما يعطيه فرادة عن غيره بالتعامل مع المعنى والقصد الذي يروم الوقوف عنده وبالمحصلة النهائية سيكون هذا جزء غير متجزئ من أسلوبه.

---

(1) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، صححه وعلق عليه: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمّد علي صبيح وأولاده، مصر، ميدان الأزهر، 1372 هـ - 1952 م: 211.

(2) ينظر: علم الأسلوب (مبادئ وإجراءاته): 138.

(3) معايير تحليل الأسلوب: 22.

11- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت471هـ)،

أ- كتاب دلائل الإعجاز.

إنّ ما يمكن أن يقال عنه من ملامح الأسلوبية البنيويّة في هذا الكتاب قوله: "الأسلوب الضرب من النَّظم والطريقةُ فيه"[1]، كما مرَّ في سالف الكلام أن اختيار طريقة من السبك واختيار الألفاظ التي تتناسب والقصد الذي يود المتكلم التعبير عنه إذ قال: "قد يكون الانزياح خرقا للقواعد، أو لجوءا إلى ما ندر من الصيغ،... وإذا كان لجوءًا إلى ما ندر من الصيغ، فهو من مقتضيات اللسانيات العامة والأسلوبية خاصة"[2]، وكلما كان النص ذا فرادة منمازا عن غيره من النصوص بما يكتنفه من صياغات أو عناصر لسانية تضفي عليه إيحائية للدلالة إذ أن الأسلوب هو النص ذاته كما نادت الأسلوبية البنيويّة التي جاء بها ريفاتير كما مرَّ الذّكر.

إن من أهم الذين بانت عندهم مظاهر الأسلوبية البنيويّة بوضوح عالٍ هو الجرجاني: عبد القاهر إذ يقول: "إعلم أن ليس النَّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقْتضيه علم النحو...، وذلك أنّا لا نَعلَم شيئًا يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلِّ بابٍ وفروقِه...، ويتَصرفَ في التعريفِ، والتنكيرِ، والتقديمِ، والتأخيرِ...، وفي الحذفِ، و التَّكرارِ، والإضمارِ، والإظهار، فيصيب بكلٍّ من ذلك مكانَه، ويستعملَه على الصحةِ وعلى ما ينبغي له"[3]، إنما ذكر من أسس وقواعد بها يحد النظم على وفق ما ذهب إليه الجرجاني من ذكر يفتح للكاتب بابا يلج به إلى باحة إظهار القصد أو الدلالة من الكلام، إذ أن اشتراط مراعاة معاني النحو من أولى

(1) كتاب دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تح: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي – مطبعة المدني، د.ط، د. ت، 468 – 469.

(2) التفكير الأسلوبي عند ريفاتير، مونية مكرسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي تخصص البلاغة والأسلوبية، جامعة الحاج لخضر – باتنة، 2009- 2010: 73.

(3) المصدر نفسه: 73.

الركائز التي يلتجأ إليها في صياغة نصٍ ما، لما لها من أثر صريح جداً في تحديد المعنى، إذ لا يمكن أن يردَ ما حقه النصب بدلاً عما كان استحقاقه الضم مثلاً، وأن يراعى ترتيب الجملة وإن كانت تشتملُ على أكثر من منصوب في سياقها من مثل المفعولات وأسم إن وخبر كان، فضلا عن مراعاة التقديم والتأخير في الجملة، فقد يقدم الكاتب ما كان حقه التأخير، وقد يؤخر مان حقه التقديم، ولا بد أيضا من مراعاة التنكير والتعريف والنظر إلى ما يذهب إليه التنكير من عمومية المعنى وما يذهب إليه التعريف من تخصيص للمعنى، وكذا الحالُ في التعاملِ مع الحذف والذكر، إذ أن البلاغيين يجمعون على أن في الحذف زيادة في المعنى أو سعة في الدلالة مما يؤدي إلى زيادة في بلاغة النص، فضلا عن مراعاة ظروف تكرار لفظ في سياق ما لغرض إظهار دلالة معينة، لأن من التكرار ما تمجّه النفوس وترفضه الآذان، لما يضفيه من رتابة جالبة للملل والسأم، لذا لابد من مجيْ التكرار بصياغات وأساليب تتوافق وقصد المتكلم في إظهار ما يرمي إليه من دلالة مع مراعاة الذوق العام ومقتضى الحال، وكذا الحالُ بما يتعلق في إظهار أو إضمار الضمائر لما لها من أثر في الدلالة، فضلا عن باقي المضمرات، الدائر في كنف هذا النص المار إيضاحه يرى أن الجرجاني ما تحدث خارج النص قط، إذ أنه لم يأتِ بمتعلقات النص في الخارج إنما كان يوضحُ كل ما من شأنه إظهار الدلالات والمقاصد التي يروم المتكلم في إيصالها إلى المتلقي من طريق النص نفسه، وهذا يوازي إذا ما ذهبنا إلى الأسلوبية البنيويّة عند ريفاتير ما أسماه بالمحور الداخلي، إذ قال: "تدرس الأسلوبية داخل الملفوظ اللساني تلك العناصر المستخدمة لفرض طريقة تفكير المسنن"[1]، المتأمل الكلام المذكور آنفا يجد أنّه مرتكز على أحد المقاييس الأسلوبية

(1) معايير تحليل الأسلوب: 68.

البنيويّـة والمعنـي بـذلك المقيـاس النحـوي[1]، إذ أن الجرجـاني يشـترط مراعـاة معـاني النحو أي أن الدلالة تتمحور حول البنى المختارة لصياغة التركيب، من ثم يلجأ إلى عناصر النص ذاته والعلائق التي تربط في ما بين هذه العناصر متخذا من أساليب اللغة معينا وهذا ما أسماه ريفاتير بالمحور الداخلي[2]، وسعيا خلف خيط تواصل وزاويـة تمـاس بـين الأسـلوبية البنيويّـة ونظريـة الـنظم لعبـد القـاهر الجرجـاني، إذ أن الأخير دائما ما يخاطب المتلقي سامعا وناظرا ومتصفحا وقارئً[3]، وهذا ذاته ما تحدث عنه ريفاتير حين انتخب القارئ العمدة في الأسلوبية البنيويّة، أي المتلقي المبدع هو من يقوم باستقراء النص عند كليهما متخذا من مكونات الخطاب اللغوي واكتشاف خفاياه معينا لسبر أغوار النص المراد دراسته[4]، إذ قال إن القارئ العمدة أو (القـارئ النمـوذجي) "لـيس معنيـاً إلا بمـا يثيـر ردود الأفعـال تلـك أي بمركبـات النص"، ويفهم من هذا أن الدلالة أو مدى تأثير النص ناتج عن ردود أفعال القارئ العمدة تجاه النص بغض النظر عن إبدائه لرأيه.

بزيادة التتبع إلى نقاط التقارب بين عبد القاهر الجرجاني وريفاتير تبيّن أنّ ما اشـترطه عبـد القـاهر مـن مراعـاة علاقـة اللفظـة بسـابقتها وتاليتهـا وأثرهـا فـي تكـوين السياق، وقد أسماه ريفاتير اختيار العناصر اللسانية ويبحث عن العلاقة بين هذه العناصر، ولعل الصواب لا يجافينا إن قلنا: أن هذين الرأيين هما صيغتان لمفهوم واحد.

(1) ينظر: الأسلوبية بين مجالي الأدب ونقده والدراسات اللغوية: 95.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) ينظر: دلائل الإعجاز: 403 – 408.

(4) ينظر: دلالات الأسلوبية البنيوية بين عبد القاهر الجرجاني وميكائيل ريفاتير، طاطا بن قرماز(ناقدة وأكاديمية من الجزائر)، نزوي، العدد: 78، عمان، 2014 م: 64.

من جهة أخرى فإن الجرجاني يشترط أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال، وهذا ما نادى به ريفاتير مع تغير في المفهوم، إذ اشترط أن يكون للنص تأثير في المتلقي على أن يكون الانطلاق من النص إلى الخارج، وهذا ما أسماه بالمحور الخارجي للنص، إذ قال: "هي علمٌ لسانيٌ لتأثيرات الإرسالية ولمردودية فعل التواصل، ولوظيفة الإكراه التي تمارسها على انتباهنا، فلو تأملت الفكرتين ستجد أنّهما أيضا متطابقتان.

من تتبع أقوال الجرجاني يجد الباحث الأسلوبي البنيوي أن مسألة تجذر الأسلوبية البنيويّة قد تمحورت عنده في غير مرة من طريق تصريحه بمضامينها من مثل قوله: "إن التصرف في (الحذف) وسلوك طريقه مما تُؤَدى به المعاني وتُصور به الأغراض، فالحذف إذا ما اقتضاه المقام يكون قلادةَ الجِيد وقاعدة التجويد"[1]، يشترط الجرجاني أن يكون الحذف سلوكا وطريقة في الأداء إذ يراه مما يقتضيه المقام وهذا من المظاهر الداخلية للنص الذي عبر عنها ريفاتير بالمحور الداخلي، كما مرّ الذكر، من ثمّ يشترط الجرجاني أن يكون الكلام مراعيا للمقام ومقتضياته، أي يشترط العلاقة الطبيعية بين النص وما يتعلق به في الخارج وهذا أيضا ما توقف عنده ريفاتير إذ أسماه بالمحور الخارجي، فالجرجاني يعبر عن الحذف بقوله: "فما من اسمٍ أو فعلٍ تجده قد حذِف، ثم أُصيب به موضِعه، وحذِف في الحال ينبغي أن يحذَف فيها، إلا وأنت تجد حذفَه هناك أحسن من ذِكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النُّطق به"[2]، يرتكز كلام الجرجاني على الأثر الذي يتركه الحذف في دلالة النص إذ يجعل منه العامل في إنتاج المعاني وهذا ما أسماه ريفاتير في ما بعد

(1) دلائل الإعجاز: 151.

(2) المصدر نفسه: 152 – 153.

بفرادة النص[1]، أي أن النص إذا ما توافرت فيه مجموعة من اللوازم النصية كان متسما بالفرادة عن غيره وهذا ما يبحث عنه الباحث الأسلوبي البنيوي؛ لأن ريفاتير يرى "إن الأسلوب هو النص نفسه"[2]، إذ يرى الجرجاني أن الحذف: "هو باب دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذِّكر أفصح من الذِّكر، والصمتَ عن الإفادةِ أَزيد للإفادة، وتجدك أنطَقَ ما تكون إذا لم تَنطِق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن"[3]، يثبت من حديث إلى آخر أنّ الحذف من العوامل المهمة بل الفاعلة في إنتاج المعنى وهذه من مظاهر الأسلوبية البنيويّة التي لطالما أكد عليها ريفاتير أي أن في النص ما يضفي عليه صفة الفرادة، كما أوضحنا في نص سابق.

ب- أسرار البلاغة

قوله: "والصنعة والحذق والنَّظر الذي يلطف ويرق في أن تجمع أعناق المتنافرات والمتباينات في رقة وتعقد الأجنبيات معاقد نسب وشبكة، وما شرفتْ صنعةٌ ولا ذُكِر بالفضيلة عملٌ, إلَّا لأنَّهما يحتاجان من دقة الفكر ولطف النَّظر ونفاذ الخاطر إلى ما لا يحتاج إليه غيرهم"[4]، يوصل الجرجاني في قوله هذا إلى القارئ أن الدلالة متحصلة من النص ذاته من طريق بيان الأفكار وإمكانية المؤلف على إظهاره بأبهى حللها من تناسق وحذق ولطف وما إلى ذلك، وهذا عين ما نادى به

(1) ينظر: مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي، اتحاد الكتاب العربي، 1990: 157.

(2) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1985: 84.

(3) دلائل الإعجاز: 146.

(4) أسرار البلاغة في علم البيان، الجرجاني، علق عليه محمّد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988: 150.

ريفاتير، إذ لا مجال للباحث الأسلوبي البنيوي في أن يبتعد عن النص؛ لأن النص هو المرجع الوحيد بالنسبة للمشتغلين على مجال الأسلوبية البنيويّة.

وإن من النصوص التي لابد من المرور عليها عند الجرجاني قوله: "المجاز مفُعَل من جاز الشي يجوزه، إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللغة، وصف بأنه مجاز، على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا"[1]، يقف الجرجاني في هذا القول على واحدة من المقاييس الأسلوبية التي اشترطها ريفاتير وهو المقياس المعجمي[2]، للفظ وهنا يكمن موضع الالتقاء بين ريفاتير والجرجاني وإظهار الملمح الأسلوبي البنيوي الذي مرّ عليه ريفاتير فيما بعد وأسماه بالمقياس المعجمي.

وإن من المظاهر الأسلوبية البنيويّة التي ظهرت عند الجرجاني قوله: "من المركوز في الطبع أن الشَّيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجلَّ وألطف وكانت به أضن وأشغف"[3]، تتنشق من كلام الجرجاني أن الأصل في إيضاح الدلالة هو الأثر النفسي للغة وهذا ما مر على ذكره ريفاتير باعتماد الباحث الأسلوبي البنيوي الابعاد اللغوية وآثارها النفسية والاجتماعية[4].

إنّ مظاهر الأسلوبية البنيويّة عند الجرجاني جاءت بأكثرها إن لم تكن بكاملها وهذا إن دل إنّما يدل على أن منهج الجرجاني في التعامل مع النصوص كان منهجا أسلوبيا بنيويا مبكرا سابقا لزمانه وتبيّن أنّ ريفاتير قد اتكأ في استنتاجه لمنهج

(1) أسرار البلاغة: 395.

(2) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(3) أسرار البلاغة: 138.

(4) ينظر: الأسلوبية منهجا ونقدا، محمّد عزام، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، ط1، 1989: 99.

الأسلوبية البنيويّة على معطيات قد سبق إليها الجرجاني ولكن بتغيير في منظومة المصطلحات التي وسمت بها مفاصل المنهج إذ من مظاهر الأسلوبية لبنيويّة التي ظهرت أيضا عند الجرجاني قوله: "وحينئذٍ يعمِل هذا المتلقِّي ذهنَه في المذكور من الألفاظ حتى يتوصل إلى المراد من المعاني، غير أن هذا الغموض الذي يحيط بتلك الألفاظ زائد عن المقدار المقبول؛ لأنه أحوج إلى فِكرٍ زائدٍ على المقدار الذي يجب في مثله"[1]، يتلمس من القول المار ذكره إظهار دور المتلقي في إظهار دلالات النص بالاعتماد على مستواه الثقافي واختيار الألفاظ المجسدة للمعاني النّامّة عن إبداع الكاتب ومراعاة المستوى الثقافي لكلا الطرفين من متلقٍ وكاتب وما يحيط بالنص وهذا ما أوضحه ريفاتير وأسماه بالمحور الخارجي[2].

لا جفاء بين الدقة وقول أن نظرية النظم هي أكبر حاضنة للأسلوبية البنيويّة لما جاءت به من لوازم ووسائل تعبير من الحديث عن جمهور المختصين وهذا ما جاء به ريفاتير بتسمية مغايرة ومصطلح جديد وهو القارئ العمدة، وكذلك اشترط ريفاتير العلائق بين العناصر اللسانية والاعتناء باختيارها وهذا ما أكد عليه الجرجاني من اختيار الألفاظ وصلتها بسابقتها ولاحقتها، ثم أن الجرجاني اشترط أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال مع الفصاحة والبلاغة وهذا عين ما أسماه ريفاتير بالمحور الخارجي أي الانطلاق من النص إلى الخارج أي المتلقي، كذلك اشترط الجرجاني أن يكون النص ذا ملامح نصية داخلية عصبها الأوّل والأهم مراعاة معاني النحو والحذف والفصل والوصل وما إلى ذلك من مقومات النص وهذا ما أسماه ريفاتير بالمحور الداخلي، إن الأساليب المكون للنص بما هو نص من دون الاتكاء على خارجه، وعلى ذلك كله قد يصح القول أن أشراقة شمس الأسلوبية

(1) ينظر: أسرار البلاغة: 142.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

البنيويّة ظهرت في سماء بلاغة الجرجاني، وتبعه ريفاتير بذلك ووسمها بمنظومة مصطلحية جديدة.

12- جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ)، الكشّاف من حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل.

إن من العلماء الذين ظهرت عندهم ملامح الأسلوبية البنيويّة أيضا الزمخشري في كتابه الكشاف إذ جاء فيه: "فإن قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت المبالغة"[1]، إنّ اعتماد أساليب البلاغة في إظهار دلالات النصوص ومقاصد المؤلف يُعد لازما من لوازم بلاغة النص، ولعل أسلوب الالتفات واحد من أبرز هذه الخصائص، وكما لا يخفى على كلّ دارس للبلاغة العربية، أن التحول من الغيبة إلى الخطاب تصالح عليه البلغاء بأسلوب الالتفات واضعين له خصيصة المبالغة، أي أن استعمال هذا الأسلوب يضفي على النص التكثير والمبالغة في المعنى.

من الملامح النصية التي أكّد عليها ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة أنّ السياق هو من يحدد الوظيفة اللغوية لكل عنصر من عناصر اللغة وهذا ما جاء به الزمخشري وقت نبّه إلى وظيفة الالتفات في اللغة في القول المار مرتكزا في ذلك على النص دون غيره في إظهار الدلالة أي دلالة المبالغة التي أشار إليها الزمخشري في قوله وهذا ما يعطيها الأبعاد النفسية[2]، التي لها من التأثير في المتلقي، فضلا عن أن أسلوب الالتفات كما مرّ الذكر في صفحات سابقة يعطي للنص معنى التضاد الأسلوبي الذي أكّد عليه ريفاتير بقوله : "هو نموذجٌ لسانيٌ

(1) الكشّاف من حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 528هـ)، دار الكتب العربي، بيروت، 1947م، 1: 12.

(2) الأسلوبية وتحليل الخطاب: 64.

مقطوع بواسطة عنصر غير متوقع"[1]، أي عنصر تغاير أسلوبي جاذب للمتلقي وعامل شد وتشويق له.

من الملامح الأسلوبية البنيويّة عند الزمخشري أيضا قوله: "الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطريةً لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"[2]، يرتكز كلام الزمخشري في قوله على أن الأسلوب هو الأساس في صناعة المعنى المُعَبَّر عنه من قبل المتكلم والمكسب للنص التأثير في المتلقي وهذا ما أسماه ريفاتير بالتضاد الأسلوبي[3]، أي اتباع سياق معين معبر عن غرض معين من ثمة مغايرة هذا السياق إلى ما يعطي معنى غير الذي بدأ به وهذا ما أسماه ريفاتير كما أسلفنا القول بالتضاد الأسلوبي.

13- **يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي السكاكي(ت 626هـ)، مفتاح العلوم.**

مما ورد عنده من ملامح الأسلوبية البنيويّة، قوله: "إن الالتفات أن يدخل المتكلم قضية كلية ليست قريبة عن جملة القول بل القول مندرج طيّها، وهي ترجع عليه بالتوكيد"[4]، مرّ ذكر الالتفات في مواضع سابقة وما هو إلا الملمح الأسلوبي البنيوي الذي حمله في طياته أي التضاد الأسلوبي المضفي إلى النص عنصر التشويق، والشد للقارئ الذي يبعد الملل والنفور من الكلام.

14- **ضياء الدين بن الأثير (ت 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.**

بعد كل ما مرّ ذكر فليس بغريبٍ أن تظهر ملامح للأسلوبية البنيويّة عنده، إذ يقول: "واعلم أنّ الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر المعنى، ومن يذهب إلى

---

(1) معايير تحليل الأسلوب: 56.

(2) الكشاف من حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، 1: 21.

(3) ينظر: الوجه القفا: 149.

(4) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السكاكي (ت 626هـ)، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، 1987، 1: 106.

التأويل يفتقر إلى دليل"[1]، عَدَّ البلاغيون العرب القدماء التغيير في الأسلوب من عناصر الشد وجلب انتباه المتلقي وهذا ما جاء عند ريفاتير معبّر عنه بالحدث الأسلوبي[2]، الذي يكسب النص فرادة أمّا من طريق التضاد أو من طريق مقاييس اللغة المعتمدة فيه فضلا عن أن التغاير الأسلوبي نتاج من الحالة النفسية للمؤلف مضافا إليها الثقافة اللغوية لديه التي من طريقها يعبر عن المضامين التي يود التعبير عنها، وكما مرّ بيان ذلك في غير موضع من مواضع التعامل مع أقوال العلماء السالف ذكرهم.

ومن الأقوال التي جاءت عنده حاملة مظهرا من مظاهر الأسلوبية البنيويّة قوله: "إنَّما صرف الكلام من خطاب نفسه إلى خطابهم"[3]، يوضح بن الأثير في قوله هذا أثر أسلوب الالتفات على السامع ومدى إيصاله للدلالة المطلوب إيصالها وهذا ما أسماه ريفاتير في ما بعد بالحدث الأسلوبي المعتمد على الأبعاد النفسية والاجتماعية لإيصال المعنى بما يتناسب وقصد المتكلم غير منعزل عمّا يجول في خلده من معنى.

15- حازم القرطاجنّي (ت 648هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء.

بزغت في مؤلفاته ملامح للأسلوبية البنيويّة إذ يقول: "اعتنوا باستفتاحات الفصول، وجهدوا في أن يهيؤوها بهيئاتٍ تحسن بها مواقعها في النّفوس وتوقظ نشاطها؛ لتلقّي ما يتبعها وما يتّصل بها، وصدّروها بالأقاويل الدّالة على الهيئات، التي من شأن النّفوس أن تتهيّأ بها عند الانفعالات والتّأثّرات لأمورٍ سارّةٍ أو فاجعةٍ أو

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير(ت 637هـ)، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، د.ط، 1: 32.

(2) ينظر: الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، فرحان بدري الحربي، 16 – 17.

(3) المثل السائر، 7: 2.

شاجيةٍ أو معجبةٍ بحسب ما يليق بغرض الكلام من ذلك"[1]، بإنعام النظر في قول القرطاجني تبيّن أنّه يحرص على شيئين اثنين في النص هو اختيار اللفظ الجيد مفتتحا به الكلام، وحسن المعاني، لتكون ذات تأثير بالغ المقصد على السامع، وهذا عين ما نادى به ريفاتير وقت تحدث عن المحور الخارجي[2]، في الأسلوبية البنيويّة إذ أنّ المحور الخارجي ينطلق من النص واختيار العناصر اللسانية المكونة لسياقه مع مراعاة العلائق بين هذه العناصر ومدى تأثيرها في المتلقي.

16- الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن (ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع.

التحق الخطيب القزويني بركب من ظهرت في نتاجاتهم البلاغية ملامح للأسلوبية البنيويّة، إذ قال: "إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول"[3]، ينبه القزويني في كلامه المار ذكره على علاقة اللفظ بالمعنى الذي وضع له لإيصال قصد المتكلم من دون أن يقع المتلقي في مغبة الاشتباه واللبس بين المعاني لاشتباه المفردة عليه، ولعل الدقة غير بعيدة عن أنّ ما جاء به ريفاتير من قوله بالعلاقة بين الدال والمدلول وعدم القدرة في الفصل بينهما[4]، وهي الصيغة الأخرى لذات المفهوم اللساني المتحدث عنها.

---

(1) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني(ت 648هـ)، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط3، 1986: 296.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني محمّد بن عبد الرحمن (ت739هـ)، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ - 2003م، 1: 98..

(4) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، 1: 94.

وقال في موضعٍ آخر: "العدول هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنهم بآخر منها. ويتفق هذا التعريف مع المفهوم العام للعدول وهو ترك الشيء والتحول عنه إلى غيره"[1]، المتدبر لقول القزويني يخلص إلى أنّ المراد من العدول هو التحدث عن شيء من ثم تغيير مسار الحديث إلى شيء آخر وهذا يعد من ملامح الأسلوبية البنيويّة التي نادى بها ريفاتير وهي المسماة عنده بالتضاد الأسلوبي[2]، أي أن يسير النص بأسلوب، ومن ثمّ تغير ذلك الأسلوب إلى ضده، وعلى هذا يمكن القول أنّ ما يسمى بالعدول عند القدماء هو ملمح من ملامح الأسلوبية البنيويّة عند ريفاتير.

17- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت749هـ)، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز.

هو لم يكن بمنئ عمّا ورد عند غيره من العلماء من ملامح للأسلوبية البنيويّة إذ يقول: "ينبغي لكلّ من تصدّى لمقصدٍ من المقاصد وأراد شرحه بكلامٍ أن يكون مفتتحا كلامه ملائما ذلك المقصد دالّا عليه ...، ليكون معلوما من أوّل وهلة"[3]، يحرص في هذا الكلام على أن تكون العلاقة بين المعنى المكنون في نفس الكاتب واختياره الألفاظ المعبرة عن ذلك القصد الدائر بشأنه الحديث، متوائمة تمام التوائم بحيث يكون اللفظ الصادر من المتكلم، معبرا عن تمام القصد المكنون في صدره حتى يبلغ غاية الفائدة، وإذا تأملنا المحور الخارجي[4]، من الأسلوبية البنيويّة نلحظ

(1) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، 1: 43.

(2) ينظر: الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة: 150 – 151.

(3) كتاب الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي(ت749هـ)، دار الكتب العامة، بيروت، لبنان: 330.

(4) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

أنّ علاقة النص بالواقع وإيصال الفكرة أو المضمون المراد الحديث عنه بينهما علاقة وطيدة وهذا ما أشارت إليه الأسلوبية البنيويّة.

18- **علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت816هـ)، معجم التعريفات.**

كذلك كان لصاحب كتاب التعريفات نصيبه من الملامح التي انمازت بها الأسلوبية البنيويّة إذ يقول: "العدل في اصطلاح النحويين خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى"[1]، بتأمل يسير يتبيّن للقارئ أنّ الشريف الجرجاني قد عزى مسألة تحديد معنى المصطلح إلى جمهور النحويين أي أنّه انتخب ذوي الاختصاص منهم لتبيّن له المعنى المراد للفظ، ولعل الدقة لا تجافي البحث إن أكّد على أنّ هذا ما أسماه ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة بالقارئ العمدة[2]، وهذا ملمح واضح.

من هذا كله يتبين أنّ الأسلوبية البنيويّة متأصلة في التراث العربي البلاغي، وإن مظاهرها منتشرة في أصقاع الكتب بين طيّات صياغاتها وأزقة أفكارها، إلّا أنّ المسألة غير مشرقة الظهور بالمصطلح الصريح، ولريفاتير أفضلية أنّه شذبها وجمعها بين دفتي منهج، جاعلا منه طريقا لمن ودّ الاستنارة به بعد حين وضعه إيّاه.

(1) معجم التعريفات، علي بن محمّد السيد الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، تح: محمّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، القاهرة، د. ط، د. ت، 1: 191.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

المبحث الثاني

في كتب علوم القرآن

إنّ من الميادين الرحبة التي يدرس فيها النص القرآني وما يتعلق به من أساليب نصية وأحكام لها علاقة وثيقة بالمعنى هي ميادين كتب علوم القرآن من مثل أحكام التلاوة وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وما إلى ذلك من الأساليب القرآنية في صياغة النص؛ لذا كان لزاما المرور على أهم النتاجات التي أَلِفَها القدماء من كتب علوم القرآن لإظهار ملامح الأسلوبية البنيويّة التي وردت فيها حتى يتضح للقارئ أن الأسلوبية البنيويّة ستتبلور لاحقاً بوصفها منهجا شاملا غير مقتصر في تغذيته على علوم دون غيرها من العلوم النصية الأدبية اللغوية وعلى وجه الخصوص العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم.

1- ابن حزم الأندلسي(ت117هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

إن مما يمكن القول عنها بأنها من ملامح الأسلوبية البنيويّة قوله : "والنسخ إنّما يقع في الأمر والنهي ولا يجوز أن يقع في الأخبار المحضة، والاستثناء ليس بنسخ إنّما يقع في الأمر بخلاف وقوع النسخ في الخبر المحض وسمى بعضهم الاستثناء، والتخصيص نسخا والفقهاء خلاف ذلك"[1]، بالتأمل في النص المار ذكره والتركيز في مفصلياته تتلمس أنّ المتكلم اعتمد في حديثه على أهم أساليب اللغة من أمر ونهي واستثناء والخبر وما إلى ذلك بما يناسبها من معنى مراد في عملية النسخ التي تشكل تعالقا نصيا في نوع خاص في إطار النص من الداخل، وهذا ما جاء به ريفاتير تحت عنوان المحور الداخلي[2] في النص، ثم إنّ صاحب القول عزا المسألة في ختام الحديث إلى الفقهاء معتمدا على ما يرونه صوابا في إطلاق الحكم، وهذا ما

(1) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حزم الأندلسي (ت 117هـ)، تح: د. عبد الغفار سليمان البنداوي، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، ط1، 2016: 12

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62..

عبّر عنه ريفاتير بقوله القارئ العمدة[1]، في بيان أهم مفصليات النص، كما مرّ القول في المبحث الأول من الدراسة.

وكذلك في موضع آخر من الكتاب نفسه قال: "وهي عند جميع المفسرين محكمة إلا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فإنّه قال فيها آية منسوخة والجمهور على خلاف قوله"[2]، بالرجوع إلى قول ابن حزم إذ أرجعَ المسألة إلى جمهور المفسرين معتمدا على رأيهم في استنباط المعنى عارضا لرأي عالم من العلماء إذ كان له رأي مغاير أي اتخذ من القارئ المثالي حاكما في الاستدلال على المعنى أو القصد، ولعل الصواب لا يجافي القول بأن هذا ما جاء به ريفاتير في مسألة القارئ العمدة وقياس مدى مصداقية النص بمقدار ما يصل إلى المتلقي منه ومدى تفاعله مع ذلك النص.

ومن الملامح الأسلوبية البنيويّة عنده أيضا قوله: "اعلم أنّ نزول المنسوخ بمكة كثير ونزول الناسخ بالمدينة كثير"[3]، بالعودة إلى النص والنظر إلى تأثيره في المعنى المجنى من النصوص يكون ذا أثر خارجي ومتعالق تمام التعالق بالنص وهذا ذات ما جاء به ريفاتير في المحور الخارجي[4]، في الأسلوبية البنيويّة وهو الانطلاق من النص إلى الخارج وبالعكس وما هو أثر ذلك في إنتاج الدلالة.

2- محمد بن شهاب الزهري(ت 124هـ)، الناسخ والمنسوخ.

جاء فيه قوله: "وناشئة الليل: أوّله، كانت صلواتهم في أوّل الليل، يقول: هو أجدر أن تحصوه، وما فرضت عليكم قيام الليل، وذلك أن أحدهم كان إذا نام ما يدري متى يستيقظ، فقال تعالى: "وأقوم قيلا" يعني القرآن ومنفعتهم به، يقول: حتى

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: 47.

(3) المصدر نفسه: 22.

(4) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

يفهم القرآن ويتدبر آياته ويفقه ما فيها، وقال عز وجل: "إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلً"[1][2]، المتلمس ما ذهب إليه الكاتب حتى يستدل على المعنى المراد من الآية إذ يجعل ما يحيط النص هو الدال على معنى النص مستعينا بالنص ذاته وما يحويه من صياغات وأساليب لغوية يطيل التدبر فيها جاعلا منها متكأ لاستنباط المعنى، وبالعودة إلى الأسلوبية البنيويّة يظهر أن ما ذهب إليه في النص السابق هو ذات ما جاء به ريفاتير في المحور الخارجي الذي يعتمد على النص ذاته وما يتعلق به خارجه أي الواقع الخارجي[3].

3- مقاتل بن سليمان(ت150هـ)، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.

ما كان بمعزل عن باقي الكتب التراثية العربية التي ألفت في علوم القرآن إذ: "قال مقاتل: الهدى على سبعة عشر وجها"[4]، المتلمس للقول المار يتبيّن له أن الكاتب وقف على معانٍ مختلفة للفظ واحد بتأثير السياق فيها وإضفاء معانٍ جديدة لتلك اللفظة بأثر السياق فيها في تعدد وجوه المعنى، وإذا ما ذهبنا إلى الأسلوبية البنيويّة وأهم مظاهرها أي المحور الداخلي[5]، فستجد تولد المعاني من علاقة العناصر اللغوية في ما بينها ومدى التفاعل المنتج للمعاني المختلفة.

ولو أنّك تتبعت ما وقف عنده صاحب الوجوه والنظائر من وجوه معاني المفردات التي ذكر لها وجوها، إذ حكم في استنباط معانيها علاقتها بما قبلها وما

---

(1) سورة المزمل: 7.

(2) الناسخ والمنسوخ، محمّد بن شهاب الزهري (ت 124هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ - 1998م: 35

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(4) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان (ت 150هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، مكتبة الرشد ناشرون، العراق – بغداد، ط2، 1432هـ - 2011م:19.

(5) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62

بعدها من عناصر لسانية متخذا من أثر السياق في إضفاء المعنى أصلا في استنباط الوجه المغاير من المعاني السابقة، فضلا عن أنّه لم يهمل علاقة الدال بالمدلول أيضا وجعلها مرتكزا من مرتكزات استنباط المعاني الجديدة، ومن ذلك قوله: "الحسنى: ثلاثة أوجه: الوجه الأوّل: الحسنى يعني الجنة فذلك قوله تعالى: "**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**"[1]، يعني للذين وحدوا الله عزّ وجل لهم الحسنى يعني الجنة وزيادة يعني النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، أمّا الوجه الثاني: فيعني البنين ومن ذلك قوله: في سوره النحل "**أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى**"[2]، يعني البنين وأمّا الوجه الثالث: فذلك قوله في سوره النساء "**إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا**"[3]، يعني خيرا"[4]، بالعودة إلى ما ذهب إليه صاحب الكتاب مَحَلّ الدراسة من معانٍ ووجوه للألفاظ تجد أنّه يحتكم في ذلك إلى السياق في إفضاء المعنى على اللفظ المراد بيان وجوهه كما مرّ في الآيات المذكورة آنفا، إذ لا افتراق بين ما ذهب إليه الكاتب وما جاء به ريفاتير من أنّ الباحث الأسلوبي لا يمكن أن يحيد عن النص، والنص هو مجال عمل الباحث الأسلوبي البنيوي[5]، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ العناصر اللسانية المكونة للسياق لابد أن تتعالق في ما بينها وتكون هنالك أواصر تربط العنصر اللساني بما قبله وما بعده[6]، وكل ذلك يشير إلى ملامح الأسلوبية.

---

(1) سورة يونس: 26.

(2) سورة النحل: 62.

(3) سورة النساء: 62.

(4) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: 42.

(5) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: 84.

(6) ينظر: المصدر نفسه: 138

4- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي(ت 189هـ) متشابه القرآن.

الملامح الأسلوبية البنيويّة تناثرت في كتب علوم القرآن عند كثير من المؤلفين منهم الكسائي في قوله: "أنظُر" ابتدأوه كله بالرفع، إلّا حرفا واحدا " **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**"[1]، فإنّه بالفتح"[2]، بالعودة إلى النص المذكور يتضح أن المنهجية المتبعة في التعامل مع النص هي مراعاة ما أسماه الجرجاني معاني النحو متخذا من ذلك ملمحا نصيا يمكن من طريقه إيضاح أهم المتشابهات من النصوص، وهذا إذا ما دنا إلى الأسلوبية البنيويّة يعرض أمامنا مسألة أنّ الأسلوبية البنيويّة تخضع لمقاييس أسلوبية منتجة للدلالة وهي: "المعجمية، والصرفية، والسياقية، والنحوية،"[3]، وبالتأمل قليلا يتبيّن أنّ منهجية الكسائي في هذا الكتاب غير خارجة عن هذه المقاييس الأسلوبية البنيويّة إذ أنّه لاحق التغير الأسلوبي الذي جرى على لفظة (أنظر) بحسب اشتقاقها واستعمالها ورتب على ذلك أثر في المعنى المراد منها، وهذا ما يسمى في الأسلوبية البنيويّة التحليل اللساني للألفاظ.

ونجد ملمحا أسلوبيا بنيويّا في قوله: ""**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**"[4]، وسائر القرآن "واتقوا ربكم"[5]"[6]، بالنظر إلى ما ذهب إليه الكسائي في بيان اختيار البنية المؤثرة في الدلالة وما أثر هذه البنية وهذا ذاته قد ورد في ما ذهب إليه ريفاتير بشأن

---

(1) سورة الأعراف: 143.

(2) متشابه القرآن، أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت 189هـ) تح: الدكتور صبيح التميمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي ، ط1، 1994: 51.

(3) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(4) سورة البقرة: 21.

(5) سورة النساء: 1، سورة الحج: 1.

(6) متشابه القرآن: 55.

اختيار العناصر اللسانية وأثرها في إنتاج الدلالة ما اصطلح ريفاتير بالعلاقات اللغوية[1]، ونلاحظ هنا أثر الاستبدال العمودي للألفاظ في سياق متصل معين.

5- محمد بن إبراهيم الجعفي البخاري(ت256هـ)، صحيح البخاري.

بالذهاب إلى أهم كتاب حديثي والتأمل في منهجيته وتعامله مع الأحاديث نجده يقول: "قاصفا: تقصف كل شيء، لواقح: ملاقح ملقحة، إعصار: ريح عاصف تهب من الأرض إلى السماء كعمود فيه نار، صرَّ: برد، نشرا: متفرقة"[2]، بالرجوع إلى النص المذكور من كتاب صحيح البخاري والنظر إلى المنهجية التي تعامل بها مع النص يتضح ان المسألة متعلقة بالمعاني المعجمية للألفاظ وأثر السياق عليها وهذا مما نادى به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة حين التحدث عن المقاييس التي تكتسب اللغة خصوصيتها من طريقها إذ استعمل المقياس المعجمي[3]، وهو احد المقاييس الاربعة التي ذكرها ريفاتير.

6- مسلم بن الحاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، صحيح مسلم.

ان كتاب صحيح مسلم ليس ببعيد عن هذه الملامح الأسلوبية البنيويّة، فمن ذلك قوله: "حدثنا محمد ابن عبد الله ابن نمير، حدثنا محمد ابن بشر، حدثنا ابو حيان التميمي، بهذا الاسناد، مثله: غير ان في رواية: "اذا ولدت الامة بعلها" يعني

(1) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، 1: 93.

(2) صحيح البخاري، محمّد بن ابراهيم الجعفي البخاري (ت 256هـ)، تعليقات: حاشية السهارنفوري، احمد علي السهارنفوري، حاشية السندي، محمّد عبد الهادي السندي، الأبواب والتراجم، محمّد زكريا الكاندهلوي، جمعية البشرى، 1437هـ - 2016م، ج1: 1494، حديث: 455/1.

(3) ينظر: الأسلوبية بين مجالي الأدب ونقده والدراسات اللغوية: 95.

السراي"[1]، بإعادة النظر إلى النص المار تبيّن للقارئ أن ما جعل من الحديث ذا مكانة عالية واعتمد هي سلسلة السند التي جاء بها صاحب الكتاب، وهذا ذات ما نادى به ريفاتير وقت اعتمد مسألة القارئ[2]، العمدة للنص، إذ جعل من سلسلة السند مصدرا لحجية قبول النص وداعماً أساساً في مدى مصداقيته وموثوقيته وهنا يمكن تسجيل علاقة السند بالقارئ العمدة من حيث أن الشروط المعتبرة لتوثيق الرواية بحسب علم الرجال تتضمن اتقان الصنعة (صنعة الرواية) بكل مجالاتها التي من أهمها الضبط اللغوي والمعرفة بالنص العربي، فالراوي بشروط علم الرجال يصبح هو القارئ العمدة الذي يؤخذ قوله على صحته فيكون حكما على صحة النص.

7- ابن مجاهد (ت324هـ)، كتاب السبعة.

إن من الملامح الأسلوبية البنيويّة التي ظهرت في هذا الكتاب، قوله: "وصف القراء السبعة بالإمامة في القراءة"[3]، إذ عند التأمل في النص المذكور يتبيّن للقارئ المنزلة الكبيرة للقراء إذ بلغوا منزلة أئمة القراء وهذا ما استدعى إلى أن يكونوا أصحاب القرار الحاكم في القراءة، وبالعودة إلى الأسلوبية البنيويّة يطالعنا ذات المضمون في ما ذهب إليه ريفاتير وقت تحدث عن القارئ العمدة[4]، وهو الذي تكون له الأولوية في إبداء التفاعل من منطلق الخبرة والمعرفة والوسيلة هي ردود أفعال القارئ العمدة تجاه النص.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم بن الحاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، تح: رائد بن صبري ابن ابي علفة، دار طويق للنشر والتوزيع، ط1، 1429هـ - 2008م: 24، الحديث: 1/4777.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 16.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 16.

وفي موضع أخر من الكتاب ذاته وقت تحدث عن اختيار القرّاء إذ قال: "أن يكون القارئ إماما مقدما في زمانه مجمعا عليه"[1]، بالعودة إلى النص يظهر أنّ للقارئ صفة الاتفاق عليه من ذوي الاختصاص ويكون مقدما عليهم وإمام من أئمة القراءة حتى يكون من القرّاء في منظومة ابن مجاهد، ولو عدنا إلى الأسلوبية البنيويّة نجد أنّ ما ذهب إليه ابن مجاهد من ضابطة لاختيار القارئ هي ذاتها عند ريفاتير وقت وضع شروط القارئ العمدة للنص[2].

8- عبد الرحمن بن محمد ابو زرعة (ت 403هـ)، حجة القراءات.

إنّ من ملامح الأسلوبية البنيويّة التي وردت عنده، وقت تحدث في باب الهمزة قوله: "باب الهمزتين تلتقيان من كلمتين وهما مختلفتا الإعراب: وهما على ستة أوجه، وجه منها لم يجئ في القرآن، وهي الهمزة المكسورة التي بعدها همزة مضمومة كقولك: (هؤلاء أمراء)، وباقيها موجودة في القرآن"[3]، بالنظر إلى القول المار، يتضح أنّ القياس فيه هو البناء الصرفي للفظ ومدى اطراده في المصحف الشريف متخذا من البنية قياسا لذلك، وهذا عين ما جاء به ريفاتير وقت وضع للنص مقاييس أسلوبية[4]، وجعل بضمنها المقياس الصرفي وكان ملمحاً أسلوبيا بنيويا وهذا ما ظهر في القول المار من الحديث عن الهمزتين المتعاقبتين في القرآن الكريم.

ومن الملامح أيضا قوله: "وأمّا إشمام الدال فإنّه إعلام على أنّ الدال كانت مضمومة"[5]، بالتأمل في القول المذكور تجد أنّ الكلام منحصر في حدود النص

(1) كتاب السبعة: 141.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(3) حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمّد، أبو زرعة(ت 403هـ)، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط5، 1418هـ - 1997م: 90.

(4) ينظر: الأسلوبية بين مجالي الأدب ونقده والدراسات اللغوية: 95.

(5) حجة القراءات: 435.

ذاته غير خارج عنه، وهذا ما جاء به ريفاتير في المحور الداخلي[1]، في الدلالة الأسلوبية البنيويّة إذ جعل الانطلاق من النص إلى النص مع مراعاة أسلوب الكاتب.

9- أبو محمد مكي بن ابي طالب القيسي (ت 437هـ)، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه.

إنما يطالعنا من ملامح الأسلوبية البنيويّة الواردة في هذا الكتاب قوله: "ويدل على جواز النسخ في القرآن، قوله تعالى: "**وما نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أو نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أو مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"[2]، فهذا نص ظاهر في جواز النسخ للقران بالقرآن"[3]، يصرح في نهاية كلامه عن المنهج الذي مكنه من الكشف عن أنّ القرآن فيه ناسخ ومنسوخ بقوله (هذا نص ظاهر) إلى آخر القول أي أنّ الاستدلال من النص على النص لم يخرج عنه وهذا ما جاء به ريفاتير وقت تحدث عن المحور الداخلي[4]، في الأسلوبية البنيويّة وذلك يعد ملمحا من ملامح الأسلوبية البنيويّة في هذا الكتاب.

أيضا من الملامح الأسلوبية البنيويّة التي وردت في الكتاب قوله: "قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا إلى** قوله: **لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**"[5]، أكثر العلماء على أنّها محكمة، ونزلت في من كان قبل البعث للنبي صلى الله عليه

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) سورة البقرة: 106.

(3) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، أبو محمّد مكي بن ابي طالب القيسي (ت 437هـ)، تح: أحمد حسن فرحان، دار المنارة، جدة، ط1، 1406هـ - 1986م: 62.

(4) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(5) سورة البقرة: 62.

واله وسلم منهم"[1]، بقوله إنّ (أكثر العلماء) أي أنّه انتخب لذلك الأمر والبت فيه من هم أصحاب رأي في أن يكون هذا محكم وهذا لا، وبالعودة إلى الأسلوبية البنيويّة يُنَاصُّ هذا المنهج ما جاء به ريفاتير وقت تحدث عن القارئ العمدة[2]، الذي له الأولوية في إبداء ما للنص من مزيات.

10- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي(ت468هـ)، أسباب النزول.

لم يكن هذا الكتاب ببعيد عن ملامح الأسلوبية البنيويّة، إذ جاء فيه قوله: "قوله تعالى: "**وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**"[3]، قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا، إذ قال رسول الله "صلى الله تعالى عليه واله" يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، ما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها، فأنزل الله هذه الآية"[4]، بالتأمل في النص المار ذكره يلامس الفهم أنّ المراد من الكلام إظهار سبب النزول للآية الكريمة ومناسبة النص، وهذا متعلق خارجي بالنص يضفي عليه سبيلا من سبل إظهار المعنى، وهذا غير مفترق عن ما جاء به ريفاتير في المحور الخارجي، أي دراسة ما يتعلق بالنص من الخارج من ثَمَّ الذهاب إلى النص نفسه، أي النص مضاف إليه الواقع الخارجي[5]، وهذا جلي للفهم الأسلوبي البنيوي.

(1) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه: 123.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(3) سورة البقرة: 99.

(4) أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت468هـ) تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح الدمام، ط2، 1412هـ - 1992م: 31.

(5) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

11- الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن.

من ملامح الأسلوبية البنيويّة في هذا الكتاب قوله: "أبا: الأب: الوالد، ويسمى كل من كان سبب إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أبا، ولذلك يسمى النبي صلى الله عليه واله أبا المؤمنين، قال تعالى: "**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**"[1]"[2]، بتأمل القول المار ذكره يظهر للقارئ اللبيب أنّ صاحب الكتاب استدل على أن الولاية هي الأبوة بدليل القرينة النصية الواردة في قوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) مما جعله يفسر النص من طريقين هما السياق والنص بالنص ذاته أي القرآن بالقرآن ولم يخرج خارج حدود النص، وهذا عين ما جاء به ريفاتير في الحديث عن المحور الداخلي[3]، المار ذكره في مباحث سابقة، من أنّ النص هو الأصل في استنتاج الدلالة.

وذكر في موضع أخر قوله: "عرجن: "**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**"[4]، أي إلفافه من أغصانه"[5]، بالرجوع إلى النص المذكور المذكور تجد أنّ المؤلف اعتمد المعنى اللغوي المعجمي للفظة مستدلا به على المعنى القرآني، ولا جفاء بين هذا وما جاء به ريفاتير من أنّ النص

(1) سورة الاحزاب: 6.

(2) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تح: محمّد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د. ط، د. ت: 7.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(4) سورة يس: 42.

(5) المفردات في غريب القرآن: 329.

يحمل في طياته مقاييس أسلوبية[1]، بضمن هذه المقاييس هو المقياس المعجمي أو اللغوي.

12- محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت 543هـ)، أحكام القرآن.

إن من الملامح الأسلوبية في هذا الكتاب وقت تحدث عن فائدة الخلاف في ذكر البسملة في بداية السور إذ قال فيها: "وفائدة الخلاف في ذلك الذي يتعلق بالأحكام أنَّ قراءة الفاتحة شرط في صحة الصلاة عندنا وعند الشافعي، خلافا لأبي حنيفة إذ يقول: أنّها مستحبة"[2]، إنّ المتحكم في النص السابق في توجيه القراءة وإثبات البسملة من عدمه هم القراء، لذا ما أقرّه قوم عمل به وما لم يقره قوم لم يكن محل اعتناء، أي أنّ صاحب الكتاب رجح اختلاف العلماء جاعلا منهم الرأي في القول، وبالعودة إلى الأسلوبية البنيويّة وإلى انتخاب القارئ العمدة[3]، عند ريفاتير سيكون ما ذهب إليه ابن العربي هو ذاته ما ذهب إليه ريفاتير.

وفي قوله: "اللغو في كلام العرب مخصوص بكل كلام لا يفيد، وقد ينطلق على ما لا يضر"[4]، جلي أنّ صاحب الكتاب أرجع المسألة إلى المعنى المعجمي اللغوي، وجاء بالمعنى الذي وضعت له اللفظة في أصل الاستعمال، وهذا في

(1) ينظر: الأسلوبية بين مجالي الأدب ونقده والدراسات اللغوية: 95.

(2) أحكام القرآن، محمّد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمّد عبد القادر عطا، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: 6.

(3) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(4) أحكام القرآن: 241.

الأسلوبية البنيويّة يعد مقياسا من مقاييس إنتاج الدلالة وهو المقياس المعجمي[1]، وبهذا يكون قد أضفى على النص معنً منتجًا من طريق المعجم.

13- علي بن عثمان المارديني (ت 750هـ)، بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب.

من الملامح الأسلوبية في هذا الكتاب قوله: "بسم الله: أي أبدأ، أو بدأت، الرحمن: ذو الرحمة، ولا يوصف به إلا الله تعالى، والرحيم: عظيمها"[2]، بالنظر إلى النص المذكور أعلاه يفهم أن المؤلف تعامل مع الآية الكريمة تعاملا لغويا معتمدا في ذلك على المعنى المعجمي للألفاظ دون الذهاب إلى الدلالة البعيدة للمعنى، وما ورد عند ريفاتير من هذا النوع هو ما أسماه بالمقاييس الأسلوبية[3]، إذ اعتمد المؤلف هاهنا على المعجم في إظهار الدلالات اللغوية للألفاظ.

ويقول في موضع آخر من الكتاب نفسه: "الملائكة: من الالوك والمأْلكة والمأُلكة وهي الرسالة وأُخِّر همزها، والمفرد ملك بلا همز للكثرة"[4]، لو أرجعت البصر كرتين تجد في الكرَّة الأولى أنّ المؤلف اعتمد المعنى المعجمي للفظة، وأمّا الكرَّة الثانية تبيّن أنّ المؤلف تعامل مع اللفظ تعامل بنائيا صرفيا، وبالعودة إلى الأسلوبية البنيويّة لريفاتير نجد أنّه جاء بملمح من ملامح الأسلوبية البنيويّة أسماه

(1) ينظر: الأسلوبية بين مجالي الأدب ونقده والدراسات اللغوية: 95.

(2) بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، علي بن عثمان المارديني (ت 750هـ)، تح: الدكتور ضاحي عبد الباقي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، د.ط، د. ت: 26

(3) ينظر: الأسلوبية بين مجالي الأدب ونقده والدراسات اللغوية: 95.

(4) بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب: 31

المقاييس الأسلوبية[1]، وبضمن هذه المقاييس هما المقياس الصرفي والمقياس المعجمي وهذا ما جاء به المؤلف في النص.

14- ابن قيم الجوزية(ت751هـ)، البدائع في علوم القرآن.

من ملامح الأسلوبية البنيويّة التي وردت فيه قوله: "لفظ (القرآن) مصدر مرادف للقراءة لقوله تعالى: "**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**"[2]"[3]، إنّ اعتماد السياق في استنباط المعنى وجعل النص شاهدا عليه هذا ما ذهب إليه المؤلف في إثبات معنى كلمة القرآن في النص المار ذكره، وهذا ما جاء به ريفاتير في أنّ النص هو المرجع الوحيد للمشتغلين على وفق الأسلوبية البنيويّة[4]، وهو عين ما ذكره في المحور الداخلي أيضا من أنّ المعنى يستخرج من النص ذاته دون اللجوء إلى ما يحيط به من لوازم.

من الملامح في الكتاب ذاته أيضا قوله: "أمثال القرآن كلها أصول وقواعد لعلم التعبير لمن حسن الاستدلال بها، وكذلك من فهم القرآن، فإنّه يعبر به الرؤيا أحسن تعبير، وأصول التعبير الصحيحة إنّما أخذت من مشكاة القرآن، فالسفينة تعبير بالنجاة لقوله تعالى: "**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ**"[5]، وتعبر بالتجارة، والخشب بالمنافقين، والحجارة بقساوة القلب، والبيض بالنساء واللباس أيضا بهن، وشرب الماء بالفتنة، وأكل لحم الرجل بغيبته، والمفاتيح بالكسب والخزائن

(1) ينظر: الأسلوبية بين مجالي الأدب ونقده والدراسات اللغوية: 95.

(2) سورة القيامة: 17 – 18.

(3) البدائع في علوم القرآن، ابن قيم الجوزية(ت 751هـ)، تح: يسرى السيد محمّد، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط2، 1427هـ – 2006م: 14.

(4) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: 84.

(5) سورة العنكبوت: 15.

والأموال"[1]، إنّ اعتماد العناصر اللسانية وربطها بمدلولات خارجية سواء أكانت مادية أو معنوية ذلك يبين مدى تعالق الدال بالمدلول عند المتكلم في كلامه وعلى هذا يتم اختيار البنى التي يصاغ منها الكلام، ولو تأملت النص المار تجد أنّ الكاتب جعل هنالك عنصر تلازم وتعالق بين العنصر اللساني، وما يؤول إليه من معنى في الواقع لذا جعل من العلاقات الدلالية بين المنامات وما يمكن أن تؤول به تلك المعاني، ولا جفاء بين الدقة والقول أن هذا ملمح من ملامح الأسلوبية البنيويّة وهي علاقة الدال بالمدلول[2]، واستنتاج المعنى من النص نفسه أي اعتماد المحور الداخلي[3]، في تكوين المعنى.

15- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن.

ومما جاء فيه من ملامح الأسلوبية البنيويّة قوله: "من أنواع استفتاح السور: النداء"[4]، بالنظر إلى الضابط الذي جاء به الزركشي في تخصيص الآيات التي أراد الحديث عنها، تجد أنّه اعتمد مسألة الآيات المبدوءة بالنداء أي أنّ الأساس في الاختيار هو العامل المشترك بين هذه الآيات وعلى هذا كان الاشتراك في من توجهت إليه هذه الآيات عند الخطاب، وبالرجوع إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّها تشترط أن تكون العلاقة اللغوية هي الأساس في الوقوف على معاني النص ومكنوناته[5]، وهذا ما عمل عليه الزركشي عند وضعه النداء ضابطا لإحصاء ما ورد ورد من القرآن على وفق هذا المعنى.

---

(1) البدائع في علوم القرآن: 141.

(2) الأسلوبية وتحليل الخطاب، 1: 94.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(4) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشي (ت 794 هـ) تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، 2006 م: 127.

(5) ينظر: الوجه القفا: 149.

ومن الملامح الأسلوبية البنيويّة التي ظهرت في هذا الكتاب أيضا قوله: "الاستفتاح بالأمر في ست سور"[1]، ما انفك في هذا الكتاب لاسيما حديثه عن فواتح السور يرجع إلى الملامح اللغوية أو النحوية أو الصرفية ويجعل منها ضابطا لتحديد الملمح الأسلوبي، ولعل ذلك ما جاء به ريفاتير فيما بعد في الأسلوبية البنيويّة وقت تحدث عن المحور الداخلي[2]، إذ أنّ المحدد للملمح الأسلوبي هو النص ذاته دائر في فلكه غير خارج عنه.

يمر في موضع آخر على ملمح أسلوبي بنيوي في قوله: "ومن أسراره مناسبة فواتح السور وخواتيمها، وتأمل سورة القصص وبدايتها بقصة مبدأ أمر موسى ونصرته وقوله: "**فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ**"[3]، وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالمكالمة وختمها بأمر النبي صلى الله عليه وآله بألا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته بخروجه من مكة، والوعد بالعودة إليها"[4]، بالتأمل في النص المذكور تجد أنّ الكاتب جعل من النص هو المتحكم بإنتاج الدلالة معيدا نهاياته على بداياته ورابطا بداياته بنهاياته ودائرا في فلك النص ذاته بالاعتماد على السياق وأثره في استنباط المعاني المرادة من النصوص القرآنية، وإذا ما تأملت الأسلوبية البنيويّة تجد أن ريفاتير جعل من النص هو المرتكز الأساس والمرجع الوحيد لأخذ المعاني وتحديد قصد المتكلم، وذلك بالاعتماد على العناصر المكونة له ونوع العلاقة فيما بينها، وهذا عين ما جاء به ريفاتير في المحور الداخلي[5]، وفي حديثه عن المشتغلين في الأسلوبية البنيويّة

(1)البرهان في علوم القرآن: 127.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62

(3) سورة القصص: 17.

(4) البرهان في علوم القرآن: 130.

(5) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

وكيف أنّ المشتغل فيها لا مناص له من الرجوع إلى النص لأنه المصدر الوحيد[1]، والمادة الوفيرة له، وعلى هذا يكون الملمح الأسلوبي البنيوي واضحا وجليا بعدم الخروج عن النص وأخذ الدلالات منه.

16- محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة.

ومما جاء فيه من ملامح الأسلوبية البنيويّة قوله: "أقول: ويدل على ذلك ظاهر آيات التوبة وأحاديثها وغيرها، والله أعلم"[2]، إنّ ما يجعل من الكلام المذكور آنفا ملمحا من ملامح الأسلوبية البنيويّة اعتماد الكاتب على ظاهر النص أي حصر الدلالة في ما يتدبره هو أي جعل من نفسه القارئ العمدة للنص[3]، وهذا ملمح أسلوبي بنيوي، ومن جهة أخرى جعل النص هو الضابط للدلالة العامة للنص، أي أخذ الدلالة من النص ذاته وعدم الخروج من حدود النص، وبالعودة إلى الأسلوبية البنيويّة والنظر إلى المحور الداخلي[4]، منها يتبيّن أنّ ما جاء به صاحب الكتاب هو ذات المحور الداخلي عند ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة والاعتماد على النص وما يعتريه ويتضمنه من عناصر لسانية، والعلاقات الرابطة بينها ونوعها، وبهذا يتضح الملمح الأسلوبي البنيوي.

كذلك من الملامح الأسلوبية في هذا الكتاب قوله: "أقول: الأحاديث في ذلك كثيرة جدا، قد تجاوزت حدّ التواتر، وفيما أوردته كفاية إن شاء الله"[5]، بتأمل كلام

---

(1) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: 84.

(2) تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمّد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، 1: 125.

(3) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(4) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62

(5) تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، 1: 29.

الكاتب تتبعا لملامح الأسلوبية البنيويّة، يظهر أنّه يورد كل ما له صلة بالنص ويكون خارجا عنه من أحاديث بلغت حد التواتر وهي من لوازم زيادة الإثبات للحقيقة المراد الوصول إليها ولعل الصواب لا يجافي الدقة إذا قلنا أن هذا عين ما جاء به ريفاتير في المحور الخارجي[1]، من الأسلوبية البنيويّة من ذكر لوازم النص الخارجية مضاف إليها النص ذاته.

17- الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني (ت 1109هـ)، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال.

ومن الملامح الأسلوبية البنيويّة الواردة فيه قوله: "توضيح: الشأن بالهمزة: الأمر والحال أي إلزما شأنكما، أو شأنكما معكما؛ ولعل الغرض كان تنبّه آدم عليه السلام وأولاده بعظمة نعمة العقل، وقيل: الكلام مبني على الاستعارة التمثيلية، ويمكن أن يكون جبرئيل عليه السلام أتى بثلاث صور، مكان كل من الخصال صورة تناسبها، فإن لكل من الأعراض والمقولات صورة تناسبه من الأجسام والمحسوسات وبها تتمثل في المنام بل في الآخرة، والله يعلم"[2]، بتدبر التوضيح الذي بيّنه المؤلف يتبيّن كيف أنّ الركيزة الأساس في استنباط المعنى هي الاعتماد على المعنى المعجمي للفظ من ثم النظر إلى البنية بعدها العنصر اللساني المكون للتركيب وآخر المطاف ينظر إلى التركيب وإلى العناصر المكونة له ونوع العلاقة بين عناصره اللسانية متخذا من وجوه البلاغة مادة خصبة للولوج إلى حصن المعنى أو القصد المراد من النص ذاته، وهذا عين ما جاء به ريفاتير، إذ في النص ثلاثة مظاهر أسلوبية أوّلها: هو اعتماد أحد المقاييس الأسلوبية للنص وهو المقياس اللغوي أو

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني (ت 1109هـ)، تح: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط1، 1405هـ، 2ج كتاب العقل: 11.

المعجمي[1]، بالاعتماد على معنى [شأن] وثانيها: إظهار أثر السياق في هذا العنصر اللساني[2]، وما الدلالة المتحصلة من ذلك، وثالثها: هو الدوران في فلك النص نفسه وعدم الخروج منه، وهذا ما جاء به ريفاتير في المحور الداخلي[3]، للنص، على هذا فقد توافرت المؤهلات الكافية في النص المذكور حتى يكون ملمحا من ملامح الأسلوبية البنيويّة.

كذلك جاء في ذات الكتاب قوله: "توضيح وبيان: قوله تعالى: بك أبدأ وبك أعيد، أي بك خلقت الخلق وأبدأتهم، وبك أعيدهم للجزاء، إذ لولا العقل لم يحسن التكليف، ولولا التكليف لم يكن للخلق فائدة، ولا للثواب والعقاب والحشر منفعة، ولا فيها حكمة"[4]، المتأمل في النص المار يدرك أنّ إيضاح قوله تعالى جاء على وفق التدبر في السياق للنص ذاته، أي أنّه لم يخرج خارج حدود النص متخذا من المعاني المعجمية سبيل إيضاح وبيان، وبتأمل ما ذهب إليه ريفاتير يتبيّن أنّ النص هو المصدر الأساس والوحيد لإنتاج الدلالة[5]، وهذا من الملامح الأسلوبية البنيويّة المائزة لها عن سائر المناهج الأخرى، لأن الحدث الأسلوبي[6]، قائم على السياق ذاته.

(1) ينظر: الأسلوبية بين مجالي الأدب ونقده والدراسات اللغوية: 95.

(2) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: 84.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(4) عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، 1: 57.

(5) ينظر: علم السلوب مبادئه وإجراءاته: 84.

(6) ينظر: الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب: 16 – 17.

المبحث الثالث

في كتب التفسير

إنّ أكثر المؤلفات تعاملا مع القرآن الكريم هي كتب التفسير لما تبحث فيه عن مقاصد الآيات والسور متخذة من المناهج التفسيرية سبيل لذلك وعلى جميع مستوياتها وتصانيفها سواء أكانت لغوية أو أدبية أو روائية أو تفسير بالرأي أو القرآن بالقرآن وما إلى ذلك من المناهج المتبعة في تفسير الآيات والسور، ولأن الدراسة تعنى بتقصي منهج الأسلوبية البنيويّة في تفسير القرآن الكريم، والبحث عن ملامح هذا المنهج في التراث العربي التفسيري والنقدي لابد من السير المتتبع لملامح هذا المنهج في كتب التفسير القديمة حتى يكون البحث ذا جذر قديم رصين نابع من سعة ثقافة العرب ومدى اطلاعهم وعلمهم المنهجي؛ لذا سيكون هذا المبحث تتبعا لملامح الأسلوبية البنيويّة في التفاسير العربية القديمة.

1- أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٢هـ)، تفسير مجاهد.

من الملامح الأسلوبية التي وردت فيه قوله: "من أوّل البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين"[(1)]، بإعادة النظر إلى المنهجية التي تعامل بها مجاهد مع سورة البقرة لغرض تفسيرها يخالج فكرك أن اتخذ من النص ذاته عمود اتكاء لخيمة تفسيره، إذ حكّم السياق في حصر الآيات المتفقة المعنى والمتحدثة عن الفئة المستهدفة من الكلام، ولعل هذا غير مفترق عمّا جاء به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة مما ذكره في المحور الداخلي[(2)] المار ذكره في المباحث السالفة، أي اعتماد العناصر اللسانية المكونة للتركيب ونوع العلاقة بينها ومن هنا ينتج النص إذ يكمن الملمح الأسلوبي البنيوي،

(1) تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٢هـ) المحقق: الدكتور محمّد عبد السلام أبو النيل الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م: 195.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

ويبرز بوضوح وتجلي، فضلا عمّا ذكر بإعادة النظر مرّة أخرى إلى كلام المؤلف يتبيّن أنّه اعتمد مسألة التضاد الأسلوبي القاطع لنسقه[1]، الموضح في نصوص مرّ ذكرها، إذ من طريقه استطاع الكاتب أن يميز بين الآيات المتحدثة عن المؤمنين والكافرين والمنافقين، ولا جفاء بين الصواب وقول أن هذا من أميز ملامح الأسلوبية البنيويّة .

وذكر في موضع آخر قوله: ""هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ"[2]، يقول: ما أشبهه به، يقول: من كلّ صنف مثل"[3]، إنّ إظهار معاني النصوص عند مجاهد متبعا فيها منهجية الاعتماد على السياق والاتساق النصي في الترابط اللساني بين العناصر اللسانية المكونة لسياقه، أي أنّه لا يخرج عن حدود النص[4]، في استنباط المعاني، وهذا يثبت تمام الإثبات أن المشتغل على وفق الأسلوبية البنيويّة لا مناص له من الاعتماد على النص.

2- عبد الله محمود شحاته (ت150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان.

إن من الملامح الأسلوبية الواردة فيه قوله: "(الحمد لله) يعني الشكر، (ربّ العالمين) يعني الجنّ والإنس"[5] بإنعام النظر في النص المذكور يتبيّن للقارئ أنّ المنهجية المتبعة في إظهار المعاني منقسمة على قسمين رئيسين؛ فهو تارة يعتمد المعنى المعجمي للفظ كما تعامل مع لفظ (الحمد) وإعطائها معنى الشكر، ثم من

(1) ينظر: الوجه والقفا في تلازم والحداثة: 150 – 151.

(2) سورة البقرة: 25.

(3) تفسير مجاهد: 198.

(4) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: 84.

(5) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62. تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته(ت150هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1423هـ – 2002م، 1: 36.

بعدها يذهب إلى التفسير بالرأي وإعطاء معنى الجنّ والإنس لكلمة (العالمين) وهو في كلا المنهجين معتمد السياق المؤثر في اللفظ من طريق إعطائها معنى على وفق ما يراه من تفسير، فإذا ما تأملت الأسلوبية البنيويّة تجد أنّه اعتمد ملمحين من ملامحها؛ الأوّل: اتخاذ المقياس الأسلوبي البنيوي المعجمي[1]، سبيل لإظهار المعنى، وذلك وقت تعامل مع (الحمد)، وذهب في الثاني: إلى جعل النص عصب استنباط المعنى، لأن الباحث الأسلوبي البنيوي وإن لم يكن قاصدا أي على سجيته فإنّه لا مناص له من الاعتماد على النص، فهو المادة الأساس له[2]، وهذا ملمح أسلوبي بنيوي صريح.

ومن الملامح الأسلوبية البنيويّة في الكتاب ذاته قوله: "**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ**"[3]، وذلك أنّ كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد لما دعاهما النبي(صلى الله عليه وآله) إلى الإسلام: ما أنزل الله كتابا من بعد موسى تكذيبا به فأنزل الله عزّ وجلّ في قولهما: "**الم، ذَٰلِكَ الْكِتَابُ**" بمعنى هذا الكتاب الذي كفرت به اليهود " **لَا رَيْبَ فِيهِ**" يعني لا شك فيه أنّه من إله جاء"[4]، اتخذ المؤلف من الحادثة التي نزلت فيها الآيات الكريمات دليلا على إظهار المعنى المراد من الآية الكريمة، لذا كان الحدث باباً لإسباغ المعنى على النص، وإذا ما ذهبت إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ ريفاتير ذكر في المحور الخارجي[5]، وهو ذكر متعلقات النص في بيان المعنى.

(1) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(2) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: 84.

(3) سورة البقرة: 2

(4) تفسير مقاتل بن سليمان، 1: 81.

(5) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

3- أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت ١٦١هـ)، تفسير سفيان الثوري.

من الملامح الأسلوبية التي وردت فيه، قوله: "في قول الله عز وجل"**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**"[1]، قال: حجارة من كبريت، وقال ابن مسعود، كبريت أحمر"[2]، الناظر إلى ما ذهب إليه الكاتب من تفسير للآية الكريمة يرى جليا أنّه تعامل مع لفظ له صورة واقعية متخذا منه وقودا للنار متعاملا مع اللفظ بلازمة من لوازمه، وهي الإذكاء والإشعال حتى وصل في الصورة الحسية له بأن حدد لونه، إلّا أنّه لم يقف عند الجزء الأهم من الآية وهو الناس وهذا ما فرضته المنهجية المتبعة في التفسير، إذ أنّ علاقة الصورة بما ثبت في مخيلة القارئ فرض نفسه عليه في التفسير، وإذا ما أنعمت النظر في الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ علاقة الدال بالمدلول غير مفترقة فيها ولا يمكن الفصل بينهم[3]، وهذا ما بان عند المفسر من تعالق بين الدال والمدلول في إضفاء المعنى على اللفظ أو العنصر اللساني، لما لم يكن لديه التصور الكافي عن الجزء الآخر من النص لم يضف عليه المعنى المطلوب أن يضفيه.

من الملامح الأسلوبية البنيويّة في الكتاب ذاته أيضا قوله: "في قوله تعالى: "**اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**" قال: آدم، والحية، والشيطان"[4]، بالنظر إلى النص وتفسيره الذي جاء به الكاتب تجد أنّه يقف عند مفصلية من النص تاركا الأخرى، إذ أعطى معنى الأعداء، تاركا خلفه التبعيض والمخاطب في الآية الكريمة، محددا

(1) سورة البقرة: 24.

(2) تفسير سفيان الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت ١٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م: 42.

(3) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، 1: 94.

(4) تفسير سفيان الثوري: 111.

الأعداء الذين فهم أنّهم هم المعنيون من النص، ذاكرا أنواعهم وأجناسهم، وما استدعاه لهذا ما أحاط بالنص من ظروف ومن حوادث دلته إلى هذا المعنى، أي أخذ بما يحيط بالنص للدلالة على القصد منه أي النص ذاته، وإذا ذهبت إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ ريفاتير استوعب ذلك كله في ما بيّنه في المحور الخارجي[1]، المار شرحه في مواضع سابقة، أي ذِكْرُ كل ما له صلة بالنص لبيان المعنى والقصد المراد منه.

4- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، تفسير الإمام الشافعي.

لم يكن بعيدا عن ملامح الأسلوبية إذ جاء في تفسير لقوله تعالى: "**واذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ**"[2]، إذ قال: "المثابة: في كلام العرب: الموضع يثوب الناس إليه، ويثوبون: يعودون إليه بعد الذهاب منه، وقد يقال ثاب إليه: اجتمع إليه، فالمثابة: تجمع الإجماع"[3]، توقف الكاتب عند لفظ [مثابة] آتيا بمعناها المعجمي وما قالته العرب في ما جاء من معانيها، متكأ على ذلك في تفسير الآية الكريمة وبيان القصد المراد من النص، وهذا ليس بمفترق عمّا جاء به ريفاتير في المقاييس الأسلوبية[4] والاستعانة بها في إيضاح المعنى في الأسلوبية البنيويّة، إذ اعتمد في هذا الباب أو

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) سورة البقرة: 125.

(3) تفسير الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ) جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه) الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م، 1: 221.

(4) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

القول على المقياس المعجمي متتبعا معنى اللفظة في المعاجم العربية في استنباط معناها والمراد منها في هذا الموضع بالتحديد.

وبتوقفه عند قوله تعالى: " وَمَا **كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**"[1]، إذ قال: "فسمى الصلاة إيمانا، فمن لقي ربه حافظا لصلواته، حافظا لجوارحه، مؤديا بكل جارحة من جوارحه ما أمر الله به وفرض عليها لقي الله مستكمل الإيمان من أهل الجنة، ومن كان لشيء منها تاركا متعمدا مما أمر الله به لقي الله ناقص الإيمان"[2]، الرائي لما جاء به المؤلف من معنى للصلاة تبيّن أنّه قد حكّم السياق في الوقوف على معنى الإيمان، إذ اعتمد القرينة النصية وقت تحدثت الآية الكريمة عن [القبلة] من هنا استدل على أنّ الإيمان هي الصلاة، وإذا ما ذهبت إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أن ريفاتير تحدث في المحور الداخلي[3]، المار شرحه عن السياق وأثره في استنباط المعاني، معتمدا في ذلك على العلاقة بين العناصر اللسانية وتعاونها في إنتاج معنى جديد غير ما وضعت له اللفظة في أصل اللغة.

5- عبد الرزاق بن همّام الصنعاني (ت 211هـ)، تفسير عبد الرزاق.

ومن الملامح الأسلوبية التي جاءت فيه قوله: "في قوله تعالى: "**لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**"[4]، قال: كبيرة حين حولت القبلة إلى المسجد الحرام فكانت كبيرة إلّا على الذين هدى الله"[5]، من طريق ربط الأحداث وآثارها المادية والمعنوية

(1) سورة البقرة: 143.

(2) تفسير الإمام الشافعي، 1: 230.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(4) سورة البقرة: 143.

(5) تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همّام الصنعاني (ت 211هـ)، دراسة وتحقيق: دكتور محمود محمّد عبده، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ - 1999م، 1: 296.

من جهة تغيير القبلة وأثر ذلك التغيير في النفوس ينطلق الكاتب في تفسير الآية الكريمة وبيان المعنى الذي تبادر إلى فهمه للآية محل التفسير، وهذا عين ما جاء به ريفاتير في المحور الخارجي[1]، في الأسلوبية البنيويّة إذ يتكأ فيه على ما يحيط بالنص حتى يبين المعنى المراد من ذلك النص.

وفي موضع آخر في الكتاب ذاته يقول: "في قوله تعالى: "أمّةً وَسَطًا"[2] قال: عدولا لتكون هذه الأمة شهداء على الناس أنّ الرسل قد بلغتهم، ويكون الرسول على هذه الأمة شهيدا أنّ قد بلّغ ما أرسل به"[3] بالاتكاء على الفهم لسياق الآية الذي جعل منه المفسر عمدة في إيضاح المعنى ثبت عنده أنّ معنى الوسطية في الآية هي العدالة مستدلا بالشهادة على الناس لإثبات عدالتهم، ولعل ما ذهب إليه الكاتب غير مفترق عمّا جاء به ريفاتير من أنّ السياق هو من يحدد الوظيفة اللغوية للعناصر اللسانية[4].

6- أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت 215هـ)، كتاب معاني القرآن.

إن من ملامح الأسلوبية البنيويّة التي بانت عنده، قوله: "وإنّما زيدت لسكون الحرف الذي بعدها، لمّا أرادوا استئناف لم يصلوا إلى الابتداء بساكن؛ فأحدثوا هذه "الألف" ليصلوا إلى الكلام بها"[5] الرائي للنص المار ذكره بمنظار التأمل يخالج فكره فكره أنّ المؤلف جعل من اللغة وتحديدا الصرف واقفا عند عدم جواز الإبتداء

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62

(2) سورة البقرة: 143.

(3) تفسير عبد الرزاق، 1: 295.

(4) ينظر: الوجه القفا: 149.

(5) كتاب معاني القرآن، لأبي الأحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت 215هـ)، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1411هـ - 1990م، 1: 3.

بالنكرة، متخذا من زيادة الألف لما لحقه من سكون، وعلى هذا يكون للصرف أثر في إيضاح المعنى عنده، وبالرجوع إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ اتخاذ المقاييس الأسلوبية[1] من الملامح المهمة فيها أي الاعتماد على الصرف والنحو والمعجم والدلالة لإظهار قصد المتكلم أو المعنى الذي أريد من النص.

ومن الملامح في الكتاب ذاته قوله: "وإمّا قوله تعالى: "**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**"[2]، فإنّه جرّ؛ لأنه من صفة "الله" عزَّ وجلَّ، وقولك "لله" جَرّ بـ"اللام" كما انجرّ قولك "ربّ العالمين الرحمن الرحيم" لأنه من صفة قوله: "لله"[3] جليّ في ما مرَّ من كلام أنّ تحليل الآية معتمد على المستوى النحوي وتأثير التركيب في ذلك وما أثر النحو في إظهار المعنى، وهذا ما عدّه ريفاتير من ملامح الأسلوبية البنيويّة وقت تكلم عن المقاييس الأسلوبية[4] وأثرها في إظهار المعنى.

7- سهل بن عبد الله بن يونس التستري (ت 283هـ)، تفسير القرآن العظيم.

ومن الملامح الأسلوبية التي بانت عنده، قوله: "قوله تعالى: "**وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**"[5] أي كثير العطاء، يقدر بقدرته الأزلية أن يعطي جميع ما يسأل، وهو المحيط المحيط بكل شيء"[6]، الفهم السياقي للنصوص يضفي على الألفاظ معاني ودلالات قد تكون بعيدة عن المعنى الأصل لتلك اللفظة، وهذا ما ذهب بالكاتب إلى أن يفهم من لفظ [واسع] معنى الكثرة في العطاء جاعلا من هذا العطاء والسعة وعلمه

(1) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تأصيلية نقدية: 20.

(2) سورة الحمد: 4

(3) كتاب معاني القرآن، 1: 13.

(4) ينظر: علم الدلالة النظرية التطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(5) سورة البقرة: 261.

(6) تفسير القرآن العظيم، سهل بن عبد الله بن يونس التستري (ت 283هـ)، تح: طه عبد الرؤوف سعد وسعد محمّد حسن علي، دار الحرم للتراث، ط1425،1هـ - 2004م: 123

بالأشياء دليلا على مقدرته تعالى فضلا عن أزليّة هذه القدرة، وهذا ما دلّ عليه السياق والفهم اللغوي للكاتب، وبالذهاب إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ السياق له الأثر البالغ في إضفاء المعاني على العناصر اللسانية[1]، متخذا من العلاقات بين عناصر التركيب الأساس في ذلك المعنى.

وفي موضع آخر من الكتاب ذاته، يقول: "قوله تعالى: "**وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ**"[2]، أي لا يطيعون، ومن كان في سلطان رجل فهو في دينه"[3]، تأملاً في السياق ورجوعا إلى المعنى الذي ذهب إليه الكاتب من أنّ الدين هو الطاعة في منظوره التفسيري، معتمدا السياق في ذلك ما يمكن أن يفهمه من معطيات النص، لأن المفهوم الراسخ لدى الإنسان هو أنّ الدين طاعة الخالق وهذا ظاهر الكلام وما يمكن أن يدل عليه السياق لأثره في العناصر اللسانية والعلاقات في ما بينها، وتجد ذات الفكرة عند ريفاتير وقت تحدث عن السياق وأثره في إظهار مقاصد النصوص وما يضفيه على العناصر اللسانية من معاني مساعدة أخواتها المكونات للتركيب من العناصر اللسانية الأخرى والعلاقة الرابطة بينهم[4].

8- أبو عبد الله الكوفي الحسيني ابن الحكم بن مسلم الحبري (ت 286هـ)، تفسير الحبري.

إن من الملامح الأسلوبية البنيويّة التي ظهرت فيه قوله: "وأمّا ما يرتبط بنزول هذه الآية من الآثار الدالة على أن عليا هو المؤذن وأنه أعلن الكلمات في

(1) ينظر: علم السلوب مبادئه وإجراءاته: 84.

(2) سورة التوبة: 29.

(3) تفسير القرآن العظيم: 158.

(4) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

الموسم"[1]، إن من أهم ما يمكن أن يستدل به على المعنى هو ما يحيط بالنص، ومن أهم ما يحيط بالنص القرآني هو سبب النزول وهذا ما أشار إليه الكاتب في القول المار ذكره من ذكره ما يرتبط بنزول الآية، ولو عدت مراجعا لما جاء به ريفاتير من ملامح للأسلوبية البنيويّة تجد أنّ المحور الخارجي[2]، هو ما يحيط بالنص حتى تتضح المقاصد المرادة من النص ذاته.

وقوله في موضع آخر: "والآثار الدالة على نزول هذه الآية"[3]، أسلفنا القول في ما هو تأثير علة النزول أو سببها في إظهار معاني الآيات الكريمات ومقاصدها عند المفسرين، وذهابا خلف ذلك في الأسلوبية البنيويّة عرفنا أنّها تقع في المحور الخارجي[4].

9- محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ)، التبيان في تفسير القرآن.

من الملامح الأسلوبية البنيويّة التي ظهرت فيه، قوله: "قوله تعالى: "**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**"[5]، قال أبو زيد: خدعت الرجل أخدعه خدعا بكسر الخاء وخديعة"[6]، إنّ الاتكاء على المعجم في إظهار المعاني من الوسائل التي تعتمد في تفسير القرآن قديما وحديثا، إذ أنّ المعنى المعجمي عند المفسر يهدي إلى المعنى الأوّلي للنص في أقل تقديراته التفسيرية،

---

(1) تفسير الحبري، جمع: أبو عبد الله الكوفي الحسيني ابن الحكم بن مسلم الحبري(ت 286هـ)، تح: محمّد رضا الحسيني، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، د. ط، د.ت، 466.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) تفسير الحبري: 473.

(4) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(5) سورة البقرة:

(6) التبيان في تفسير القرآن، محمّد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ)، تح: آغا بزرك الطهراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1: 68..

وكذا الحال عند ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة، إذ أنّه جعل الدلالة خاضعة لمقاييس أربعة مرَّ ذكرها، وها هنا يظهر المقياس المعجمي، ومنها تكتسب اللغة خصوصيتها[1].

من الملامح أيضا في الكتاب ذاته قوله: "قوله تعالى: "**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ**"[2]، الزلة والمعصية والخطيئة والسيئة بمعنى واحد وضد الخطيئة الإصابة"[3]، إن الاعتماد على ما يذهب إليه المعجم من معنى يفضي إلى أنّ الألفاظ المتعددة تحمل معنى واحدا، فيكون ترادف للفظ في معناه مع لفظ آخر، وهذا له مساس كبير بقصديّة المتكلم والمعنى المحدد المراد التعبير عنه بذلك اللفظ دون غيره؛ لذا جاء القول المار معبرا عن الزلل بكثير من الألفاظ، جاعلا بينها تعالق وترادف في المعنى ويمكن أن ينوب أحدها عن الآخر من ظاهر الكلام، أي أن المعنى المعجمي أحد الوسائل والروافد عند المفسرين، لإظهار الدلالات من النص القرآنية، وهذا ما تكلم عنه ريفاتير وقت ذكر أن الدلالة خاضعة لمقاييس أسلوبية أحد هذه المقاييس هو المعنى المعجمي للفظ[4]، وعد هذا من ملامح الأسلوبية البنيويّة.

10- علي بن أحمد الواحدي (ت 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

من الملامح الأسلوبية البنيويّة التي ظهرت عنده قوله: "قوله تعالى: "**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**"[5]، أي: بالقرآن "**وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ**" بما يدلُّ على صحته

(1) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(2) سورة البقرة: 36.

(3) التبيان في تفسير القرآن، 1: 160.

(4) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20

(5) سورة آل عمران: 70.

من كتابكم؛ لأن فيه نعت محمد ﷺ وذكره"[1]، إنّ القراءة للنص على وفق ظاهر الكلام ينتج المعاني المفهومة على وفق القدرة الذاتية للقارئ وما يتحصل عليه من العلوم المؤهلة له في أن يفهم النص من طريق تحكيم العديد من العوامل، أوّلها: السياق، وثانيها: التركيب، وثالثها: اللغة وما إلى ذلك من عناصر النص، لذا ترى المفسّر حكّم هذه العناصر في إظهار المعنى وتوصّل إلى أنّ الآيات تتحدث عن القرآن الكريم حصرا، وإنّ لفظ آيات متعلق بآيات القرآن الكريم حصرا أيضا، ولعل ما دفعه لهذا هو السياق الذي تحكم بالعوامل المؤثرة في استنباط المعنى، وبالعودة إلى ريفاتير وما جاء به في الأسلوبية البنيويّة يتضح أنّ في المحور الداخلي الذي نادى به ريفاتير كلما ذهب إليه المفسر من عوامل مساعدة لإظهار هذا المعنى[2].

من الملامح أيضا في الكتاب ذاته قوله: "في قوله تعالى: **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ**"[3]، أي: الإسلام الذي يوجب المغفرة"[4]، لو تأملت القول المار تجد أنّ الكاتب جعل المغفرة مقترنة بالإسلام، وأن ما يوجب المغفرة هو أن تكون مسلما، ولو تأملت غاية التأمل تجد أنّ المغفرة متعلقة بمن دخل الإسلام لا بمن هو خارجه على الأعم الأغلب من سياق الآية، والمنهج السياقي الذي تعامل به الكاتب مع النص القرآني، إذ أنّه لم يخرج من كنف النص ذاته في إظهار المعنى، وهذا ما نادى به ريفاتير وقت تكلم عن أنّ الباحث الأسلوبي البنيوي لا مناص له في التعامل من دون النص دائرا في مفصلياته وعناصره اللسانية والعلاقات المكونة له[5].

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي (ت 468هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية– بيروت، ط1، 1415هـ – 1995م، 1: 217.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) سورة آل عمران: 133.

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 1: 232.

(5) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: 84.

11- الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ)، جامع الجوامع.

إنّ ملامح الأسلوبية البنيويّة التي بانت عنده، قوله: "في قوله تعالى: "**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمٰاءِ فِيهِ ظُلُمٰاتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصٰابِعَهُمْ فِي آذٰانِهِمْ مِنَ الصَّوٰاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَ اللّٰهُ مُحِيطٌ بِالْكٰافِرِينَ**"[1]، الصيب: المطر الذي يصوب، أي ينزل ويقع، ويقال للسحاب: صيب أيضا"[2]، الظاهر من القول المار أنّ الكاتب جعل للمعنى اللغوي السلطة في الوقوف على المعنى المراد من اللفظ في النص القرآني وبالمؤدى النهائي استنباط معنى الآية من أصل المعنى اللغوي، وهذا ما أسماه ريفاتير بالمقاييس الأسلوبية وأحد هذه المقاييس هو المقياس المعجمي[3] المستعان به للوقوف على الدلالة المتحصلة من النص.

ومن الملامح الأخرى في الكتاب ذاته قوله: "في قوله تعالى: "بسم الله الرحمن الرحيم"[4]، تعلقت الباء في [بسم الله] بحذف تقديره بسم الله أقرأ"[5]، لإظهار الدلالة لأي نص لابد من توافر العديد من العناصر، منها ما هو نحوي وآخر بلاغي وغيره صرفي فكل ذلك لوازم لدى المشتغل في إظهار معاني النص القرآني، وهذا ما تجده في القول المار من بيان أثر الباء في التركيب وتقدير المحذوف وما أثرهما في إظهار معنى النص، وإذا ما ذهبت إلى ريفاتير تجد أنّه جعل لإظهار الدلالة مقاييس أربعة أحدها المقياس النحوي[6]، وهذا ما بان في النص.

---

(1) سورة البقرة: 19.

(2) جامع الجوامع، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ)، تح: مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة، ط2، 1423هـ، 1: 79.سورة آل عمران: 133.

(3) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 40.

(4) سورة الحمد: 1.

(5) جامع الجوامع، 1: 53.

(6) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

12- محمد بن الحسن الشتبيّني (ت ق7 هـ)، نهج البيان عن كشف معاني القرآن.

ومن الملامح الأسلوبية التي بانت عنده، قوله: "فحقيقة القول عند أهل اللسان هو قول القائل لمن هو دونه في الرتبة إفعل"[1]، إنّ أخذ المعاني والدلالات لابد من الرجوع فيه إلى من هم أهل تخصص فإن الأعم الأغلب من الدارسين للقران الكريم لابد لهم من الرجوع إلى علماء البلاغة، والنحو اللسان، والمعجم وما إلى ذلك من العلوم التي لها صلة كبيرة بالنص القرآني بمنظورهم التفسيري وما صاحبنا في قوله المار وتحديدا وقت قال [عند أهل اللسان] إلا من هؤلاء المعتمدين على من هم أصحاب دراية في هذا المضمار للوقوف على الدلالة الأقرب إلى المعنى، وإذا ما ذهبت إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ ريفاتير جعل من ملامح الأسلوبية البنيويّة القارئ العمدة[2]، وهو صاحب السلطة في إظهار الدلالة.

ومن أقواله أيضا التي تعد بضمن الملامح الأسلوبية البنيويّة "الكفر بمعنى التغطية ومعنى الجحود"[3]، من البديهي أنّ كلّ مشتغل على نص بمستوى النص القرآني لابد له من أن يرجع إلى المعجم للاستدلال على المعاني الغامضة وهذا ما تجده في القول المار ذكره، وهذا ما جعله ريفاتير أحد المقاييس الأسلوبية[4]، للوقوف للوقوف على الدلالة.

(1) نهج البيان عن كشف معاني القرآن، محمّد بن الحسن الشتبيّني (ت ق7 هـ)، تح: حسين دركاهي، مطبعة الهادي، ط1، 1419هـ، 1: 29.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(3) نهج البيان عن كشف معاني القرآن: 134.

(4) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

13- محمد بن المرتضى المعروف بالمولى محسن الكاشاني (ت 1091 هـ)، كتاب الصافي في تفسير القرآن.

إن من ملامح الأسلوبية البنيويّة التي ظهرت عنده، قوله: "أقول: إنّما انتقل العبد من الغيبة إلى الخطاب لأنه كان بتمجيده لله يتقرب إليه متدرجا إلى أن يبلغ في القرب مقاما كأنَّ العلم صار له عينا"[1]، إنّ الاعتماد على علوم البلاغة والنحو والصرف في التعامل مع النص القرآني منهج عند السابقين في تفسير القرآن وما تركيز الكاتب على أسلوب الالتفات إلّا إشارة على أنّ النص هو من يدل القارئ على المعنى في مفهومه، لذا هو لا يكاد يخرج من كنف النص ذاته لبيان المعاني، وهذا ما ذكره ريفاتير في المحور الداخلي[2]، أي أنّ النص هو الهادي إلى الدلالة المراد التكلم عنها.

وذكر في موضع آخر قوله: "أقول: ويدخل في الصراط المنعم عليهم: كل وسط واستقامة في اعتقاد أو عمل فهم الذين "**قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**"[3]، وفي صراط المغضوب عليهم: كل تفريط وتقصير، ولاسيما إذا كان عن علم كما فعلت اليهود، وعيسى عليه السلام ومحمد (صلى الله عليه وآله)"[4]، إن القول بالرأي من المناهج المتبعة في تفسير القرآن الكريم وما قوله [أقول] إلّا إبداء لرأي، ثم إنّ جعل القرآن بعضه شاهدا على بعض فهذا أيضا منهج متبع في تفسير القرآن وهو منهج تفسير القرآن بالقرآن، والمتأمل في النص المار يجد أنّ الكاتب ما خرج عن النص،

(1) كتاب الصافي في تفسير القرآن، محمّد بن المرتضى المعروف بالمولى محسن الكاشاني (ت 1091 هـ)، تح: محسن الحسيني الأميني، دار الكتب الإسلامي ة – إيران – طهران، ط1، 1419هـ، 1: 125.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) سورة فصلت: 30.

(4) كتاب الصافي في تفسير القرآن، 1: 129.

لذا هو يعمل في كنف النص ذاته مستنبطا الأحكام والمعاني من النص ذاته، وهذا ما جاء في كلام ريفاتير وقت تحدث عن المحور الداخلي[1]، أي أنّ الكلام غير مبتعد عنه متخذا من العناصر اللغوية والعلاقات فيما بينها دليلا عن الوقوف على دلالة النص.

14- محمد بن مرتضى الكاشاني المتوفى بعد عام (1115هـ)، تفسير المعين.

إن من الملامح الأسلوبية البنيويّة التي ظهرت عنده، قوله: ""**بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ**"[2]، دلائل واضحات"[3]. إنّ من العناصر المهمة في التعامل مع النص القرآني وفهم معناه والوقوف على دلالاته عند المفسرين قديما وحديثا هو السياق الموحي بالمعنى على وفق المكتنز اللغوي لدى المفسر، أي ما يمكن أن يفهمه المفسر من السياق على وفق حصيلته اللغوية التي تشربها من المعاجم؛ لذا ترى أن الأعم الأغلب من المفسرين يحكّم السياق بل يجعل منه منهج في تفسير القرآن، وعلى هذا فإنّ ما جاء بالقول المار ذكره ليس ببعيد عن التفسير السياقي للنص القرآني، والمعنى الذي يمكن فهمه من ذلك السياق بحسب المعنى الذي أورده المفسر، وبالذهاب إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ ريفاتير جعل للسياق الحاكمية في إظهار الدلالة لما له من علاقة وثيقة جدا بالتأثير في العناصر اللسانية، وإضفاء الدلالات عليها، والحكم على العلاقات في ما بين هذه العناصر[4].

ومن الملامح في ذات الكتاب قوله: "والأرحام"[5]، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وهي أرحام الناس"[6]، كما سلف القول أنّ الفهم السياقي يضفي على الألفاظ معانٍ

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) سورة البقرة: 164.

(3) تفسير المعين، محمّد بن مرتضى الكاشاني المتوفى بعد عام (1115هـ)، أشراف: محمود المرعشي، تح: حسين دركهاي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط 1، 1: 83.

(4) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: 84.

(5) سورة النساء: 1.

(6) تفسير المعين، 1: 205.

غير ما قصد من النص، أو قد يكون ذا مساس بعيد بالمعنى المراد، لذا تجد الكاتب فسر الأرحام بأرحام الناس كافة والحرص من قطع تلك الأرحام، وهذا ما نادى به ريفاتير في حديثه عن السياق وأثره في إضفاء المعنى على العناصر اللسانية ونوع العلاقات فيما بينها[1].

(1) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: 84.

الفصل الثاني

مظاهر منهج الأسلوبية البنيويّة في التفسير العربي الحديث

الـولادة لكـل شـيء بدايـة مسـيرة، وأنّ بدايـة مسـيرة الأسـلوبية البنيويّـة محـل الدراسـة ظهـرت علـى شـكل ملامـح غيـر ناضـجة وغيـر واضـحة المعـالم، إلّا أنَّهـا إشارات تفرقت هنا وهناك بين أمّات الكتب القديمة الموزعة على فروع العلم المختلفة مثل البلاغة والنقد كما مرّت الدراسة في الفصل الأوّل وأيضا كتب التفسير فضلا عن كتب علوم القرآن والحديث.

وربّ سائل يسأل ما الفرق بين الملمح والمظهر؟ فيجدر الإشارة إلى أنّ ما عنيناه بالملمح هو التخطيط الأوّلي للموضوع إذ أنّه قد يجيء عفو الخاطر في كثير من الأحايين ولا يكون بقصد من الكاتب؛ لأنه قد يكون غير مخطط له لذا جاء الفصل الأوّل متحدثا عن الملامح للأسلوبية البنيويّة بجميع عنواناتها الضمنية الموزعة بين طيّات سطور العلماء.

وربّ سائل أيضا يسال ها هنا وما المعني بالمعاني الضمنية للأسلوبية البنيويّة؟ يشير هذا الكلام إلى أهم المظاهر التي بانت في هذه الكتب من مثل المحور الخارجي أو المحور الداخلي أو القارئ العمدة أو السياق وأثره في إضفاء المعاني على العناصر اللسانية المكونة للتركيب أو التضاد الأسلوبي وما إلى ذلك من الملامح الأسلوبية البنيويّة التي بنى عليها ريفاتير منهجه الأسلوبي البنيوي متكئا في ذلك على نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني كما أشار البحث في الفصل الأوّل من هذه الأطروحة وبالتحديد في المبحث الأوّل منها وقت تحدث عن ملامح الأسلوبية البنيويّة والتقارب بينها وبين نظرية النظم للجرجاني موضحا ذلك التقارب وما هي أهم النقاط التي اتكئ فيها ريفاتير على عبد القاهر الجرجاني في هذه النظرية ولعل من أبرزها أو من أبينها هي العلاقة بين العناصر والتي أسماها الجرجاني بعلاقة اللفظ بسابقته وتاليته وأثر معاني النحو في ذلك إذ أنّ ريفاتير يشترط للعنصر اللساني أن تكون له علائق بينها وبين العناصر اللسانية الأخر المكونة للسياق مشترطا في ذلك مقاييس للدلالة من أهم هذه المقاييس المقياس

المعجمي، والمقياس الصرفي، والمقياس النحوي، والمقياس الدلالي، وهذا كله قد بيّنه الجرجاني وقت وضع نظرية النظم مبيّنا أهم مفاصلها وما هو أثر السياق في ذلك أي في إظهار الدلالات المرادة من النصوص المكتوبة والمقروءة فضلا عن أثرها في النص القرآني متخذا من الأمثلة في النص القرآني بيانا لأهمّ مفاصل نظريته وهنا يجيء سؤال لماذا سمي الفصل الثاني بالمظاهر؟ لأن المظهر قد بانت عليه هيأة الاكتمال أو النظرة شبه التّامّة للمنهج لذا جاء الفصل الثاني متحدثا عن مظاهر الأسلوبية البنيويّة في التفاسير العربية الحديثة لأن هذه الملامح التي ظهرت في بداية الأمر تطورت ونشأت وحُدِّثَتْ ووضِّحتْ معالمها لذا هي في العلم الحديث صارت مظاهر والمظاهر هي مجموع الملامح يمكن القول هكذا أو يمكن القول أنّ المظاهر كمال الملامح.

وعلى هذا يمكن تقسيم العمل في هذا الفصل إلى مظاهر منهج الأسلوبية البنيويّة في الجهود التقليدية لتفسير القرآن الكريم السائرة على ما جاء به القدماء دون تغيير في المنهجية المتبعة في التعامل مع النص القرآني وبيان معانيه، ومن ثم الولوج إلى الجهود المجددة في التفسير ومنهجيته القديمة وأخيرا الذهاب إلى الجهود الحداثوية في تعامل مع النص القرآني.

المبحث الأوّل

الجهود التقليدية

كان للعلماء القدماء جهود منمازة في تفسير القرآن ودراسة الآيات والسور على صعد شتى منها بلاغي أو تفسيري أو نحوي أو صرفي وما إلى ذلك من علوم اللغة مما أثمر أن كانت هنالك مناهج لتفسير القرآن الكريم مختلفة منها ما كان تفسير القرآن بالقرآن ذاته ومنها ما كان تفسير على وفق السياق أي الاعتماد على سياق الآية في استنباط المعنى ومنها ما كان تفسيرا أدبيا ومنها ما كان تفسيرا لغويا ومنها ما كان تفسيرا نصيا وما إلى ذلك من المناهج التي اتبعت في تفسير القرآن الكريم إذ أنّ القدماء وضعوا مناهج للتعامل مع النص القرآني ثم جاء بعدهم علماء جدد في عصور متأخرة وعملوا أيضا على تفسير القرآن دون أن يخرجوا عن السياقات التي اتبعها المتقدمون من العلماء لذلك جاءت جهودهم في تفسير القرآن الكريم جهود تقليدية ومحاكاة لما عمل عليه الأقدمون ومن هنا انبثقت فكرة العمل في هذا المبحث أي العمل على جهود العلماء الذين عملوا على تفسير القرآن الكريم على وفق المنظور التقليدي المتبع في التفاسير القديمة فلو توقفنا عند جهود العالم:

1- محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي، المعروف بـ"ملا صدرا" (ت1050هـ)، تفسير القرآن الكريم.

من مظاهر الأسلوبية البنيويّة فيه قوله: "واعلم أنّه على تقدير كون "الذين" مع ما يليه متصلا بالمتقين وصفة له فإن كان المراد بالتقوى ترك ما لا ينبغي فهو يكون صفة مقيدة له مترتبة عليه ترتب الفعل على القوة"[1]، بإنعام النظر في النص المار يتبيّن للقارئ أنّ الكاتب قد جعل من حاكمية السياق منطلقا للولوج إلى أعماق النص والوقوف على دلالاته وهذا ديدن أساتذته القدماء من المتعاملين مع النص القرآني وتفسيره، وهو ذات الأمر الذي يفعله الباحث الأسلوبي البنيوي عند تعامله مع النص

(1) تفسير القرآن الكريم، صدر المتألهين محمّد بن إبراهيم الشيرازي(ت 1050هـ)، صححه: محمّد خواجوي، مطبعة أمير – قم، قم،ط2: 243.

إذ يتكئ على العناصر اللسانية محكّما السياق في ذلك ونوع العلاقة التي آلفت بين العناصر حتى صار ذا دلالة جاعلا السلطة في كل ذلك للسياق[1]، في إظهار تلك الدلالات وهنا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي، وفي موضع آخر قال في تفسيره لقوله تعالى: "**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**"[2]، وأمّا النصب فعلى الحالية عن ضمير المجرور والعامل فيه أنعمت أو بإضمار "أعني" أو الاستثناء بالاستثناء أن فسّر النعم بما يشمل القبيلين ويعم"[3]، جلي من النص المار ذكره أنّ الكاتب تعامل مع النص على وفق الفهم النحوي والتركيبي وما له من أثر في إظهار المعنى متخذا من طريقة السلف منهجا للتعامل مع النص القرآني بالأسلوب التقليدي، وإذا ما ذهبت إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ للدلالة مقاييس أربعة قد أقرّها ريفاتير بانَ منها في هذا القول المار المقياس النحوي[4]، وهو المظهر الأسلوبي البنيوي.

2- الفيض الكاشاني (ت 1091هـ) في كتابه تفسير الصافي.

من مظاهر الأسلوبية البنيويّة فيه قوله: "أقول: ومنه أن يمنع الله بشؤم ظلمه المطر فيهلك الحرث والنسل إلى غير ذلك من نتائج الظلم والله لا يحب الفساد لا يرضيه ولا يترك العقوبة عليه"[5]، إنّ اعتماد التفسير بالرأي على وفق المخزون الثقافي واللغوي والاتكاء على السياق من أهم مظاهر التفسير القديم وهذا محل تأثر الكاتب بالقدماء من المفسرين والسير على خطاهم في إظهار دلالة النص على وفق الرؤيا العامة للسياق وهذا ما نادى به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة من أنّ للسياق

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) سورة الحمد: 7.

(3) تفسير القرآن الكريم، ملا صدرا: 142.

(4) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(5) تفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني (ت 1091هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: العلّامة محمّد حسين الأعلمي، مكتبة الصدر، طهران، ط 3، د.ت، 1: 240

الحاكمية[1]، في إظهار الدلالة وهنا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي، وفي موضع آخر إذ يقول: "أقول: معنى يتأله إليه: يفزع إليه ويلتجأ ويسكن"[2]، كما مرَّ الذكر في النص السابق أن الاعتماد على الرأي في إيضاح المعنى والالتجاء إلى المعجم في الوقوف على الدلالة المرادة من النص سيرا على ما جاء به الأقدمون من تحكيم السياق والاتكاء على المعنى المعجمي، وهذا ما جاء به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة من تحكيم السياق[3]، والاعتماد على المقاييس المحددة للدلالة[4]، وهذا ما يجعل الكلام المار من مظاهر الأسلوبية البنيويّة.

3- الجواد الكاظمي (ق12هـ)، مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام.

ومما جاء فيه قوله: "قيل: ومعنى من الليل وعليك بعض الليل فتهجد به، وقيل: معناه وأقم الصلوة في بعض الليل فتهجد به"[5]، إنّ تأملت الكلام المار ذكره في كيفية تعامل الكاتب مع النص أنّه قد اعتمد أقوال السابقين عليه والذين لهم الآراء في ذات الموضوع هذا يعني أنّه سار على ما سار عليه الأقدمون في الذهاب إلى من كان له تفسير سابق عليه وإذا ما ذَهَبْتَ إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ اعتماد قارئ عمدة[6] للنص له السلطة في إضفاء المعنى على النص وتوجيه ذلك المعنى وهذا من مظاهر الأسلوبية البنيويّة التي جاء بها ريفاتير، وفي موضع آخر يقول: "قيل: المراد إذا تلى عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له، وقيل: المراد استمعوا له

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) تفسير الصافي، 1: 80.

(3) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(4) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(5) مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، العلّامة الفاضل الجواد الكاظمي (ق12هـ)، علق عليه وأخرج أحاديثه المحقق: محمّد باقر شريف زاده، أشرف على تصحيحه : السيد محمّد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء التراث الجعفري، 1: 147

(6) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

وتدبروا آياته لتعلموا ما فيه، وقيل: كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت وصارت سنة في غير الصلوة: أي ينصت القوم إذا كانوا في مجلس يُقْرَأ فيه القرآن"[1]، بإمعان النظر في النص السابق وكيفية الوقوف عنده يظهر جليا أنّ استعمال مفردة (قيل) هي أنّ الكاتب اعتمد أقوال السالفين في الوقوف على دلالات النصوص وهذا المنهج ليس بغريب إنّما هي الطريقة التقليدية في التعامل مع النصوص القرآنية في بيان المعاني والدلالات التي يصل إليها أهل الاختصاص أي أرباب التدبر والتفسير يفهم من هذا أنّ الكاتب اعتمد الطريقة القديمة في التفسير للنصوص وإذا ما ذهبت إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ الكاتب لابد له من انتخاب قارئ عمدة للنصوص[2]، حتى يقف عند تأثير ذلك النص فيهم ومن طريق تفاعلهم معه يستشف فاعلية ذلك النص المراد الوقوف على دلالاته وهذا عين ما عمل عليه الكاتب وقت انتخب مجموعة من الآراء والأقوال للسالفين حتى تتبيّن الدلالة الكلية للنص وهنا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي.

4-محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ق12هـ)، كنز الدقائق وبحر الغرائب.

ومما جاء فيه من مظاهر الأسلوبية البنيويّة قوله: "قوله تعالى: "**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْـرَاهِيمَ**"[3]: منتصب على المصدر بفعل دلَّ عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف"[4]، الارتكاز على القاعدة النحوية في إظهار المعنى من الأسس التي سار سار عليها الأقدمون في الاستدلال والوقوف على دلالات النصوص لا سيما النص القرآني وهذا أيضا ما هو جلي في النص المذكور آنفا لكاتبنا محل البحث وإذا ما

(1) مسالك الأفهام إلى آيات الإحكام، 1: 299.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(3) سورة الحج: 78.

(4) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمّد بن محمّد رضا القمي المشهدي(ق12هـ)، تح: حسين دركاهي، منشورات مؤسسة شمس الضحى، ط1، 1430هـ، 1: 121.

رجعت إلى ريفاتير تجده جعل المقياس النحوي[1]، بضمن أربعة مقاييس للدلالة[2]، وهذا من أهم مظاهر الأسلوبية البنيويّة لديه، وفي موضع آخر يقول: "في قوله تعالى: "**مُشْفِقُونَ**"[3]، خائفون"[4]، بالنظر إلى القول المار ذكره تجد أنّ الكاتب توقف عنده بصور الوقفة المعجمية أي أنّه أعطى المفردة المعنى الذي تبادر إلى إدراكه من النص لذا جاءت بصورة الدلالة المعجمية[5]، وهذا أيضا من مقاييس الدلالة التي توقف عندها ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة لذا صار هذا الموضع من مظاهر الأسلوبية البنيويّة أيضا في هذا الكتاب.

5-عبد الله شبر(ت 1242هـ)، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين.

جاء فيه قوله: "قوله تعالى: "مثلهم"[6]، حالهم العجيبة "كمثل الذي استوقد نارا"[7]، ليبصر بها ما حوله "فلما أضاءت"[8]، النار "ما حولها" حول المستوقد أن تعدى وإلّا فالفاعل نحو(ما) والتأنيث لأنها أشياء وأمكنة"[9]، المتأمل في النص المذكور يرى أنّ الكاتب اعتمد في تفسيره النص على ركيزتين أساس أوّلهما: تحكيم السياق[10] في إظهار المعنى من طريق فهمه الذاتي للنص وتحكيم مكتنزاته اللغوية بالاتكاء على السياق الكاشف للمعنى، فضلا عن اعتماد النحو في الاستدلال أيضا

(1) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 20.

(3) سورة المؤمنون: 57.

(4) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، 1: 173.

(5) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(6) سورة البقرة: 17.

(7) سورة البقرة: 17.

(8) سورة البقرة: 17

(9) الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، السيد عبد الله شبر (ت 1242هـ)، مراجعة وتعليق: أسامة الساعدي، ذوي القربى، ط1، 1413هـ، 1: 37.

(10) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

وموقع (ما) في الجملة وأثره في المعنى وفي دلالة النص وهذا يعد من مقاييس اللغة المستدل بها على الدلالة المرادة من النص، وبهذا تتبيّن الظاهر الأسلوبية البنيويّة التي اكتنزها النص في هذا المقطع، يقول في موضع آخر: "في قوله تعالى: "**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى**"[1]، (ما) زائدة تؤكد (أن) الشرطية ليحسن تأكيد الفعل وإن لم تتضمن طلبا، وجواب الشرط جملة "**فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**"[2]،... حين يخاف الكافرون"[3]، بيّن في النص المار ذكره أنّ التعامل مع النص القرآني جاء على وفق المقياس النحوي أي أنّ الكاتب قد اتكأ تمام الاتكاء على التحليل النحوي للنص مبينا أنّ الحالة الإعرابية هي ذات الأثر في إظهار الدلالة وإذا ما ذهبت إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ من مقاييس الدلالة عند ريفاتير هو المقياس النحوي[4]، وهنا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي.

6- صدّيق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري (ت 1307هـ)،

أ- فتح البيان في مقاصد القرآن.

جاء فيه قوله: "و "ما "في قوله "ما طاب لكم"[5]، موصولة وجاء بما مكان "من" لأنهما قد يتعاقبان فيقع كل واحد منها مكان الآخر كما في قوله "**وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا**"[6]"[7]، جلي لكل قارئ أنّ الكاتب تعامل مع الآية الكريمة من جهة لغوية متخذا من النحو متكأ لذلك، وهذا من المظاهر الأسلوبية البنيويّة التي توقف عندها

---

(1) سورة البقرة: 38.

(2) سورة البقرة: 38.

(3) الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، 1: 52.

(4) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20

(5) سورة النساء: 3.

(6) سورة الشمس: 5.

(7) فتح البيان في مقاصد القرآن، صدّيق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري (ت 1307هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعه : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 1412هـ - 1992م، 3: 15.

ريفاتير وقت حديثه عن مقاييس الدلالة[1]، إذ اعتمد المقياس النحوي لإظهار الدلالة من النص أي المعنى المطلوب من النص، وفي موضع آخر قال: "والمسموع من ذلك أحد عشر لفظا آحاد وموحد، وثناء ومثنى، وثلاث ومثلث، ورباع ومربع، ومخمس، وعشار ومعشر، ولم يسمع خماس ولا غيره من بقية العقد، وجمهور النحاة على منع صرفها وأجاز الفراء صرفها وإن كان المنع عنده أولى"[2]، بادٍ وبوضوح المظهر الأسلوبي البنيوي في النص المذكور آنفا إذ توقف عند المسموع أي اعتمد السماع والشيوع في إثبات الحالة وهذا ما نادى به ريفاتير وقت ترك السلطة على النص للقارئ العمدة المنتخب من لدن الكاتب، ثم ذهب إلى ما ورد من الألفاظ وصيغها الصرفية وهذا من مقاييس الدلالة عند ريفاتير أيضا، بعد ذلك أعطى سلطة التقييم والحكم إلى جمهور النحاة أي عائدا إلى القارئ العمدة للنص، وهو لا يفتأ سائرا على مظاهر الأسلوبية البنيويّة في كل مفصل يصل إليه من مفاصل التعامل مع النص القرآني.

ب- **نيل المرام من تفسير آيات الاحكام.**

جاء فيه من مظاهر الأسلوبية البنيويّة قوله: "قوله: "**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**"[3]، أي قولوا لهم قولا حسنا، فهو صفة مصدر محذوف، وهو مصدر كبشرى"[4]، لا ينفك الكاتب معتمدا على مظاهر اللغة من نحو وصرف ومعجم وما إلى ذلك من فنون العربية في صياغة النصوص، وهذا ما حاصل في النص المذكور من تقدير المحذوف والتفسير النص على وفق ذلك وهذا ما نص عليه المنهج

(1) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(2) فتح البيان في مقاصد القرآن، 3: 16.

(3) سورة البقرة: 38.

(4) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، تصنيف: محمّد صدّيق حسين خان، المطبعة الرحمانية الرحمانية بمصر، 1347هـ - 1929م، 3..

الأسلوبي البنيوي وقت التكلم في مقاييس الدلالة[1] جاعلا المقياس النحوي أحد محدداتها وهذا عين المظهر الأسلوبي البنيوي، وفي موضع آخر من ذات الكتاب يقف عند قوله تعالى: ""**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أو الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ**"[2]، أذاع الشيء وأذاع به: إذا أفشاه وأظهره"[3]، إنّ اعتماد المعنى المعجمي من الوسائل التي لطالما اعتمدها الكتاب في المنهج المتبع قديما في تفسير القرآن الكريم وهذا ما سار عليه العلماء أصحاب الطريقة التقليدية في تفسير القرآن أي اعتماد ذات الخطوات المتبعة قديما وهذا عين ما جاء به ريفاتير وقت تحدث عن المقاييس المحددة للدلالة[4]، جاعلا المقياس المعجمي واحدا منها وهنا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي.

7- محمد نووي بن عمر بن عربي الجاوي (ت 1316هـ)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد.

جاء فيه قوله: عن قوله تعالى: ""**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**"[5]، أي نظمت نظما رصيفا متقنا، [ثم فصلت] أي جعلت فصولا من دلائل التوحيد والنبوة، والأحكام، والمواعظ"[6]، بإنعام النظر في النص الوارد آنفا يطالع المتلقي أو القارئ أنّ المؤلف اعتمد في تفسيره للآية الكريمة على ما أوحى إليه النص من معنى معتمدا السياق في ذلك متخذا منه دليلا وحجه في إظهار

(1) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(2) سورة النساء: 83.

(3) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: 160.

(4) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(5) سورة هود: 1.

(6) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد، محمّد نووي بن عمر بن عربي الجاوي (ت: 1316هـ)،ضبطه: محمّد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417 هـ - 1997 هـ، 1: 499.

الدلالة وهذا عين ما نادى به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة لذا اعتماد السياق في إظهار الدلالات يعد مظهرا من مظاهر الأسلوبية البنيويّة[1]، المعتمد في استنباط المعاني والدلالات، وكذلك قوله: في قوله تعالى: "**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**"[2]، يقول: "[سبحان الذي أسرى بعبده] أي تبرأن الشريك من سير عبده محمدا [ليلا] أي في جزء قليل من الليل، [من المسجد الحرام] أي من حرم مكة من بيت أم هانئ بنت أبي طالب [إلى المسجد الأقصى] أي الأبعد من الأرض وأقرب إلى السماء؛ وهو مسجد بيت المقدس وسمي أقصى؛ لأنه أبعد المساجد التي تزار ويطلب بها الأجر من المسجد الحرام"[3]، بالتدبر في القول المار ذكره تبيّن أن الكاتب تعامل مع النص القرآني في بيان الدلالة المرادة من النص بحسب تأمله من طريق تحكيم السياق فضلا عن المعاني المعجمية لبعض الألفاظ الواردة في النص وهذا ما نادى به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة، من أنّ السياق له الحاكمية في إظهار الدلالة[4]، وفي هذا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي.

8- عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر الأنصاري الفراهي(ت 1349هـ)، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان.

من مظاهر الأسلوبية البنيويّة فيه قوله: "وأمر به أوّلا: "**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**"[5]، **خَلَقَ**"[5]، وجعل أساس الدين الصلاة وأساس الصلاة ذكر اسمه، كما قال: "**وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ**"[6]،... كما يعلم من نسق الآية، والاسم واسطة لذكر الشيء فذكر

(1) اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) سورة الإسراء: 1.

(3) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: 160.

(4) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(5) سورة العلق: 1.

(6) سورة الأعلى: 15.

اسم الله وهو أساس الصلاة فأبقي ذكر الله حين تعذرت الصلوة بصورتها الكاملة"[1]، إنّ القصد للمتكلم الواحد بالموضوع الواحد بطريقه كلام واحدة يفضي إلى معنى واحد والله واحد ومقاصده بنصوصه وآياته واحدة فالواحد لا ينتج إلّا واحد وينتج متعددا بقدرته، لكنما في النص القرآني الكريم تجيء الآية متعلقة بقصد واحد يعرفه الله ومن أعطاهم هو مفاتيح ذلك القصد، فأن نجعل الآية شاهدة على الآية ذلك تعدد للمقاصد في سياقات متعددة، وإنّما من عمل على ذلك اتكئ في عمله على أن السياق هو الحاكم في استنباط المعاني إلّا أن السياق في النص القرآني لا يمكن أن يعتمد عليه بشكل كامل لأن الآية ترد في السورة المعينة مفضية إلى قصد معين وقد يرد نفس النص من الآية في سورة أخرى متعلق بقصد آخر غير الذي ورد فيه في المرة الأولى ومن ذلك ما تكرر من الكلام أو الآيات في السور المتفرقات هل أن ذلك التكرار كان المراد منه قصد واحد جميعه وحسبك الآلاء في سورة الرحمن؟ ما يود الباحث قوله أن السياق في النص القرآني ليس في جميع الأحوال حجة في إثبات المعنى أو استنباطه وهذا ما سار عليه الأقدمون إذ جعلوا من السياق أصلا ومتكئا في استنباط المعاني معتمدين في ذلك على إمكاناتهم اللغوية والبلاغية والنحوية التي تعينهم في الوقوف على مقاصد الآيات بحسب تأملهم لا بحسب قصد الله جلَّ شأنه وبالعودة إلى ريفاتير وما قاله عن هذا الموضوع نقف قبالة أن للسياق أثره البليغ في الوقوف على المعاني المرادة من النصوص لأن له السلطة في إضفاء نوع خاص من العلاقات بين العناصر اللسانية المكونة للتركيب[2]، وبالمحصلة بين تراكيب النص الواحد لأن في النص عناصر لسانية لابد أن يكون لها علاقة مع ما قبلها وما بعدها من العناصر اللسانية وكما يعلم القارئ أن الأسلوبية البنيويّة تبحث

(1) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، حميد الدين عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر الأنصاري الفراهي (ت: 1349هـ)، الدائرة الحميدية، الهند، ط 1، 2008 م، 74 – 75.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

في نوع العلاقات بين العناصر اللسانية ومدى قوتها ورصانتها وتأثيرها في إثبات الدلالات والمعاني المرادة للنص القرآني وهنا تبيّن ويتضح المظهر الأسلوب البنيوي من تحكيم السياق وماله من سلطه في إظهار المعنى والتحكم والتعامل مع العناصر اللسانية المكونة له، ومن مظاهر الأسلوبية البنيويّة أيضا في ذات الكاب قوله: "[الرحمن] [1]، تفسير كونه إلها، و[الرحيم] تفسير الرحمن، و[مالك يوم الدين][2]، توكل، فلا يكون إلّا على إلاله الرب"[3]، بتأمل الكلام المار ذكره في النص السابق يظهر جليا أن الكاتب تعامل مع الآية القرآنية تعاملا لغويا وتارة أخرى تعاملا سياقيا أي اعتمد على السياق في إظهار معنى اللفظة فوقت تحدث عن [الرحمن] فسرها لكونه إله و[الرحيم] فسرها أنّها تفسير للرحمن ولم يقف عندها كثيرا وأمّا وقت وصل إلى [مالك يوم الدين] جعل منها دعاء وتوكلا على الله ولعل ما أخذ بقلم الكاتب إلى هذا المأخذ هو تشربه للبلاغة العربية وعلوم العربية المكونة لها من صرف ونحو وبلاغه ومعجم وما إلى ذلك لأن التعامل مع الآية لا يكون على وفق ما يخطر على بال القارئ إنّما لذلك أساليبه ومقاييسه وضوابطه فضلا عن أن يراعى في ذلك قصد المتكلم فالله تعالى جلّ شأنه وقت قال: [الرحمن الرحيم] كان لقصد، وحين قال: [مالك يوم الدين] كان لقصد، وإنّما يوضح مقاصد الله من خصهم الله بإيضاح مقاصده في غير مره من آيات القرآن الكريم وهنا يتبيّن للقارئ أنّ الكاتب سار على ما سار عليه الأقدمون من طريقة تعامل ومنهج تفسير للقران الكريم ولعل ريفاتير لم يكن ببعيد عن هذه المسالة إذ وضَّح في الأسلوبية البنيويّة أنَّ لإيضاح الدلالة وبيان المعاني هنالك مقاييس[4]، لابد من اتباعها حتى يصل المتكلم إلى دلالته التي يبغي

(1) سورة الحمد: 3.

(2) سورة الحمد: 4.

(3) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: 92.

(4) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

الوصول إليها ومن هذه المقاييس هو المقياس المعجمي الذي تعامل به مع لفظتي [الرحمن والرحيم]، وإن من مظاهر الأسلوبية البنيويّة أيضا هو تحكيم السياق في إظهار الدلالات وإضفاء المعاني[1]، وهذا ما عمل عليه الكاتب في شرحه للآية [مالك يوم الدين] موضحا معناها أنّها توكل وأنّه لا يكون إلّا لله الرب وها هنا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي في النص.

9- محمد رشيد بن علي رضا الحسيني(ت 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار).

بحث عن مظاهر الأسلوبية البنيويّة فيه إذ يقول في تفسيره لسورة الحمد المباركة فاتحة الكتاب الآية: "الْحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[2]،... هذه الجملة خبرية ولكنها استعملت لإنشاء الحمد"[3]، يظهر من النص المذكور في تفسير هذه الآية الكريمة الخلفية البلاغية للكاتب لأنه يحدد الكلام بمظهرين من مظاهر البلاغة العربية وهما الخبر والإنشاء للوقوف على المعنى المراد من النص الكريم ولو تأملنا تأملا بسيطا بتدبر لوجدنا أنّ الآية الكريمة ما جاءت للإنشاء والطلب والحمد والثناء فقط وإنّما هي إظهار لمعانٍ شريفة عالية غير التي تعطيها فنون البلاغة فكلام الله بالمقصد لا بالتركيب وعلى هذا يمكن القول أنّ الكاتب في هذا الموضع غلبه أو غلبتْ عليه مرجعياته اللغوية العربية في إظهار مكامن النص لأن النص لا يمكن أن يُتَوقَّف عنده بفنون البلاغة فقط ولا بفهم السياق فقط لذا لو ذهبنا إلى ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة لوجدنا أنّ من المقاييس التي اشترطها في إظهار الدلالة[4]، هو

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) سورة الحمد: 2.

(3) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمّد رشيد بن علي رضا الحسيني(ت 1354هـ)، مطبعة المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ - 1947م،1 :49.

(4) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تأريخية تأصيلية نقدية: 20.

المقياس الدلالي المفضي إلى معنى النص متخذا من السياق[1]، وسيلة لإظهار تلك الدلالة وهنا يكمن المظهر الأسلوب البنيوي في النص المذكور سابقا.

ومن المظاهر الأسلوبية البنيويّة في ذات الكتاب ما قاله في تفسير سورة الكوثر وجعل السياق دليل إلى الوقوف على المعنى المراد من النص إذ يقول: ""الكوثر"...، وأمّا موقعه في السورة وموقع كلمة : "أبتر" في آخرها اللذان اقتضتها البلاغة تأبى أن تحل غيرهما محلهما"[2]، أن تجعل السياق هو الحاكم في إظهار المعاني من طريق مقابلة الألفاظ بين آية وأخرى هذا يعني أنّك تضرب الآيات بعضها ببعض، وأن تنطلق من مفاهيم البلاغة إلى تفسير القرآن هذا يقول أنّك تدور في فلك النص ذاته وهذا ما عمل عليه المفسر في القول المار من مقابلته لفظ الكوثر بالأبتر وجعل الامتناع بنيابة أي لفظين عنهما في الآيتين الكريمتين، وإذا ما ذهبت إلى ريفاتير باحثا عمّا يطابق هذا الكلام عنده تجد أنّ ريفاتير اشترط أن يكون في النص عناصر لسانية متحكمة بالدلالة لا يمكن أن ينوب عنصر لساني آخر عنها، إذ بها تتبيّن القصدية المرادة من النص فلا يمكن أن يحل محلها عنصر آخر، وهذه العناصر اللسانية هي المتحكمة بدلالة النص ذاته جاعلا ذلك ضمن إطار المحور الداخلي[3]، لما يتعلق بالنص نفسه؛ لأن فنون البلاغة تكون بضمن النص ولا تخرج عنه صحيح أنَّها تعطي المعاني والدلالات للكلام إلّا أنَّها في الأسلوبية البنيويّة تعد ضمن المحور الداخلي وهنا يكمن المظهر الأسلوب البنيوي في النص سالف الذكر.

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، 1: 226.

(3) دراسات في نقد الشعر: 62.

10- طنطاوي جوهري المصري (ت 1358هـ)، تفسير الجواهر في تفسير القرآن.

إنّ مظاهر الأسلوبية البنيويّة مع كلّ تقدم في الزمن تبان وتظهر وتتطور أكثر فأكثر حتى وصلت إلى أن صارت منهجا للتأليف في بعض الكتب التي تعاملت مع النص القرآني، لذا فإن تأملت ما جاء فيه تجد أنّه جعل من الأسلوبية البنيوية منهجا للتأليف إذ وسم مباحث التفسير بما هو من صلب الأسلوبية البنيويّة بأن جعل أوّل ما يُتَكَلَّم عنه الكلمات المكونة للسورة محل التفسير وهذا ما حصل في سورة الحجرات، إذ أنّ الكاتب بعد أن أورد نص السورة بدأ أول ما بدأ بقوله: "تفسير الكلمات"[1]، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ أنّ المعنى الذي سيتوقف عنده الكاتب إمّا أن يكون معجمي وهذا أحد مقاييس الدلالة عند ريفاتير[2]، وإمّا أن يقف عند تأثير السياق في الالفاظ[3]، وهذا ما جاء به ريفاتير أيضا، والكاتب في كلّ ذلك لم يخرج عن حدود التأليف المعتادة عند القدماء، وهذا يظهر أنّ الأسلوبية البنيويّة تحولت من ملامح متفرقة بين طيات الكتب إلى مظاهر تأليف، وفي ما بعد رست منهجا، ثم ليأتي في موضع آخر وتحديدا في عمله على تفسير سورة النحل متوقفا عند تفسير الفاظها بقوله: "التفسير اللفظي"[4]، وهذا يعطي دلالة على أنّ المؤلف سيقف عند كلّ لفظ من الفاظ السورة، إلّا أنّ الكاتب اعتمد في تفسيره لها أن يقف عند تراكيب السورة موضحا الدلالة الكلية للتركيب المكون للنص برمته معتمدا تأثير السياق في المعنى وهذا ما تبحث عنه الأسلوبية البنيويّة أي البحث عن العناصر اللسانية

(1) الجواهر في تفسير القرآن، طنطاوي جوهري المصري (ت:1358هـ)، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1346هـ، 8: 4.

(2) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(3) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(4) الجوهر في تفسير القرآن، 8: 67.

ونوعية العلاقات التي تتآلف بها هذه العناصر مكونة للدلالة بتأثير السياق فيها[1]، وهنا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي.

11- عبد الحميد محمد بن المصطفى ابن باديس الصنهاجي (ت 1359هـ)، تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).

كثير من المفسرين ساروا على ما سار عليه الأقدمون في تعاملهم مع النص القرآني وتفسيره متخذين من المناهج المعتمدة آنذاك سبيلا للوقوف على المعاني التي يعينهم تدبرهم بالوقوف عليها من مثل تفسير القرآن بالقرآن والتفسير السياقي والتفسير النحوي وغيرها فمن مظاهرها في هذا الكتاب قوله: "فليس ذكر المفعول للتقييد، وإنّما هو للتنبيه على أنّه هو الذي بالتذكير نظير قوله تعالى: "**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**"[2]"[3]، إنّ جعل القاعدة النحوية أو الصيغة الصرفية أساسا في إظهار المعنى من أهم الوسائل التي اعتمدها الأقدمون في إظهار دلالات الآيات عند تفسيرهم وهذا ما سار عليه الكاتب في هذا الموضع، وهذا ذات ما جاء به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة وقت تحدث عن مقاييس تحديد الدلالة[4]، وهذا ما يثبت أنّ هذا مظهر من مظاهر الأسلوبية البنيويّة، وفي موضع آخر من ذات الكتاب يقول: "قوله تعالى: "**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**"[5]، في هذه الآية وصف محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه نور، وصف القرآن بأنّه مبين، وفي آيات أخرى وصف القرآن بأنّه نور كقوله تعالى:

---

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) سورة البقرة: 2.

(3) تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد محمّد بن المصطفى ابن باديس الصنهاجي (ت 1359هـ)،جمع وترتيب: توفيق محمّد شاهين، ومحمّد الصالح رمضان، علق عليه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،1402هـ، 1: 52.

(4) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(5) سورة المائدة: 15.

"**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا**"[1]، ووصف الرسول بأنّه مبين"[2]، ترى من النص السابق أنّ الكاتب اعتمد السياق في إظهار المعاني التي قد وصلها من طريق مقابلة النصوص في ما بينها أي جعل النص شاهد على النص في استنباط المعنى أو الدلالة من ذلك النص وهذا ما أشار إليه ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة إذ جعل السياق المتحكم بالدلالة المرادة من النص[3].

(1) سورة التغابن: 8.

(2) تفسير ابن باديس، 1: 110.

(3) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

المبحث الثاني

الجهود المجددة

إنّ السير على وتيرة واحدة مدعاة للذبول والاضمحلال والرتابة فلابد من أن يكون في كل شيء تغاير وتطور وارتقاء على جميع صُعُدِ الحياة وليس تفسير القرآن الكريم بمعزل عن هذا كله، إذ أنّ الجهود التقليدية التي سار عليها العلماء هي أساس لجهود سابقة عليها أثمرت أن جاء تلامذتهم فساروا على ما ساروا عليه ولو بقيت هذه المناهج وهذه الأساليب وهذه الطرق على حالها لما كان هنالك تجدد في التعامل مع النص القرآني لذا جاء من هم لهم فضل التغيير والتجديد في مناهج تفسير القرآني وجاءوا إلى طرق وآليات وأساليب جديده تعاملوا بها مع النص القرآني لذا عرفوا بالمجددة للجهود التفسيرية ولو توقفنا عند أهم أعمال هؤلاء منهم:

1- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي (ت 790هـ)، الاعتصام.

مما ورد فيه من مظاهر الأسلوبية البنيويّة قوله: "وأصل مادة "بدع" للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: "**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**"[1]، أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم[2]، إنّ الرجوع إلى المعجم في إظهار المعاني والدلالات يعطي للمتأمل والدارس والمتدبر زاوية من زوايا المعاني ولعلها تكون بعيدة عن قصد المتكلم الذي يروم الوقوف عليه، إنّ اختيار الألفاظ لمعاني القرآن لها من القصدية ما لا يقف عليها عقل مخلوق إلّا من أذن له الله واجتباه من عباده لأن أصل الوضع في لغة القرآن جاء بتوقيف من الله، إنّ اللفظ المراد للمعنى المراد ولا يمكن التغيير في ذلك لأي كلمة أو لفظ آخر لذا ما كل ما ورد في القرآن الكريم يمكن تفسيره من طريق المعجم إلّا أنّ الكاتب العربي لقصر إمكاناته قبالة النص القرآني يهتدي بالمعجم ولا نكران لأن يكون ذلك سبيل ناجع في بيان بعض ما للنص من معنى

(1) سورة البقرة: 117.

(2) الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمّد الشاطبي (ت 790هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1: 36.

ظاهر، وبالعودة إلى ريفاتير يجد أنّه جعل من مقاييس إظهار الدلالة في النص هو المقياس اللغوي أو المعجمي[1]، وهو المتكأ اللساني الذي يساهم في إظهار دلالة النص بما يحمله من معنى بعلاقته بالعناصر اللسانية الأخرى المكونة للسياق.

وفي موضع آخر يقول: "وهذا القتل محتما أن يكون دين وشرعة ابتدعوها، ويحتما أن يكون عادة تعودوها، بحيث لم يتخذوها شرعة، إلّا أنّ الله تعالى ذمهم عليها فلا يحكم عليها بالبدعة بل بمجرد المعصية، فنظرنا هل نجد لأحد المحتملين عاضداً يكون هو الأولى في حمل الآيات عليه"[2]، لا بد لكل متعامل مع نص أن تكون له السلطة الكاملة على ذلك النص من حيث الأدوات المؤهلة له للوقوف على مقاصد ذلك النص، إذ لو كان النص أعلى من إمكانية المتعامل معه لما وقف الدارس له على حقيقة المراد منه وآل به المآل إلى وضع احتماليات لذلك المعنى نتاجها تحكيم السياق اللغوي للنص، إذ أن للسياق سلطته في إضفاء المعاني والدلالات على الألفاظ والتراكيب وكلّ ما كان المتعامل مع النصوص ذا إمكانات عالية في اللغة والنقد ومجالات الأدب كان له الباع الأكثر في الولوج إلى معاني جديدة قد لا يكون قد وصل إليها غيره من أقرانه، وأمّا إذا كان المشتغل على النص ذا إمكانات أعلى من ذلك النص جاز له أن يقف على حقيقة القصد من ذلك النص دون أن يطرح احتمالات ويرجح أحدها على الآخر من وجهة نظر لسانية، لأن القدرة على الأشياء تيسر على الإنسان سهولة التعامل وبساطة الاكتشاف، وما النص المار ذكره إلا شاهداً حقيقياً على أن التعامل مع النص القرآني غير يسير على أي شخص كان إلا أن يكون من المخلصين الذين أعطاهم الله زمام مقاصد آياته، وإذا ما عدت إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ ريفاتير جعل الباحث الأسلوبي دائر في فلك

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60

(2) الاعتصام: 41.

النص[1]، إذ أنّ النص هو المرجع الوحيد للمشتغل على وفق مظاهر الأسلوبية البنيويّة، وهذا منعكس على ما توقفنا عليه من قول الشاطبي، إذ أن الشاطبي ما خرج خارج حدود النص حتى يتبيّن له المقصد الحقيقي من الآية على وفق القصد الإلهي المراد منها والوارد عمّن اصطفاهم الله وأودع فيهم مقاصد آياته وتفسير كتابه.

2- **محمد رشيد رضا(ت 1345هـ)، تفسير المنار.**

إن من المظاهر الأسلوبية البنيويّة في هذا الكتاب قوله: "وأكد الإيقان بالآخرة بقوله: (هم) اهتماما بشأنه وليبين أنّ الإيقان بالآخرة خاصة من خواص الذين آمنوا بالقرآن وبما أنزل قبله من الكتب لا يشركهم فيه سواهم"[2]، إنّ استعمال التركيب للوصول إلى دلالة النص أحد أهم وسائل الأسلوبية البنيوية للوقوف على المقاصد إذ أنّ الكاتب جعل من الضمير(هم) بقعة نور يهتدي بها إلى المقصد المراد من الآية بحسب فهمه لها لا بحسب حقيقة القصد الإلهي، وهذا ما نص عليه المحور الداخلي في الأسلوبية البنيويّة، من أن جعل للدلالة مقاييس[3]، من طريقها يقف الباحث الأسلوبي البنيوي على المعاني والدلالات المطلوبة من النصوص إذ أن الكاتب استعمل المقياس النحوي في إظهار دلالة النص المار ذكره حتى يثبت صحة ما ذهب إليه من رأي.

ويقول في موضع آخر: "وصل النهي بقوله عز وجل: "وأنتم تعلمون"[4]، أي والحال أنّكم تعلمون أنّه لا نِدَّ له؛ لأنّكم إذ سئلتم: من خلقكم وخلق من قبلكم؟ تقولون

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) تفسير المنار، محمّد رشيد رضا(ت 1345هـ)، دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ - 1947 م، 1: 135.

(3) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 60.

الله."[1] إنّ الوقوف عن مفصليات النص من الألفاظ التي لها من المعاني ما يبيح للكاتب أن يتأوله بنفسه ما هو إلّا اعتماد على السياق وأثره في إضفاء الدلالات على الألفاظ المكونة لتراكيب الجمل وبالمحصلة محاولة تفسير النص إلى المعنى الذي تبادر إلى ذهن الكاتب على وفق ما اكتنزه من معارف وعلوم لها الأثر البالغ في إظهار الدلالة المتحصلة من النص على وفق فهم الكاتب له، وان اعتماد العناصر اللسانية المكونة للسياق والمفضية الى المعاني ما هي إلّا جزء من أو مظهر من مظاهر الأسلوبية البنيويّة التي جاء بها ريفاتير وقت توقف بالحديث عن المحور الداخلي[2]، واختيار العناصر اللسانية وما هي أنواع العلاقات التي تربط في ما بين هذه العناصر أو العلائق التي تكون التركيب ومن ثم النص.

3- سيد قطب (ت 1386هـ -1966م)، التصوير الفني في القرآن.

إنّ من المظاهر الأسلوبية البنيويّة التي ظهرت عنده قوله: "إنّنا نقرأ الآيات المكية في هذه السور فلا نجد فيها تشريعا محكما، ولا علوما كونية – إلّا إشارة خفيفة في السورة الأولى لخلق الإنسان من علق– ولا نجد إخبارا بالغيب يقع بعد سنين كالذي ورد في سورة "الروم" وهي السورة الرابعة والثمانون"[3]، إنّ اختيار لفظ من النص والاتكاء عليه للوقوف على حكم معين متعلق بالنص كله هذا يستدعي من الناقد الأسلوبي البنيوي أن يحكم السياق أوّلا وما له من أثر في إظهار المعنى فضلا عن الإتيان بمتعلقات ذلك النص التي في الخارج، ومن وجهة نظر أخرى يرتكز الكاتب أيضا على مدى تكرار هذه الظاهرة في القرآن في أكثر من مكان حتى أنّه قدم إحصائية عن ذلك وفي أي سورة تكرر، مما يعطي إشارة صريحة على أنّ الكاتب

(1) تفسير المنار، 1": 181.

(2) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(3) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب (ت 1966م)، دار الشرق، ط17، 1425هـ - 2004 م: 19.

رجع إلى النص وحده دون غيره متخذا من النص منطلقا تارة، ومن النص وما يحيط به تارة أخرى، وهذا بالذهاب إلى الأسلوبية البنيويّة ينبئ بأنّه اتكأ على مظهرين من مظاهر الأسلوبية البنيويّة وهما المحور الداخلي[1]، فيما يتعلق بالنص ذاته والذي مرّ بيانه في الفصول والمباحث المارة الذكر، والمحور الخارجي[2]، في ما يتعلق بالنص ولوازمه المتعلقة به في خارج البناء النصي والذي توقفنا عنده في فصول سالفة.

ومن الظاهر في ذات الكتاب أيضا قوله: "كثيرا ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور"[3]، لا بد لكل نص أن تتوافر فيه العديد من العناصر حتى يصل إلى المقصدية التي يود المتكلم أن يوصلها إلى المتلقي بالاعتماد على سياق معين معبرا عن المعنى المكنون في صدر الكاتب وهذا بما يتعلق بالنص إذا كان من لدن الإنسان أمّا بالرجوع إلى النص القرآني الكريم فإنه ليس من الصواب بمكان، إنّ القصد الإلهي منحصر بالألفاظ والموسيقى والسياق والنغم أي لا يمكن أن يراعى اللفظ أكثر من المعنى أي لا يرجح الجانب الشكلي على الجانب المعنوي والقصد المراد من النص، إذ أنّ كلام الله لا ينطبق عليه ما ينطبق على غيره، ولو تأملت النص المار تجد أن الكاتب لم يخرج من كنف النص إلى غيره إلّا في تأثير النغم والحوار تعدى إلى السامع لذا هو لم يكن خارج حدود الأسلوبية البنيويّة من طريق مظاهرها التي بانت لديه من سياق[4]، ومحور خارجي ومحور داخلي المار بيانهن في مباحث سالفة.

---

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 60.

(2) المصدر نفسه: 62.

(3) التصوير الفني في القرآن: 37.

(4) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

4- الطاهر بن عاشور(ت 1393هـ)، التحرير والتنوير.

إن من مظاهر الأسلوبية البنيويّة التي بانت في هذا الكتاب قوله: "وأقصر آية في عدد الكلمات قوله تعالى: "مدهامّتان"[1]، في سورة الرحمان وفي عدد الحروف المقطعة قوله: "طه"[2]"[3]، إنّ اعتماد إحصائية الجمل في الآيات وعدد الحروف في الآية الأقصر وما هي أقصر آيات القرآن الكريم المؤدية لمعنى هذه وقفة لابد من الإشارة إلى أنّها وقفة ذات رؤيا سياقية متتبعة لأقصر وحدة بنائية مؤثرة في المعنى متعلقة بقصد المتكلم؛ لأنّها في حقيقة المعنى القرآني المتعلق بقصدية الخالق قد تكون ذات أهمية ثانوية غير متطلع إليها وإذا ما نظرت إلى هذا المنهج من منظار أسلوبي بنيوي على وفق ما جاء به ريفاتير من منهج تجد أنّ الكاتب تعامل مع الآيات الكريمات على وفق نظر أسلوبية بنيويّة بحته إذ استعمل منهجية الإحصاء فضلا عن استعماله المحور الداخلي[4]، وعلاقة البنية أو العنصر اللساني المكون للسياق بما يسبقه ويليه وما مدى تأثير السياق فيه، وإنّ اختيار البنى أو العناصر الأسلوبية لها ما لها من أثر في المعنى والقصد الذي يود المتكلم التعبير عنه.

وورد في موضع آخر من هذا الكتاب قوله: "كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض"[5]، إنّ البحث خلف تناسب بين أطراف نص ولاحقه حتى يتم الربط بينهما بالغرض أو المناسبة نابع من وجهة نظر سياقية ملتزمة بالنسق المتعلق بذلك النص والسياق المكون لنصيته، وإنّ إعزاء الترتيب

---

(1) سورة الرحمن: 64.

(2) سورة طه: 1.

(3) تفسير التحرير والتنوير، محمّد الطاهر بن عاشور(ت 1973م)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، 1: 77.

(4) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(5) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

للنصوص القرآنية على وفق هذا المنظار ما هو إلّا نتاج النظر السياقية للنص، إذ أنّك لو ذهبت إلى ريفاتير تجد أنّ الباحث الأسلوبي البنيوي لا مناص له إلّا النص ذاته إذ لا يمكن للباحث الأسلوبي البنيوي أن يعمل خارج النص فهو المادة الأساس له متخذا من السياق[1]، المتكأ الأساس في التعامل مع المعنى والقصد المراد منه.

وفي موضع آخر يقول: "وأعلم أنّ معنى الطولى والقصرى في السور مراعى فيه عدد الآيات لا عدد الكلمات والحروف"[2]، إنّ الارتكاز على إحصائية أجزاء النص الرئيسة واعتمادها كعامل أساس في التمييز بين نص وآخر وجعلها عصب في إظهار مزايا النص وهذا يعطي مؤشر أنّ المتعامل مع النص القرآني غير خارج عن حلقة الدوران في فلكه وهذا بالمؤدى الأخير يذهب بالاتجاه المنهجي إلى الأسلوبية البنيويّة إذ أنّها كما أوضح ريفاتير تتعامل مع النص في المحور الداخلي[3]، أي النص وحده دون متعلقاته الخارجية.

5- السيد محمد باقر الصدر(ت1400هـ) المدرسة القرآنية.

يقول: "من مجموع هذه الآيات الكريمة يتبلور المفهوم القرآني"[4]، مما هو جلي في النص المار ذكره أنّ المنهجية المتبعة في إظهار المعاني في النصوص القرآنية هو أن يجعل النص القرآني شاهد على نص آخر من طريق تحكيم السياق ومدى التقارب والتشابه والاتصال الدلالي بين هذين النصين حتى يقف على المعنى العام للنص أي أنّ السياق هو الحاكم على استنباط المعنى وإظهار الدلالات وهذا منهج قد اتبعه ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة إذ جعل للسياق السلطة في إظهار المعاني

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) التحرير والتنوير، 89 – 90.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(4) المدرسة القرآنية، السد محمّد باقر الصدر(ت1400هـ)، دار الكتاب الإسلامي، ط 2، 1434 هـ: 53.

والدلالات وإضفاء معنى جديد على الألفاظ[1]، من طريق اختيار العناصر اللغوية ومدى تقاربها ونوعية العلاقة بين العناصر اللسانية المكونة للسياق وهنا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي، وفي موضع آخر يقول: "تؤكد هذه النصوص طابع الاستمرارية والاطراد أي طابع الموضوعية والعلمية للسنن التاريخية"[2]، إنّ في بداية هذا القول يؤكد الكاتب على أنّ تكرار الفكرة في أكثر من موضع يعطي دلالات موحدة أو يعطي دلالة واحدة لنصوص متفرقة من طريق فهم السياق على وفق المخزون المعرفي والعلمي والفقهي والشرعي لدى الكاتب حتى يتوصل إلى أنّ هذه النصوص من طريق السياق أعطت المعنى الواحد، فيجعل من الآية شاهدا على الآية بتحكيم السياق والاعتماد على العناصر اللسانية المكونة للتراكيب وبالتالي التراكيب المكونة للنص فضلا عن العلاقات بين تلك العناصر فهذا كله يكمن في النص المار ذكره وبالذهاب إلى ريفاتير وتأملاته ومواضيعه في الأسلوبية البنيويّة يطالعنا تحكيم السياق في إظهار الدلالات وتعددها[3]، إذ أنّ من طريق السياق يمكن أن يفهم كلّ قارئ للنص معنى مغاير عن الذي فهمه الآخر تبعا لمكتنزاته المعرفية ورصيده العلمي وهنا يكون المظهر الأسلوبي البنيوي.

6- السيد أبو القاسم الخوئي (ت1413هـ - 1992م) (البيان في تفسير القرآن).

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) المدرسة القرآنية: 56.

(3) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 62.

يقول: "الاستعانة: طلب المعونة، تتعدى بنفسها وبالباء، يقول استعنته واستعنت به أي طلبت منه أن يكون عونا وظهيرا لي في أمري"[1]، إنّ الوقوف على المعنى المعجمي للألفاظ من الوسائل المتبعة في التفسير القديم والتقليدي إلّا أن إضافة محاولة الوقوف على الدلالة من طريق المعنى المعجمي وما تتعدى به اللغة هذا من قبيل التجديد في استنباط المعنى والوقوف على الدلالة التي يبحث عنها الكاتب على وفق ما يمكنه الوصول إليه من طريق معرفته واكتنازه للعلوم وعلوم أهل البيت على وجه الخصوص، وإذا ما ذهبت إلى ريفاتير تجد أن من الأشياء التي أكد عليها ريفاتير في إظهار دلالة النص هو الاعتماد على مقاييس لتلك الدلالة[2]، وها هنا الكاتب وقف على أهم مقياسين منهما وهما المقياس المعجمي والمقياس النحوي من طريق إعطاء معنى الاستعانة ومن ثم بيانه لها بأي الحروف تتعدى وهذا من مظاهر الأسلوبية البنيويّة، وذكر في موضع آخر قوله: ""إياك" في كلا الموردين مفعول قدّم على الفعل لإفادة الحصر، وفي الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب"[3]، كما مرّ الذكر في النص السابق، إنّ الكاتب اعتمد النحو في إظهار المعنى وأثره في تمييز الدلالة التي يتقصّاها إلّا أنّه في هذا الموضع زاد على المعنى النحوي إظهار معنى آخر وهو معنى الالتفات وهنا يكمن جانب التجديد عمّا سبقه من المشتغلين على النص القرآني وإظهار معانيه ودلالاته في أنّ يرتكز على خصيصتين إثنين في الوقوف على المعنى المراد من النص، وهذا ذات ما نادى به ريفاتير وقت تكلم عن المقاييس التي تظهر الدلالة للنص[4]، إذ ذكر أنّ المقياس البلاغي والمقياس النحوي

(1) البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت1413هـ)، مؤسسة الخوئي الإسلامية، ط 4، 2009: 462.

(2) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(3) البيان في تفسير القرآن: 463.

(4) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

من أهم هذه المقاييس وها هو الكاتب يتكئ على هذين المقياسين في استنباط المعنى وهنا يكمن الظهر الأسلوبي البنيوي.

7- محمود البستاني (ت1432هـ) (التفسير البنائي للقران الكريم).

قوله: "يلاحظ أنّ النص في أثناء طرحه لهذه الظواهر العبادية والاجتماعية والسياسية، قد ضمّنها مفهومات تشكل الخيط العضوي الذي ربط بين أجزاء السورة الكريمة"[1]، كان وما زال السياق متحكما في إنتاج المعنى عند المشتغلين على النص لاسيما النص القرآني وهذا ما هو جلي في القول المار ذكره للكاتب إذ تجد أن السياق ذا سلطة وهيمنة كبيرة في إنتاج المعنى المراد الوصول إليه إلّا أنّ هناك حقيقة لافتة للانتباه، وهي أنّ السياق ينتج المعنى على وفق ما يكتنزه الكاتب أو المتلقي من علم ومعرفة بالموضوع أي أنّ المعاني ستتغير من متلقي إلى آخر على وفق سعة وتغير الثقافات للمتلقين فما يقف عنده فلان من معنى قد لا يقف عنده فلان الآخر أو قد يقف عند معنى مغاير وهذا نتاج اختلاف الثقافة من متلقٍ إلى آخر، ولو عدت القهقرة إلى ريفاتير لتجدنَّ السياق له الحاكمية في توجيه قصدية النص وإظهار الدلالة[2]، إذ أنّ النص يكتنز في طياته العناصر اللسانية المكونة للتركيب باحثا بنوع العلاقات فيما بينها وهنا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي، وقال في موضع آخر: "ربط النص بين هذا الختام وبين الموضوعات السابقة عليه من جانب، وبينه وبين أحد محاور سورة البقرة التي تؤكد مفهوم "الاتقاء" من جانب آخر"[3]، كما سلف القول في النص السابق على هذا النص أنّ الكاتب لطالما اعتمد وحدة النص في استنباط الدلالة أو استنباط المعنى لذا نتج عنده في غير موضع أنّ

(1) التفسير البنائي للقران الكريم، الدكتور محمود البستان (ت 1432هـ)، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، ط1، 1: 60.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(3) التفسير البنائي للقرآن الكريم، 1: 67.

الآية التي تأتي في السورة المعينة قد تأتي في سورة معينة أخرى تعطي ذات الدلالة في كلا الموضعين، هذا على وفق ما جاء به من نظرية البنائية في النص القرآني أو المنهج الذي اتبعه في تفسير القرآن وإذا ما ذهبت إلى ريفاتير تجده قد اشترط وحده السياق واشترط السياق ذاته وحاكميته على الدلالة في الاستنباط المعنى[1]، والدلالات الجديدة المتأتية من ذلك السياق وهنا يكمن المظهر الأسلوب البنيوي.

8- طه جابر العلواني (ت 1437هـ - 2016م) إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم.

قوله: "إسلامية المعرفة تمثل الجانب الفكري والمعرفي من الإسلام الذي بدأ بأبي الأنبياء إبراهيم "عليه السلام" وتكامل على يد خاتم الأنبياء محمد "صلى الله عليه وآله" الذي بدأ الوحي له بـ "إقرا" ثم انتهى بـ"اليوم أكملت لكم دينكم" إنّ الجانب المعرفي من الإسلام بمعناه الشمولي الذي بدأت إصداراته الأخيرة بنزول قوله تعالى "**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**"[2]"[3]، إنَّ الاستدلال بالآيات الكريمات على أحداث تتابعت وتلاحقت وجعل الآية شاهدة على آية أخرى واعتماد المضمون في كلا الآيتين عند استنباط فكرة معينة أو الوقوف على منهجية بحد ذاتها ذلك يعطي إشارة على أنَّ الكاتب في هذا النص اعتمد منهجية تحكيم السياق في إظهار الدلالات المعبرة عن إسلامية المعرفة إذ أنّه توقف عند أوّل كلمه نزلت على نبينا "صلى الله عليه وآله" وهي كلمة "إقرأ" ثم استدل بآية أخرى وهي "**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**"[4]، واصفا أو مفهما للسامع أو القارئ أنَّ المعرفة متأتية من القراءة التي أوحيت إلى

(1) ينظر: اتجاهات البحث البنائي: 16.

(2) سورة العلق: 1.

(3) إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، طه جابر العلواني، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1417 هـ - 1996 م: 13.

(4) سورة المائدة: 3.

الرسول "صلى الله عليه وآله" معتمدا في ذلك على نفس القرآن الكريم في إظهار هذه الفكرة ومتكئا في ذلك على جعل الآية شاهدة على الآية الأخرى وبالذهاب إلى ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة يظهر جليا أنَّ للسياق عنده له الأولوية في إظهار الدلالات واستنباط المعاني، وإنَّ النص لا يكون نصا ما لم يراعِ السياق[1]، وهنا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي، وقال في موضع آخر: "لابد من الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الوجود والدمج بينهما لئلا يقع الإنسان في أي من الطرفين الذميمين، ومن هنا كانت "إسلامية المعرفة" ضرورة معرفية وضرورة حضارية"[2]، إنّ إلزامية الحث على قراءة الوحي وقراءة الوجود والاتكاء عليهما في إثبات إسلامية المعرفة من طريق الاستدلال والربط بين القراءتين لإيضاح معنى مكنون في داخل الكاتب لإثبات حقيقة أنّ الإسلام جاء معرفيا من طريق أكثر من آية دالة على هذا المضمون قد استشهد بها في غير موضع من مواضع هذا الكتاب من مثل "إقرأ" وغير ذلك، وإذا تأملت غاية التأمل في هذا النص تجد أنّ الكاتب يحرص تمام الحرص على أن يكون للسياق الدور الفاعل في إظهار الدلالات والمضامين التي يروم الوقوف والوصول إليها حتى يتمكن من مداعبة نفس السامع والوصول إليه بأيسر الطرق، ولعل هذا ما أكد عليه ريفاتير وقت تحدث عن السياق وأثره في إظهار المعاني والدلالات المتحصلة من سلطة هذا المفصل أي السياق على النص وتحكمه بالعناصر اللسانية والعلاقات بينها المؤدية في آخر المطاف إلى إظهار قصدية المتكلم[3]، والدلالة التي يود الوقوف عندها.

(1) ينظر: اتجاهات البحث البنائي: 16.

(2) إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم: 13.

(3) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

9- عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في علم الكلام.

يقول: "ينفرد الإنسان في تكريمه وتشريفه وتفضيله على ما سواه من الخلق كما جاء في الآية "**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**"[1]، التكريم هنا تكريم عام يتسع لكل بني آدم، وهو مقام وجودي، أي أنّه مكون ذاتي للكينونة الوجودية للإنسان مطلقا، بغض النظر عن جنسه ولونه ومعتقده، ومما هو خارج كينونته الوجودية"[2]، إن اعتماد نص الآية في الوقوف على مدلولاتها يتيح للقارئ أن يتكلم في مساحة واسعة تبيح له إضفاء المعاني والدلالات على النص وبالرجوع إلى كلام الكاتب المار ذكره يتبيّن أنّ الكاتب قد فهم من الآية الكريمة أنّ تكريم الإنسان عام يتسع لكل بني آدم وهو مقام وجودي وإذا ما عدت للنظر إلى الآية الكريمة تجده قد تعامل معها على وفق منظور سياقي دلالي لاستنباط ذلك الحكم، إلّا أنّ ما جعل كلامه مغايرا عن الطريقة التقليدية هو أنه قد جاء في هذا النص بمدلولات لم يألفها مفسرو القرآن من قبل التعامل مع كينونة الإنسان ووجوديته متخطيا للجنس واللون والمعتقد مشيرا إلى أصل الخلق وإباحة الأشياء قبل تهديدها بلوازمه ومستحدثات جديدة وإذا ما ذهبت إلى ريفاتير متطلعا فيما جاء به في منهج الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ الباحث قد توقف عند أهم مفاصل الأسلوبية البنيويّة وهو تحكيم السياق[3]،وتسليطه على استنباط المعاني التي من شأنها أن تنتج دلالات جديدة بأثر السياق في العناصر اللغوية أو اللسانية المكونة للتراكيب والجمل المكونة بعد ذلك للنص برمته وهنا يكمن المظهر الأسلوبي البنيوي في النص، وجاء في ذات الكتاب في موضع آخر قوله: "بموازاة التجديد في اللغة لابد من التجديد في المباني، فإن المتكلم اهتم بترسيم مبانٍ خاصة في المعرفة، تستند إلى المنطق الأرسطي، وشيء من ميراث الفلسفة اليونانية"[4]،

(1) سورة الإسراء: 70.

(2) مقدمة في علم الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، دار المصورات، ط2، 2021: 54.

(3) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(4) مقدمة في علم الكلام الجديد: 76.

من القراءة الأولى للنص يظهر أنّ الكاتب كان من المناصرين لمسالة التجديد بالتعامل مع النصوص حتى أنّه يشدد على تجديد المباني بموازاة اللغة التي تتجدد في كل حين وزمان، مشددا على المتكلم أن يكون ذا خاصية معرفية عالية حتى يظهر مقاصد النصوص، وإنّما مسألة التعامل مع المباني في إضفاء معاني جديدة للدلالات أو للنصوص ذلك منهج مجدد في التعامل النقدي فضلا عن أنّ المبنى هو أساس الانطلاق لإعطاء المعنى للنص لأن لكل دلالة لغوية أبعاد نفسية تؤثر في المتلقي سلبا أو إيجابا؛ لذا فإنّ الحرص على تجديد التعامل والاهتمام بالمباني يعطي إشارة إلى تجدد فهم النص وأثر المبنى في إضفاء المعنى على السياق وعلى النص برمته وإذا ما ذهبت إلى ريفاتير تجده يشدد على أمرين اثنين، أوّلهما: إنّ البحث اللغوي وأبعاده النفسية والاجتماعية[1]، لها الأثر البالغ في إظهار دلالات النصوص، وثانيها: إنّ النص هو المرجع الوحيد للمشتغل على الأسلوبية البنيويّة[2]، فضلا عن أنّ الأسلوبية البنيويّة لا تفصل بين الدال والمدلول[3]، لذا إظهار الدلالات في الأسلوبية البنيويّة والاهتمام بالمبنى.

10- فاضل صالح السامرائي.

أ- التعبير القرآني.

ومن مظاهر الأسلوبية البنيويّة الواردة في هذا الكتاب قوله: "وقال "لا نريد" مع الشكور ولم يقل "لا نطلب" لأن الإنسان قد يريد ولا يطلب، فنفي الإرادة أبلغُ من نفي الطلب؛ لأنّه ينفي الطلب وزيادة"[4]، إنّ اختيار اللفظ المعين للمعنى المعين من

(1) ينظر: الأسلوبية منهجا ونقدا، محمّد عزام، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، ط1، 1989: 99.

(2) ينظر: الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، فرحان بدري الحربي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003: 1.

(3) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، 1: 94.

(4) على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، النشر العلمي جامعة الشارقة، 1423هـ-2002 م،1: 171.

قبل الكاتب بما يتوافق والقصد في داخله لازمة من لوازم حكمته ودرايته بمآل الأمور، لذا اختيار اللفظ دون غيره متعلق بقصد مراد، ولا يمكن للفظٍ غير اللفظ المختار هذا تأدية المعنى نيابة عنه، لاشتماله على جوهر الدلالة الحقيقي في مكامن الكاتب، هذا فيما إذا لو كان الكاتب بشرياً قاصداً عارفاً بما يودُ التعبير عنه، فكيف إذا كان الكاتب أو المتكلم هو الله؟ فمن المسلمات أن يكون ذلك اللفظ معبرا عن إرادته، ولا يمكن لأي لفظ غيره أن يعبر عن تلك الإرادة البتة؛ لأن الله يعلم السر وأخفى، فضلا عن انّه تعالى لا يقصر عنده اللفظ عن المعنى ولا المعنى عن اللفظ، لعلمه بعاقبة الأمور. فإنّ القول المار المعلل سبب اختيار صيغة دون أخرى من وجهة نظر لغوية ليس بالضرورة معبر عن حقيقية قصد الله، فالله وحده تعالى عالمٌ بقصده ومن علمهم هو، وخولهم صلاحية تفسير كلامهم، ولو عدت إلى منهج الأسلوبية البنيويّة في التعامل مع النصوص تجد أنّ اختيار العنصر اللساني في تركيب ما مكون لسياق ما، من أبرز ما أكده عليه ريفاتير إذ جعل للسياق السلطة في إضفاء المعاني على العنصر اللسانية مراعيا في ذلك العلائق بين العناصر المكونة للسياق، إذ قال في تعريفه للسياق: "هو استخدام عدد من العناصر الأكثر ألفة"[1]. فضلًا عن أنّه قال في المقاييس الدلالية" هنالك كلمة نحتت الدلالة"[2]، فمما سلف ذكره يظهر أنّ لا انفصال بين المقاييس الدلالية في المحور الداخلي للنص والسياق المكون لذلك النص، إذ يتكأُ أحدهما على الآخر في إنتاج الدلالة.

وفي موضع آخر من ذات الكتاب يقول: "في قوله تعالى {**إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**}[3]. جملة مستأنفةٌ تفيد التعليل وهي تعلل الأمرين المذكورين

(1) معايير تحليل الأسلوب: 62.

(2) المصدر نفسه: 60.

(3) سورة الإنسان: 10.

في الآية قبلها، وهما قوله" **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**"[1]، وقوله:" **لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**"[2]...، وكسر همزة (إن) ليكون الخوف من هذه اليوم عاماً لا مخصصا بالأمر المذكور ولو فتح لكان الخوفُ تعليلاً لما قبلها فقط، أي إنا لا نريدُ منكم لا جزاءً ولا شكورا لأننا نخاف من ربنا[3]. إن الاتكاء على حروف المعاني من مثل (إن) الواردة في النص وتحكيم كسر همزتها من فتحه في الوقوف على دلالة النص القرآني المؤدي إلى القصد الإلهي ذلك منهجُ تعاملٍ لغويٍ بحت منطلقٍ من اللغة إلى الدلالة، ولعل الصواب لا يجافي القول أنّ النص القرآني أوسع وأعمق من أن يتوقف عند مقاصده بمنهج لغوي بحت؛ لأن الله تعالى ما أراد من القرآن اللغة فقط، وإلا كان ذلك تضييق لمساحة الإعجاز في النص القرآني بجعله كتاباً بلاغياً لغوياً، فضلاً عن أنّ ذلك يكونُ مدعاة للتقليل من حياتية وديمومة آي القرآن الكريم، إذ لو تمكن كلّ عارفٍ باللغة من الوقوف على دلالات النص وبيان القصد المراد من تلك الآيات وسبيله إلى ذلك اللغة والبلاغة أو الصرف أو النحو، فما الحاجة إلى الراسخين في العلم الذين اصطفاهم الله وعلمهم مقاصد آياته، وإذا ما عدنا إلى الأسلوبية البنيويّة وتحديداً في محورها الداخلي[4] المشتغل على النص وحده دون تعالقه بالخارج، نجد أنّ للدلالة مقاييس أربعة، واحد منها هو المقياس الصرفي الذي يُعني بالبنية وأثرها في استنباط المعنى، فضلا عن أثر السياق في تلك اللفظة أو ذلك العنصر اللساني.

ب- لمساتٌ بيانية في نصوص من التنزيل.

---

(1) سورة الإنسان: 9.

(2) سورة الإنسان: 9.

(3) على طريق التفسير البنائي، 1: 172- 173.

(4) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 62.

من مظاهر الأسلوبية البنيويّة في هذا الكتاب قوله:" قوله تعالى **(الحمد لله)**[1]، معنى(الحمد) الثناء على الجميل من نعمه أو غيرها مع المحبِ والإجلال)[2]، إن إبراز معاني الألفاظ بالاتكاء على المعجم يعطي للفظ القرآن ظاهر المعنى لا بعيد القصد؛ لأن المعاني المعجمية غير متكأة على توقيفة اللغة، لذا لا يمكن الحكم على معنى اللفظة الواردة في النص القرآني بالاعتماد على المعجم فقط؛ لأنّه يفقدها كثير من دلالتها المرادة في النص القرآني، فضلا عن قصورها في بلوغ قصدية الخالق، وبالعودة إلى الأسلوبية البنيويّة نجد أنّ واحدة من مقاييس الدلالة فيها هو المقياس المعجمي[3]، والذي يعودُ فيه الباحث الأسلوبي إلى المعجم للوقوف على دلالة العنصر اللساني الوارد في تركيب معين وأثره في إنتاج المعنى.

وفي موضع آخر من الكتاب ذاته يقول: "إن جل التعبيرات في سورة الجاثية، جرت على طريقة الحصر"[4]، أي نصٍ غير القرآن يمكن التعامل معه على وفق السياق وإظهار دلالاته جراء تحكم وسلطة السياق عليه، وهذا ممتنع في النص القرآني، إذ لا بد أن يعي المتعامل مع النص القرآني أن القصد الإلهي والمعنى الحقيقي المراد من آياته لا يدلُ إليها السياق وحدهُ، وإن كان له بعض الأثر في إنتاج المعنى على وفق النظرية اللغوية، إذ لا يمكن جعل الآية شاهدةً على الآية ولا يمكن تفسير سورة بأكملها على وفق نظرة لغوية واحدة معتمدين في ذلك على أن ظاهر الكلام يعطي دلالة معنى واحد، وإذا ما عدنا إلى الأسلوبية البنيويّة نجد أن

(1) سورة الفاتحة: 1.

(2) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر، عمان، ط3، 1423هـ-2003م، ص11.

(3) معايير تحليل الأسلوب: 60.

(4) لمسات بيانية: 21.

للسياق أثره في استنباط المعاني[1]، وانتاج الدلالات؛ لأن له السلطة على ذلك النص المعين غير القرآني.

(1) اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

المبحث الثالث

الجهود الحداثوية

إن التسليم بما جاء به الأقدمون يعد إتمام لمسيرتهم لا تجديد لها، وأن إضافة شيء يسير من التعديل عليها يعد تجديداً لما جاءوا به، إمّا أن تقرأ النصَ قراءةً جديدة على وفق مناهج جديدة(حديثة)، أو أن تستعينَ بالمناهج الغربية في قراءة النص، أو أن تضعَ قواعد خاصة لقراءة النص، ذلك كله يعد تحديثا للمنهج في التعامل مع النص، وما النص الديني بمعزل عن هذا، إذ أن المشتغلين عليه على وفق النظرة الحداثوية إما حكموا فيه مناهج غربية، أو وضعوا له قواعد خاصة بهم، ومن أبرز هؤلاء:

1- محمد أبو القاسم حاج حمد(ت 2004م)، قضايا إسلامية معاصرة (منهجية القرآن المعرفية).

إن من المظاهر الأسلوبية البنيويّة الواردة في قوله: "إن التفسير- بمفهومه الاصطلاحي- في ما عدا ما فسره رسول الله (صل الله عليه وآله) إن هو إلا جهدٌ بشريٌ يستخدم المفسرون فيه جهودهم وأدواتهم ومعارفهم المختلفة ليتكون لهم فهمٌ هو في كل الأحوال يؤخذ منه ويترك، والحكم في قبوله أو رده إلى الله، فالقرآن يفسر بعضه بعضا"[1]. إن انتخاب مجموعة من ذوي الاختصاص في أي علمٍ كان يبيح لهم أن يطلقوا أحكاما في مجال تخصصهم لا سيما المتعاملون مع النص وما يمكن أن ينتج منه من معاني، إذ أن هؤلاء المشتغلون على النص لهم السلطة في إظهار دلالاته، إلا أن القول المار ذكره أوضح أن التفسير هو (جهد بشري لمجموعة من المفسرين مخولاً إياهم في إظهار معاني الآيات والوقوف على دلالاتها معتمدين في ذلك على أدواتهم ومعارفهم وجهودهم الذاتية في فهم واستيعاب آي القرآن الكريم، ومن جانب آخر أوضح الكاتب أن المنهجية التي يُمكن أن يُتعامل بها مع القرآن

(1) قضايا إسلامية معاصرة، منهجية القرآن المعرفية (أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية)، محمّد أبو القاسم حاج حمد (ت 2004 م)، مركز دراسات فلسفة الدين، وعلم الكلام الجديد بالتعاون مع دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د.ت، 17

الكريم هي أن تفسر الآية أختها، أي منهج تفسير القرآن بالقرآن، وهذا يُعطي دلالة أن السياق في آيات القرآن الكريم سياق واحد بدليل أن الآية تكون شاهدة على أختها، فلو كان سياقهما منفصلٌ عن بعضهما لما أمكن أن يُستشهد بهذه الآية على تلك الآية في إظهار معناها، إلا لإشارة أو قرينة في إحدى الآيتين توصِل إلى الأخرى، إذ أن مقاصد الله ليس من المنطق أن يتوقف عليها من طريق السياق فقط، فالسياق فاعلٌ في نصٍ نثري أو خطبة ولا يمكن التسليم كل التسليم بأن يكون فاعلاً في تفسير آيات القرآن الكريم، فأغلب آياته تكونُ حاويةً لأكثر من معنى كما ورد في قول أبي جعفر الباقر عليه السلام: "ليس شيءٌ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية ينزل أولها في شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء"[1]. وعلى هذا فإنه ليس للسياق في المنظور الإلهي أي اعتبار في الوقوف على مقاصد الآيات ودلالاتها، وبالعودة إلى الأسلوبية البنيويّة تجد أنّ الكاتب بانتخابه للمفسرين قد واكب نظرية ريفاتير في تحكيمه للقارئ العمدة[2] للنص في إظهار المعاني والدلالات المرادة منها، وفي احتكامه إلى أن القرآن يفسر بعضه بعضا قد رجح السياق[3] في التعامل مع الآيات وإظهار معانيها أيضا، إذ النص هو المرجع الوحيد للباحث الأسلوبي البنيوي.

وجاء في موضع آخر قوله: "ما كان ينبغي أن يكون فيها مرجع سواه كالمجال اللغوي والنحوي"[4]. إن حصر دائرة التعامل مع النص القرآني بالنحو واللغة وجعله كتابا لغويا نحويا ذلك فيه إغفالٌ لإعجاز الكتاب الكريم، لأن تقييد المطلق

(1) تفسير العياشي، محمّد بن مسعود العياشي: تح: قسم الدراسات الإسلامية– مؤسسة البعثة– قم، (ت320هـ)، ط1، 1: 95.

(2) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 42.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 60.

(4) منهجية القرآن المعرفية: 15 – 16.

بجزئية من جزئياته تنقص من عظيم شأنه، هذا من جانب، ومن جانب آخر أن تُقيد مرجعية اللغة إلى القرآن وحده، ذلك فيه إصرار على أن القرآن لا يعدو كونه كتاب لغة، رُبَّ سائل يسأل ما الذي أخذ بزمام حديث الكاتب إلى التسليم بأن القرآن الكريم هو كتاب نحو ولغة؟ إنّ من تشرب اللغة والنحوَ وعلومهما يتكيف بفطرته في التعامل مع أي نصٍ يقع بين يديه من وجهة نظر لغوية نحوية، ولا يعود بإمكانه الفصل بين نص وآخر من وجهة نظر للمؤلف وإمكانات ذلك المؤلف وما يجوز له وما لا يجوز، لذا يصبح في منظوره اللغوي النص المقدس والنص غير المقدس على حد سواء من وجهة نظرٍ لغوية نحوية، وبالعودة إلى ريفاتير وما جاء عنده من مظاهر الأسلوبية البنيويّة هو أن جعل للدلالة مقاييس بضمن هذه المقاييس، هما المقياس اللغوي والمقياس النحوي[1] اللذان لهما الأثر البالغ في إنتاج الدلالة وإظهار القصد من أي نص ما.

2- محمد أركون (ت 2010م)، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

من المظاهر الأسلوبية البنيويّة في هذا الكتاب قوله:" إن هذه التجربة النفسانية تحصلُ لجميع الفئات الاجتماعية الأمية التي اعتنقت ديناً مثقفاً مرتكزاً على كتابٍ أعظم، وعلى لغة مقدسة، وتراث كتابي مقدس أيضا"[2]. إنّ نعت العقيدة الإسلامية والإيمان بشرائعه الآتية من الله ﷻ بـ (التجربة النفسانية) يُعطي مؤشراً على أنّ الكاتب يتوقّفُ عند إيمان الناس بالإسلام وما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الله والتعاليم الإسلامية على أنه انفعال نفسي لا أيمان عقدي بدين حق ورسالة حقه، وكلما يمكن أن يبنى على الانفعال النفسي، على وفق النظريات النفسية

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(2) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: محمّد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة-بيروت- لبنان، ط2، 2005:18

يعطي مؤشرا على أن ذلك المنفعل يعتريه عدم الاتزان، وإنّ ما يؤيد هذه الفكرة في النص ذاته قوله: (الفئات المجتمعية الأمية) إذ أنه وصف المجتمع بالأمية مجزئاً إياه على فئات حتى يُفهم القارئ أن الأمية ينفعلُ تجاه ما يكون أعلى من إمكاناته أي الأميُ ينبهر بما يخاطب به من مستوى ثقافي أعلى من مدركاته، لذا أشار في قوله إلى أن هذه الأمم الأمية انبهرت بالدين الإسلامي؛ لأنه دينٌ مثقف، ودليله على ثقافة الإسلام ما صدّره في كلامه على أن الثقافة كتابٌ لا نقاء قلب على وفق ما جاء في أقوال آل محمد ﷺ، إذ قال أبو جعفر ﷺ: "ما أخلص العبدُ الأيمانَ بالله عزّ وجلّ أربعينَ يوماً أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله عزّ وجلّ أربعين يوماً إلا زهّده الله عزّ وجلّ في الدنيا وبصّره داءها ودواءها فأثبت الحكمةَ في قلبهِ وأنطق بها لسانهُ"[1]، بتدبرٍ بسيط في قوله ﷺ يظهرُ أن الحكمةَ مصدرها الإخلاص بالإيمان لله وحفظ اللسان أربعين صباحًا ستجري الحكمةُ من مصدرها (القلب) على اللسان ولا يشترط في ذلك الرجوع إلى أي كتاب وقراءته فقط الالتزام بما جاء به الله وتطبيق تعاليمه بعقيدة حقة، وإيمان صادق لا بانفعال نفسي كما أشار الكاتب، ثم أن إرجاع القرآن إلى مسألة (تراث كتاب مقدس) وجعل اللغة المقدسة للقرآن دليل على تراثيته المقدسة، إذ أن الإيمان بأنّ القرآن كتاب تراثي يعطي مؤشر على أن القرآن غير مواكب لجميع الأزمنة بل مات في زمنه حتى وصل إلى المجتمعات الحديثة على أنه تراث غير مواكبٍ لما يراه تطوراً في الزمن الحديث، لعل ما حدى بالكاتب أن يذهب إلى ما ذهب إليه من رأي في قوله المار هي المشارب التي استقى منها جذوة علمه من إيمان بالنظريات النفسية المتعاملة مع شخصية الفرد من وجهة نظر انفعالية تجاه الأشياء، فضلا عن اعتمادهُ منهجية قداسة اللغة كما أشار في قوله جاعلاً إياها مقياسا من مقاييس التأثير في المتلقي وإجباره على الإيمان بمنتج هذه

(1) الكافي، 6: 2.

اللغة لعجزه قبالتها أي عجز المتلقي قبالتها، وبالعودة إلى الأسلوبية البنيويّة نجد أن ريفاتير يقول: "موضوع تحليل الأسلوب هو الوهم الذي يخلقه النص في ذهن القارئ، وهذا الوهم ليس بالطبع خيالا خالصا ولا تصورا مجانياً: فهو مشروط ببنيات النص وبمثيولوجية أو أيدولوجية الجيل أو الطبقة الاجتماعية للقارئ"[1]، ولو تأملت هذا القول موازيا إياه بما جاء به أركون لوجدت أنّهما صيغتان لمفهوم واحد وهو أن الطبقة الاجتماعية ومدى ثقافتها واختيار العناصر اللسانية التي لها آثار نفسية عالية في المتلقي كل ذلك يتحكم بتفاعل الإنسان مع ما يقرأ أو يسمع.

وفي موضع آخر يقول: " كان الله قد بلغ مشيئته للجنس البشري (أو لمخلوقاته البشرية) عبر الأنبياء، ولكي يفعل ذلك فإنّه استخدم اللغات البشرية التي يمكن للشعب المعني أن يفهمه، ولكنه في حالة أخرى تجلى بالوحي عبر النبي محمد، فإنّه بيّن كلماته بلغته الخاصة بالذات، وبنحوه، وبلاغته، ومعجمه اللفظي بالذات"[2]، إن تحديد كل شعب بلغة وبديانة تقابل تلك اللغة يعطي فهماً أن من آمن بشريعةٍ على وفق لغته غير ملزم بالإيمان بشريعة أخرى بلغة أخرى، وهذا مستوحاً من قول الكاتب (للشعب المعني) ثم أنْ يكون لله لغة خاصة ونحو خاص وبلاغة خاصة، ومعجم لغوي خاص يتحدث به مع الرسول في أثناء الوحي مغاير لما موجود في القرآن الكريم، ذلك يفهم القارئ اللبيب أن ما موجود بين دفتي المصحف من إنتاج النبي (صلى الله عليه وآله) وليس كلام الله، وعلى هذا فالأجدر أن يكون القرآن الكريم ضمن الأحاديث القدسية التي تكون مضامينها لله وكلامها للرسول(صلى الله عليه وآله)، إنما دفع الكاتب إلى أن يقف هذه الوقفة قد يكون إيمانه بأنّ القرآن غير منزل من الله، إنّما هو من إنتاج النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، وأن يضع لله ما

(1) معايير تحليل الأسلوب: 8.

(2) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: 19.

يمكن أن يوصف به أي بلاغي ذلك يفهم أن الله جلّ جلاله عالم لغةٍ ذلك يفهم أن رسول الله قاصرٌ عن الإتيان بما نزل عليه من الله وفي ذلك تعريضٌ بأمانته بالنقل لآي القرآن الكريم، ولعل ما جعل الكاتب يذهب هذا المذهب هي النظرة إلى التخصيص المجتمعي الفئوي وتأثير اللغة في ذلك المجتمع سواء أكان سلبا أم إيجاباً، فضلا عن التفكير اللغوي النحوي البلاغي لدى الكاتب والآثار المترتبة جراء الاعتماد عليهن في ثنايا النص، وهذا عين ما ورد عند ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة من أن الدلالة اللغوية وأبعادها لها أثر نفسيٌ[1]، كبير في المجتمعات من حيث الإيمان بالشيء من عدمه فضلا عن الترهيب والترغيب.

3- نصر حامد أبو زيد (ت م2010)، الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة.

ومن مظاهر الأسلوبية البنيويّة الواردة فيه قوله: "إذا كانت دلالة الكلام – في باب المعجزات أقل من الفعل لجواز وقوع المجاز والاستعارة فيه، فإنّ الكلام يتميّز عن الإشارة والحركات بأنّه يعبر باتساع عن حاجات الناس ومطالبهم، وهي حاجات لا تستطيع الإشارات والحركات – لضيقها ومحدوديتها- أن تتسع له"[2]، إن التسليم بسعة الفعل عن دلالة الكلام أو سعة اللفظ على المعنى وجرهما إلى النص القرآني وجعلهما قيداً يُتوقف عنده فضلا عن استعمال التعبير بالإشارة والحركة في إيصال المعنى أي اعتماد النص نفسه والدلالات المتحصلة من سعة المعنى على الكلام ومطابقة الحركات والإشارات للكلام الملفوظ يُنتج معنىً يصل بالقارئ أو السامعِ إلى القصد المراد من النص إذا كان النصُ نصاً بشرياً نثرياً كان أم شعرياً، ومن المنطق هنا أن يتبادر إلى أفهامنا سؤال: هل أنّ ما ينطبق على النص الشعري أو النثري، أو

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 8.

(2) الاتجاه العقلي في التفسير دراسةٌ في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، نصر حامد أبو زيد، (ت 2010 م)، المركز الثقافي العربي، ط 3، 1996: 82.

الأدبي البشري يُمكن أن ينطبق على القرآن؟ ثم من حكم بصدق تطابق إشارات القارئ للنص القرآني مع القصد المراد من الآية، إنّما يتحكم بذلك كله معرفةُ القصد الحقيقي لمنشئ النص، إن كان النصُ بشرياً فيسيرٌ معرفة قصده، أو ليس بالمعجز، ولكن كيف الحال مع النص القرآني ومن ذا مدعٍ معرفة مقاصد الله والوقوف على حقيقتها حتى تطابق إشاراته مع دلالات النص إلا الذين علمهم هو وطهرهم تطهيرا، فضلا عن أن التسليم بأن القرآن الكريم يُمكن الوقوف على حقيقة معاني آياته من طريقِ البلاغة وما تحويه من علوم، يضيق بل قد يذهب بالقصد الحقيقي ويأتي بغيره، وإذا ما ذهبنا إلى الأسلوبية البنيويّة نجد أن ريفاتير أكد على أنّه لا يمكن الفصل بين الدال والمدلول[1]، لأن ذلك لازمة من لوازم نصية النص على وفق النظرة الأسلوبية البنيويّة، فضلا عن أنّ الربط بين النص وخارجه هو أحد متبنّياته في المحور الخارجي[2]، أي علاقة النص بما يحيط به والذي توقف عنده الكاتب وقت تحدث عن علاقة اللفظ بالإشارات والحركات.

ومن المظاهر أيضا قوله: "كما تتعددُ وجوه اللفظ الواحد تتعدد كذلك وجوه الحرف الواحد"[3]، يمكن أن يفهم من قوله أن اللفظ له من المعاني ما يبتعدُ بها عن أصل المعنى في اللغة بأثر ما يرد فيه من سياقات مضيفة عليه وجوه ودلالات على وفق مقاصد المتكلم، ويمكن أيضا أن يُفهم من قوله تعدد وجوه اللفظ أي تصاريفه وما يُمكن أن تتركه تلك التصاريف من أثر في الدلالة وعلى أية حال ففي كلا الوجهين الكاتبُ يُبرزُ أهمية اللفظ في إنتاج المعنى وإيضاح القصد للمتكلم وكذا الحالُ في الحروف، وهذا يُطابقُ ما نص عليه ريفاتير من أن للسياقِ[4]، أثرهُ في

(1) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، 1: 94.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) الاتجاه العقلي في التفسير دراسةٌ في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة: 99.

(4) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

العناصر اللسانية المكونة للتركيب ونوعُ العلاقات التي تكونُ بينها المؤدية في آخر المطاف إلى إظهار معنى النص بما يتوافق وقصد المتكلم.

4- محمد عبد عابد الجابري(ت2010م)، مدخل إلى القرآن الكريم.

ومن مظاهر الأسلوبية البنيويّة الواردة فيه قوله: "وبين الآيتين اللتين تُحددان- في الآيات الخمسة المذكورة- علاقة الظاهرة القرآنية بالزمن"[1]، إنّ اعتماد وحدة المعنى بين أكثر من آية في إنتاج قصد مُعين بالاتكاء على السياق والاعتماد على المخزون المعرفي للقارئ يضيق من سعة دلالة آيات القرآن وبلوغ مقاصد الله، إذ كما سلف القول من العسير على عقول الرجال تفسيرُ كلام الله كما مرّ الذكر في قول الإمام الباقر عليه السلام لأن الآية الواحدة أولها يعطي معنى ووسطها يعطي معنى وآخرها يعطي معنى، فكيف إذا كانت هنالك أكثر من آية مقتبسة من أكثر من سورة أنّى جاء الحكمُ على وحدة معناها في التعبيرِ عن قصد كاتبه أو مؤلفها إلا إذا وضعناها في حقلِ معنى ظاهر الكلام وتدبر القارئ، وهذا أيضا غير مفضٍ إلى حقيقة باطن المعنى، ولعل فهم الكاتب هذا ومنهجهُ بالتعاملِ مع آيات القرآن الكريم مساوقٌ لما جاء به ريفاتير وقت حديثه عن السياق[2]، وأثرهُ في إنتاج المعاني.

وفي موضع آخر يقول: "يمكن القول أنّه بناء على ما ورد في القرآن فإنّ التحريف لحق بالإنجيل التي تقول إن الله ثالث ثلاثة"[3]، إنّ تحكيم الثقافة المعرفية والاطلاع اللغوي ومواكبة الإرث التاريخي التفسيري للقرآن الكريم يتصور بعض الكتاب والمتعلمين أن ذلك يسوغُ لهم الوقوف على معاني ودلالات النص القرآني وبيان مقاصده في حين أن ذلك منطلق من معرفة شخصية ذاتية عن علم قاصر

(1) مدخل إلى القرآن الكريم (في التعريف بالقرآن)، الدكتور محمّد عابد الجابري(ت 2010 م)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006، 1: 24.

(2) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(3) مدخل إلى القرآن الكريم (في التعريف بالقرآن)، 1: 53.

وكما لا يخفى على كل دارس لعلوم القرآن بل وغيرها، أن القرآن الكريم كاملٌ لكمال منتجه ولا يمكن بل من المستحيل أن يكونَ لغير الكاملِ السلطة على الكامل، ورُبّ سائل يسأل في أي خانة يمكن أن نضع القول المار للكاتب من أنْ بيّن بعبارة (يمكن القول) معنى الآية؟ وللإجابة على هذا التساؤل نقول أن الإنسان مأمورٌ بالتدبّر، وأن ما ذهب إليه الكاتب هو من قبيل التدبر لا التفسير، وإنّما حدا بالكاتب أن يُعطي رأيه بالآية أو يفسرها بحسب رأيه ما أشرنا إليه في بداية القول من ثقافة ومعرفة واطلاع بعلوم القرآن، وبالعودة إلى الأسلوبية البنيويّة نجد أن الكاتب في القول المار جعل من نفسه قارئا نموذجياً للنصِ، وهذا ما أسماه ريفاتير بالقارئ العمدة[1]، وهو القارئ الذي تكونُ له السلطة في إظهار معاني النص منطلقاً من سعة ثقافته وتمكنه من العلوم المؤهلة له في سبر أغوار ذلك النص.

5- محمد شحرور(ت 2010م)، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة.

إنّ من مظاهر الأسلوبية البنيويّة فيه قوله: "أقول: إنّ الجعل تغيير في الصيرورة"[2]، إن الانطلاق من مفردة (أقول) ذلك ينبئُ أنّ الكاتبَ خوّل نفسهُ بأن تكون له سلطةَ إفراغ المعاني على الألفاظ متكأ في ذلك على المعنى السياقي للفظ أي ما أفضاه السياق من تأثير في تلك اللفظة أخذاً بزمامِ معناها من دلالةٍ قريبة إلى دلالةٍ أبعدُ بقليل وما أباح له ذلك ومكنه منه مكتنزه من علوم ومعارف أنبأتهُ بأن له الصلاحية والإمكانية في أن يُحاكم النص على وفق ما يراهُ مناسباً منطلقا في ذلك من النصِ نفسه بالاعتمادِ على أثر السياق في اللفظ، وبالموازاة مع الأسلوبية البنيويّة لما بيّن آنفاً يتبيّن للباحث الأسلوبي البنيوي أن الكاتب بقوله (أقول) جعل من نفسه

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 42.

(2) الكتاب والقرآن (دراسات إسلامية معاصرة 1)، محمّد شحرور (ت 2019م)، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية – دمشق، د. ط، د. ت: 152ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 42.

قارئاً عمدةً للنصِ[1] له السلطة على النص حتى يُفرغَ المعاني والدلالات عليه فضلا عن أنّه اتكأ على مظهرٍ أسلوبي بنيوي آخر وهو أثر السياق في العنصر اللساني[2] في انتاج معنى جديد غير ما وضع لذلك العنصر في أصل اللغة من طريق العلاقة بين عناصر الجملة اللسانية.

وذكر في موضع آخر قوله: "فالعرش في اللسان العربي جاء من "عرش" ولها أصلان"[3] بالرجوع إلى المعاجم العربية للوقوف على معاني الألفاظ ودلالاتها حتى يكون باباً للوقوف على دلالة النص وبيان المعنى المراد منه والقصد المتوخى إيصاله للمتلقي، إلا أن ذلك غير مسحوب على النص القرآني بأكمله لافتراق في أن لغة القرآن الكريم توقيفية لا اصطلاحية، إذ أن الله تعالى إنّما وضع الألفاظ بهذه الصورة لقصدٍ أراده هو عزّ وجلّ وأخبر به من اصطفاهم، وليس المعجمُ بحاوٍ لمقاصده عزّ وجلّ، فمن الطبيعي ألّا يكونَ المعجم في كلّ الأحوال دليلا قاطعاً على معاني الآيات، إذ لا يمكن أن يستدل على الكامل بالناقص فالمعجم يعتريه النقص لنقص منشأه والقرآن الكريم يتصف بالكمال لكمال منشأه، إلا أن الأسلوبية البنيويّة التي جاء بها ريفاتير تؤكد بل وتجعل للدلالة مقاييس من أهمها المقياس المعجمي[4]، إذ تعدهُ من مرتكزات الوقوف على دلالات العناصر اللسانية المستعملة في النص للتعبير عن القصد الذي يروم الكاتب إيصاله إلى المتلقي.

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 21.

(3) الكتاب والقرآن: 164.

(4) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

6 – حسن حنفي(ت 2021م)، من النص إلى الواقع (تكوين النص).

إن عدم الفصلِ بين النص وواقعه الخارجي أحد الأسباب التي تفتحُ أمام المتلقي أبواباً للوقوف على الدلالات والمعاني والمقاصد التي يود الكاتب أن يوصلها إلى المتلقي إذ أنه لا ينفك رابطاً بين النص وواقعه الخارجي للاستدلال على المعنى المطلوب إيصاله إلى المتلقي، وذلك ما يقابل في الأسلوبية البنيويّة المحور الخارجي[1] الذي ينطلق من النص إلى الخارج حتى لا يكون هناك فاصل بين النص وما يحيط به؛ كي لا يذهب بالدراسة إلى ساحة البنيويّة التي ما انفكت رافضة لوجود المؤلف.

إنّ من مظاهر الأسلوبية البنيويّة الواردة فيه قوله: "أمّا في اللغة فتختلف معاني الألفاظ الخمسة، فالوجوب في اللغة السقوط، والفرض إمّا التقرير أو الثبوت، والسنة الطريقة، والندب الدعاء إلى الشيء، والنفل فعل ما ليس عليه عقاب"[2]، وكما مرّ القول في مواضع كثيرة من الدراسة، إنّ الركون إلى المعنى المعجمي وحده غير قاطع بالوقوف على الدلالة الحقيقية للنص والقصد المراد من النص على وفق ما أراد الله من ذلك اللفظ، فأن يأتي الكاتبُ ويقول: (إمّا في اللغة فتختلف معاني الألفاظ) ذلك كلامٌ دقيق، إنّ اللفظ في القرآن يكتسب معناه من الآية نفسها، فقد تجد لفظ ما يعطي معنى غير ما وضع له في المعجم ذلك بأثر مما سبقه ولحقه من الألفاظ منتظمة في سياق تركيبي معين، وهذا يوازي ما جاء به ريفاتير في المقاييس الدلالية[3] التي لها السلطة في إنتاج المعنى، وقت تحدث عن المقياس المعجمي كما مرّ ذكره.

---

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) من النص إلى الواقع (تكوين النص)، حسن حنفي، مركز الكتاب للنشر، مصر، ط1، 2004م، 1: 43.

(3) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

وفي موضع آخر قال: "والاجماع حجة في كل عصر وغير مقيد بوقت ولا حال"[1]، أنْ تنتخبَ مجموعة من أهل الاختصاص في أي مجال كان معتمداً رأيهم في الوقوف على الحقيقة والتسليم بما يأتون به من رأي ذلك أنك جعلت منهم المرجع الأساس في إظهار المعاني والحقائق المرادة من النصوص أو غيرها، فإنّ اعتماد رأي الاجماع وجعله المصدر الأساس في التشريع أو في التفسير يعطي إشارة واضحة على أنك أي الكاتب جعلت لهم السلطة على ذلك النص في إظهار مقاصده ومعانيه وهذا ما جاء به ريفاتير في مسألة القارئ العمدة[2]، للنص أي انتخاب مجموعة من القرّاء وتقصي ردود أفعالهم تجاه النص.

7- السيد محمود القمني (ت 2022م)، الإسلاميات قراءة اجتماعية سياسية للسيرة النبوية.

إنّ من المظاهر الأسلوبية البنيويّة الواردة فيه قوله: "وقد عقب القدامى والمحدثون على حديث الغرانيق لنفيه"[3]، جلي أن الكاتبَ صرح في بداية قوله على أي شيء اتكأ لنفيه حديث الغرانيق إذ قال:" القدامى والمحدثون" هذا يعني أنه ركن مسلماً إلى رأيهم في نفي هذا الحديث جاعل منه عضداً في صواب الرأي من خطئه أي أنه انتخبهم للردِ على هذا الحديث وهذا ما يقابل القارئ النموذجي أو ما أسماه ريفاتير بالقارئ العمدة[4]، في الأسلوبية البنيويّة الذي يكونُ له الرأي الراجح في بيان دلالات النص من طريق ردود أفعاله تجاه ذلك النص.

---

(1) من النص إلى الواقع (تكوين النص)، 1: 46.

(2) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(3) الإسلاميات قراءة اجتماعية سياسية للسيرة النبوية، سيد محمود القمني (ت 2022م)، المركز المصري لبحوث الحضارة، ط1، 2001: 7.

(4) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

ومن المظاهر أيضا قوله: "قراءة الواقع الذي حدثت فيه الحادثة"[1]، إنّ استحضار ما يحيط بالكلام من عوامل خارج نصية واعتمادها في إظهار معاني نصية واستدعاء كل ما له أثر خارجي إلى ساحة النص الداخلية واعتماده أيضا في إظهار الدلالة أو المعنى المراد من النص ذلك يعني عدم انفصال النص عن واقعه الخارجي بل وجعل ما يحيط بالنص دليل على داخل النص وهذا ما أسماه ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة بالمحور الخارجي[2]، أي اعتماد النص وما يحيط به للوقوف على الدلالة المتحصلة من ذلك النص.

8- عبد الكريم سروش، التراث والعلمانية.

مما ورد فيه من مظاهر الأسلوبية البنيويّة قوله: "إنّ الدرس الذي نستوحيه من هذه القصة هو أنّ هناك كفرا واقعيا وكفرا ظاهريا، وثمة إيمان واقعي وإيمان ظاهري"[3]، إنّ تتبع فكرة معينة داخل نص معين والخروج بحكم مرتكز تمام الارتكاز إلى النص نفسه معتمداً في ذلك على السياق الذي جاء النص حاملا له، مبينا بعد ذلك فروقاتٍ مصدرها الأساس قد يكونُ لغوياً أو قد يكونُ عقدياً، ولعل ما ذهب بالكاتب إلى الحكم على أنّ هنالكَ (كفرا واقعيا وكفرا ظاهريا، وثمة إيمان واقعي وإيمان ظاهري) تولد جراء سير هذه الألفاظ في سياق القصة مما أدى إلى أن يضفي عليها ذلك السياق معانٍ جديدة توصل إليها الكاتب من طريق فهمه للنص وتحكيمه للسياق، فضلا عن أنّه اعتمد نفسه قارئاً نموذجياً للنص أي له السلطة على النص، وذلك في قوله (نستوحي) مشيراً بهذا اللفظ إلى الفهم العام الذي تبادر إليه، وبالعودة إلى ريفاتير وما جاء به في الأسلوبية البنيويّة تبيّن أنّ في

(1) الإسلاميات قراءة اجتماعية سياسية للسيرة النبوية: 8.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) التراث والعلمانية (البنى والمرتكزات، خلفيات ومعطيات)، عبد الكريم سروش، ترجمة: أحمد القبانجي، منشورات الجمل، بيروت – لبنان، ط1، 2009: 139.

النص المار ذكره مظهرين أسلوبيين بنيويين أوّلهما تحكيم السياق[1]في إضفاء المعاني والدلالات على العناصر اللسانية، وثانيهما: انتخاب قارئ عمدة[2]للنص واعتماد قراءته في إظهار الدلالة.

وقال في موضع آخر: "الفارق بين الإسلام والإيمان أنَّ الإيمان هو الإسلام الحقيقي، والإسلام هو الظاهر والقول باللسان فحسب"[3]، يمكن القول أن الكاتبَ في القول المار لم يخرج عن سابقيه من أنه قد حكّم السياقَ في إظهار دلالة النص، إذ لا مجالَ للباحث الأسلوبي البنيوي من الخروج عن النص في إظهار المعاني والدلالات وتتبع لفظٍ داخل نصٍ واستنتاجُ معنى له من أثر التركيب فيه، ذلك اعترافٌ صريح بأن للسياق السلطة على إضفاء المعاني على الألفاظ لذا توصل الكاتبُ إلى أن للإيمان معنى باطن، وللإسلام معنى ظاهر، وهذا قد يتعارض مع ما ورد في النص القرآني في قوله: **{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...}**[4]، ولو سلمنا بأن للسياق سلطة في إظهار المقاصد القرآنية وقلنا أن الكاتب اعتمد قوله تعالى: **{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**[5]، فأن ما ذهب إليه من أن الإيمان هو الإسلام الحقيقي، وأن الإسلام هو الظاهر ذلك فيه نظر؛ لأن سياق الآية الكريمة من طريق تدبرها ينبئ بأن أولى مراحل الإيمان هو الإسلام، وهما غير منفكين عن بعضهما، فهم محتاجون إلى أن يسلموا حتى يؤمنوا، فالإسلام يكونُ بداية للأيمان، ولو عدنا إلى

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(3) التراث والعلمانية: 134.

(4) سورة آل عمران: 19.

(5) سورة الحجرات: 14.

ريفاتير نجدهُ قد جعل للسياق[1]، سلطة في إظهار المعاني والدلالات والمقاصد النصية، كما مرّ تفصيل ذلك في مواضع كثيرة.

9- علي حرب، التأويل والحقيقة.

من المظاهر الأسلوبية البنيويّة فيه قوله: "فالنص لا يتوقف عن كونه محلا لتوليد المعاني"[2]، جليٌ ما صرح به الكاتب من أن للنص سلطة كاملة في توليد المعاني وإعطاء دلالات جديدة للألفاظ بالاعتماد على التراكيب وعلاقة اللفظ بما قبله وما بعده بما يتوافق والقصد المكنون في صدر المتكلم الذي يروم من طريق ذلك النص إيصاله إلى المتلقي بأيسر الطرق وأبلغ الألفاظ، لذا يلجأ الكاتب إلى تحكيم السياق[3]، في إظهار المعاني والدلالات فضلا عن أن لا مناص للباحث الأسلوبي البنيوي غير النص، فلا بد له من الاشتغال على النص لإظهار الدلالة كما ذكر ريفاتير.

وفي موضع آخر قال: "وكما أن الدليل طريق لإثبات الدلالة، فالدلالة هي منطلق الدليل"[4]، لا يمكنُ على وفق نظرية السياق الفصلُ بين الدال والمدلول، إذ أن كليهما يدل على الآخر، وجليٌ في قول الكاتب المار ذكره عدم الفصل بين الدال والمدلول أي بين الدلالة والدليل إليها ولعل ذلك ما أثبته ريفاتير بأن لا يمكن الفصل في الأسلوبية البنيويّة بين الدال والمدلول[5].

---

(1) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(2) التأويل والحقيقة، علي حرب، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 2007: 17.

(3) ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي: 16.

(4) التأويل والحقيقة، 1: 94.

(5) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، 1: 94.

10- علي أحمد سعيد (أدونيس)، الصوفية والسريالية.

من مظاهر الأسلوبية البنيويّة الواردة فيه قوله: "ترتبط كلمة صوفي بما هو خفيٌ وغيبيٌ"[1]، بالتأمل في النص المذكور للكاتب يظهر أنّه قد اعتمد منهجية المعنى المعجمي للألفاظ[2]إلا أنّه اتكأ بعض الاتكاء على أثر تحول هذه اللفظة جراء انتقالها بين سياق وآخر معتمداً في ذلك على ما تشير إليه هذه اللفظة في الخارج من طقوس لذا نتج عن اجتماع كل هذه العوامل إلى أن توصّل أن معنى كلمة (الصوفية) ناتجٌ عن الخفاء، وإذا ما ذهبنا إلى ريفاتير نجد أنّ الكاتبَ اتكأ على مظهر من مظاهر الأسلوبية البنيويّة وهو أحد مقاييس إنتاج الدلالة وهو المعنى المعجمي فضلا عن ترجيحه لكفة السياق[3]، في إعطاء معاني جديدة للفظ بالاعتماد على ما يتعلق بالنص خارجيا أي المحور الخارجي.

وقال في موضع آخر:" قدرة الكلام أذن إشارية ورمزية"[4]، إن اعتماد ما يحيط بالنص في سبيل إيصال المعنى والقصد يعطي إشارة على أن جزء من الوقوف على قصد المتكلم متضمن في مدى تفاعله مع النص، وطريقة أدائه في إيصال المعنى باستعمال الإشارة أو الرمز أو كليهما، وهذا يعطي مؤشر على أن النص أو الكلام غير مفترق عن واقعه بل ومرتبط به كل الارتباط وهذا ما أكد عليه ريفاتير في المحور الخارجي[5] من علاقة النص بالخارج وكل ما يحيط به في سبيل إيصال المعنى وبلوغ القصد المراد بلوغه من قبل المتكلم أو منشئ النص.

---

(1) الصوفية والسريالية، أدونيس، دار الساقي، ط3، ص10-11.

(2) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 42.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 24.

(5) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

الفصل الثالث

تطبيقات منهج الأسلوبية البنيويّة في تفسير الميزان

حتى يبلغَ كل باحثٍ غاية بحثه لابد من أن يدعم ما جاء به من نظرية مؤصلا لها، وواضعا الأسس النظرية لها أن يلحق ذلك أو يؤكد ذلك التنظير والتأصيل بتطبيقاتٍ جالية للمعنى موضحة للمقاصد التي رامَ الباحثُ البلوغ إليها، ولما كان بذر هذا الموضوعِ ضارب في القدم بان عند الكتاب بملامحَ تفرقت هنا وهناك في كتبهم سواء أكانت بلاغيةً أو نقديةً أو تفسيريةً أو مشتغلة على علوم القرآن الكريم وبتقادم الزمن حالت هذه الملامح إلى أن تكون أكثر نضوجا وأبين تشخيصا حتى بلغت غاية إلى أن صارت مظاهر موزعة بين فروع العلم المذكورة أعلاه، ثمَ سارت ناميةً في الكتب المتأخرة حتى أن بلغت غاية أن صارت منهجاً يتبعُ في تأليف كتب لها مساس كبير بالنص القرآني، فضلا عن تفاسير كثيرة للقرآن الكريم سارت على منهج الأسلوبية في التعامل مع النص القرآني، وما اختيار تفسير الميزان متنا للدراسة؛ إلا لأن هذا المنهج بلغ غاية نضجه في هذا التفسير، وعلى هذا جاء المبحث الأول متحدثاً عن:

المبحث الأوّل

حاكمية السياق

إنّ للسياق أثره في إنتاج المعاني بالاتكاء على قصد المتكلم واختيار العناصر اللسانية المكونة لذلك السياق فضلا عن نوع العلاقات الناشئة بين عناصر ذلك السياق وتراكيب جمله، وبتتبع كتابنا محل الدراسة نجد أن للسياق حاكمية في إظهار الدلالات والمعاني والوقوف على مقاصد كثير من الآيات الكريمات ومن ذلك الاتي:

إنّ من المواضع التي يتبيّن فيها الحاكمية للسياق قوله: "إنّ السورة بتمامها كلام تكلم به الله سبحانه في مقام النيابة عن عبده فيما يقوله إذا وجه وجهه إلى مقام الربوبية ونصب نفسه في مقام العبودية"[1]، إنّ الإشارة النصية الواردة في قول الكاتب، إذ قال:" السورة بتمامها" تشير إلى النظرة السياقية للنص، أي اعتماد السياق ولو بالحكم الأولي أو الظاهر لمعنى السورة وهذا إنّ دلّ فإنما يدل على ما أشار إليه الكاتب من اعتماد السياق بأنّه أحد الموارد أو المشارب التي من طريقها يقف على القصد المراد من الآيات أو تفسير معناها وهذا على وفق النظرة الأسلوبية البنيويّة يعطي دلالة أنّ الكاتب جعل منها منهجاً لكتابته، إذ أن الباحث الأسلوبي البنيوي لا بد له من الاحتكام إلى السياق[2] في استنباط المعاني والأحكام فضلا عن تتبع المعنى بين آية وأخرى وإيجاد تعالق دلالي بينهن للخروج بمعنى عام للسورة كما أشار الكاتب في القول المذكور آنفاً.

وفي موضع آخر قال: "سياق الآيات الثلاث يدل"[3]، جلي في القول المار الإشارة إلى أنّ المنهج المتبع في التعامل مع الآيات هو المنهج السياقي أي اعتماد السياق في إظهار معاني الآيات والربط بين آية وأخرى في المعنى من طريقه، إذ أنّه صرح بقوله: (سياق الآيات) وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أن الكاتب ارتكز وبشكل واضح وجلي على السياق في الوقوف على مقاصد الآيات ودلالاتها بل

(1) الميزان في تفسير القرآن، 1: 21.

(2) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 42.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 2: 192.

واتسع إلى أكثر من ذلك حتى صار يعالق بين آية وأخرى بل ويحكم على سورة برمتها أنّها تعطي المعنى المعين من طريق تحكيم السياق[1] في الوقوف على معناها، وهذا على وفق ما جاء به ريفاتير يعد منهجا أسلوبيا بنيويا لأن الأسلوبية البنيويّة تعطي للسياق السلطة في إظهار المعاني فضلا عن أنّها تعطيه السلطة أيضا في إضفاء المعاني على الألفاظ وتشترط أن يكون بين الفاظه تآلف.

وجاء في موضع آخر قوله: "وبالجملة فالمحصل من الآيات الشريفة أن وراء ما نقرأه ونعقله من القرآن"[2]، بالعودة إلى النص المذكور أعلاه يطالعك في بدايته قوله: (وبالجملة فالمحصل من الآيات الشريفة) وهذا ما يعطي فهما أن النظرة إلى الآيات كانت نظرة عامة شاملة غير مجزأة أي النظر إلى باقي الآيات والحكم على أنّها متوافقة المعاني مشيرة إلى موضوع واحد بالنظرة العامة إليها وهذا ما يدل على حاكمية السياق في التعامل مع النصوص والوقوف على دلالاتها ومعانيها والمقاصد المتوخاة منها، وهذا ما أشار إليه ريفاتير وقت تحدث عن السياق وأثره في إظهار المعاني والدلالات في النص.

وفي موضع آخر يقول: "قوله تعالى: "**لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**"[3]ومن هنا يظهر أن هذا العفو المذكور في هذه الآية غير العفو المذكور في قوله ولقد عفا عنكم ومن الدليل على اختلاف العفوين ما في الآيتين من اختلاف اللحن ففرق واضح بين قوله تعالى ولقد عفى عنكم والله ذو فضل على المؤمنين حيث إنه كلام مشعر بالفضل والرأفة وقد سماهم مؤمنين ثم ذكر إثابتهم غمّا بغم لكيلا يحزنوا ثم إنزاله عليهم أمنة نعاسا وبين قوله تعالى ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم إذ ذكر العفو وسكت عن جميع ما أكرم الطائفة الأوّلى به ثم ختم الكلام

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، 3: 27.

(3) سورة آل عمران: 155.

بذكر حلمه وهو أن لا يعجل في العقوبة والعفو الذي مع الحلم إغماض مع استبطان سخط." [1]، من طريق الموازنة التي أجراها الكاتب بما يتعلق (العفو) وإظهار معنيين مختلفين لذات اللفظ قد فرضهما السياق الذي وردت فيه اللفظة فضلا عن أن الكاتب وضح من طريق اللحن أن العفو في الأولى لا يشبه العفو في الثانية وكل ذلك مآله إلى أثر السياق في الألفاظ وإضفاء معان جديدة عليها، وهذا ما نادى به ريفاتير وقت ذكر أن السياق ذا سلطة عالية[2] في الدلالة وإظهارها، فضلا عن أثره في الألفاظ وسحبها من ساحة معناها إلى معنى آخر، وهذا ما أشار إليه الكاتب في القول المار ذكره.

مما كان للسياق حاكمية فيه أيضا قوله: "الآيات لا تأبى عن الاتصال بما قبلها فكأنها من تتمة القول في ملامة الضعفاء من المسلمين، وفائدتها وعظهم بما يتبصرون به لو تدبروا واستبصروا"[3]، إنّ الاعتماد على ربط معاني الآيات الواحدة بالأخرى والاتكاء على ذلك في إعطائها معنى واحدا ينبئ أنّ من تعامل مع النص تعامل معه بالنظر إلى السياق برمته لم يفصل بين تركيب وآخر وقصد وآخر في داخل ذلك النص أي جعل منه ذا معنى عاما وقصدا واحداً، وما يدل إلى ذلك قوله: (تأبى الآيات لا تأبى عن الاتصال بما قبلها) وهذا دليل بيّن على أن الكاتب تعامل مع النص بمنهجية أسلوبية بنيويّة لا بقصدٍ ولكن جاءت عفو خاطره ولا تعظيم لذلك المنهج وهذا ما يوافق ما جاء به ريفاتير في المنهج المذكور من حاكمية للسياق[4]، في الوقوف على الدلالات والمقاصد المتوخاة من النص.

---

(1) الميزان في تفسير القرآن، 4: 190.

(2) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 42.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 5: 10.

(4) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 45.

وفي موضع آخر قال: "الآيات في نفسها تقبل الاتصال والاتساق بحسب النظم"[1]، إنّ التصريح بقوله المذكور آنفاً بأن الآيات تقبل (الاتصال والاتساق) إشارة واضحة إلى أن السياق هو واحد من أهم السبل التي يضعها الكاتب إزاء تفسير الآيات فهو ذا نظرة شمولية للمعنى أي لا يفصل بين آية وأخرى في أن تكون أحدهما تعطي معنى مغاير لأختها بل يقف عند ظاهر المعنى مشيرا إلى أن الآية وأختها غير منفصلتين في الدلالة والقصد وهذا نتاج تحكيم السياق في إظهار المعنى، وهو غير مفترق عما جاء به ريفاتير من حاكمية السياق[2] في إظهار المعاني والاحتكام إليه في الوقوف على قصد المتكلم.

من حاكمية السياق أيضا في إظهار الدلالة قوله: "والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وآله والمقصود غيره من الأمة"[3]، جاء في مطلع قوله إشارة إلى أن خطاب الآية موجه نحو قصد معين أي خطاباً مباشراً إليه وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام وقت سئل على أي صيغة نزل القرآن فأجاب "نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جاره"[4]، وربّ سائل يسأل من أين جاء الحكم للكاتبِ على أن الآيات فيها خطابٌ موجه للنبي (صلى الله عليه وآله)؟ ويمكن الإجابة بقولنا إنّما أرشد الكاتب إلى هذا الحكم هو تحكيمه لسياق الآيات ونظره إليها بنظرة عامة شاملة غير مفرقة بين معنى لآية ومعنى لأخرى، وهذا يدل على أثر السياق في استنباط المعاني ويدل أيضا على أن المنهج الذي يتبعه الكاتب في تعامله مع الآيات منهج نصي معتمد على السياق، وبالعودة إلى ريفاتير لا نجد افتراقا بين منهج الكاتب ومنهج

(1) الميزان في تفسير القرآن، 6: 204.

(2) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 42.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 7:67.

(4) ميزان الحكمة، 2: 2535.

الأسلوبية البنيويّة الذي نادى به الأخير، مبينا أن للسياق[1] السلطة في التحكم بالدلالة العامة للنص.

ومن حاكمية السياق أيضا في الوقوف على المعنى قوله: "فالمعنى إيفاء الكيل والميزان وعدم البخس والكف عن الفساد في الأرض خير لكم يظهر لكم خيريته إن كنتم مصدقين لقولي مؤمنين بي، أو المعنى: ذلكم خير لكم تعلمون أنه خير إن كنتم ذوي إيمان بالحق"[2]، إنّ إظهار المعنى العام للنصوص ومن ثم تفريع ذلك المعنى إلى أحكام جزئية مؤديةً إلى هدف واحد ما هو إلّا نتاج قراءة عامة للنص وفهم عام للنص غير مجزئة بالاتكاء على ما تحصله الكاتب من علوم فضلا عن ملكته الخاصة بالفهم مستعينا في كل ذلك بسياق النص نفسه لذا توصل إلى معنى عام بالنص وجزئه على وفق نظرته لمفاصل النص ذاته وهذا يشاكل ويشابه ويساوق ما جاء به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة من أن للسياق[3]الحاكمية في إظهار المعاني.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "الآيات تختم السورة، ويرجع معناها نوع رجوعٍ إلى ما افتتحت به السورة"[4]، بالنظر إلى قول الكاتب المار ذكره يحيلنا إلى استذكار مفصلية من مفصليات البلاغة التي تستعمل كثيرا في الشعر وهي "رد الأعجاز على الصدور"[5] أي النظر إلى المعنى العام للنص والوقوف على الدلالة المستوحاة منه بالاعتماد على السياق العام له ومحاولة ربط آخر النص بأوله من طريق إشارات نصية غير خارجه عنه وهذا ما فعله الكاتب بقوله المار من أن

(1) ينظر: المصدر السابق: 24.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 8: 272.

(3) ينظر: معايير تحليل الأسلوبي: 42.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 9: 62.

(5) كتاب علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د. ط: 226

الآيات تختم السور وتفتتح السور إذ أنه يعطي معنى التواصلية في المعنى فضلا عن رد أعجازها على صدورها ودليله إلى ذلك الوحدة الموضوعية العامة للنص كما يرى وهذا ما حرص عليه ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة من أن للسياق[1] سلطة في إظهار الدلالات وإيضاح المعاني فضلا عن إضفاءه المعاني على العناصر اللسانية المكونة لسياقها، فضلا عن نوع العلاقات بينها.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "ومن لطيف التعبير قوله حين ذكر الدعاء: "ما لا ينفعك ولا يضرك" وحين ذكر العبادة : "الذين يعبدون من دون الله فإن العبادة بالطبع يعطي للمعبود شعورا وعقلا فناسب أن يعبر عنه بنحو (الذي) المستعمل في ذوي العلم والعقل، والدعاء، وإن كان كذلك لمساوقته العبادة غير أنّه لما وصف المدعو بما لا ينفع ولا يضر، وبما توهم أن ذوي العلم والعقل يصح أن تنفع وتضر، عبر بلفظة (ما) ليلوح إلى أنّها جماد لا يتخيل في حقهم إرادة نفع أو ضرر"[2]، بالنظر إلى القول المار ذكره والوقوف عند أهم مفصلياته لإظهار ما للسياق من أثر في إظهار المعاني والدلالات نجد أنّ الكاتب جزّأ الآية إلى معانٍ باحثاً عن نقاط اتصال بينها في تعبيرها عن معنى معين لذلك وقف عندما لا ينفع ولا يضر جاعلا إياها في سياق دعاء ثم الذهاب إلى مقطع آخر وهو قوله: (الذين تعبدون من دون الله) جاعلا إياه في سياق عبادة متكأ في ذلك على المعنى العام للنص من أن النفع والضرر لغير العاقل ودليله على ذلك القرينة النصية (ما) ذاكرا أنّها تلوح بأن المومأ إليه جمادٌ لا يتخيل في حقهم إرادة نفع أو ضرر، إمّا سياق القطع الآخر متحدث عن عاقل ودليله إلى ذلك القرينة النصية (الذي) مثبتا بأنها تستعمل لذوي العلم والعقل ولعل ما أوقفه على هذه المعاني القراءة العامة الممحصة المحكمة للسياق

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 10، 234.

ومدى استمراره في النص وانقطاعه إلى معنى مغاير وذلك ما وقف عليه ريفاتير باسم التضاد الأسلوبي[1] إذ أن هنالك في النص عبارة تحولُ سياق الكلام من معنى إلى ضدهِ بسياق جديد لا بلفظ قبالة لفظ أعني بذلك أن يتقابل سياق من تراكيب بالضد من سياق بتراكيب أخرى أي إرادة معنيين متضادين، ولا ريب بأن السياق هو الحاضن الأكبر لكل ما مرّ بيانه في السطور السالفة إذ أن بسلطته على الألفاظ والتراكيب أنتج المعاني المارة.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "ولعل الذي حداه إلى ذلك ما في الآية الأولى من لفظة الخير فاستظهر منه الرجحان الخطابي، وقد فاته ما فيها من قيد (الواحد القهار وقد عرفت تقرير ما تتضمنه الآيتان من البرهان، وإنّ الذي ذكره من معنى الآية الثانية هو مدلول مجموع الآيتين دون الثانية فحسب"[2]، إنّ اعتماد القرينة النصية أو اللفظية الواردة في سياق معين دليل على تعالق ذلك النص بنص آخر بالاعتماد على المعنى الذي أعطته داخل ذلك السياق متآلفةً معه متجانسه مع الفاظه غير منقطعة عنها ينبئ بأنّ الرائي لهذين النصينِ قد تأملهما وتوقف عندهما بالنظر إلى سياقهما وما أثرته تلك اللفظة فيه فضلا عن أثر السياق في اللفظة ذاتها، ثم أن يقف عندما فات غيره من علامة نصية دالة على معنى قد يكون بعيداً في تدبرهِ جاعلا منها قيدا للمعنى كما ذكر في القول المار(الواحد القهار) متنبأ إلى أنّها قيدت معنى الآيتين محل تفسيره، معطياً للآيتين بمجموعهما مدلولا واحدا على وفق نظرته لسياقهما ولما تضمناهُ من إشاراتٍ نصية ظاهرة وذلك ما أشار إليه ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة من أن السياق (هو استخدام عدد من العناصر الأكثر

(1) معايير تحليل الأسلوب: 56.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 11: 80.

ألفه)[1]. وعلى هذا تظهر السلطة للسياق في إظهار وإبراز المعاني والدلالات من طريق وقوفه على العناصر اللسانية ونوع العلاقات بينها واتساق معاني التراكيب في الوصول إلى دلالة عامة للنص.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "تشتمل السورة على الكلام بشأن استهزاء الكفار بالنبي (صلى الله عليه وآله) ورميه بالجنون ورمي القرآن الكريم بأنه من أهذار المجانين"[2]، عند تتبع نص معين واجتزاء بعضه لدلالته على معنى معين ذلك يعطي فهما أنّ القارئ لذلك النص تعامل معه على وفق السياق حتى توصل إلى أنّ هذا البعض المجتزأ يعطي دلالة بمفردة ويعطي دلالة أخرى مع النص برمته وهذا ما يفهم من القول المار وقت قال: (تشتمل السورة) ولا يخفى على دارس أنّ الاشتمال لا يعني الكلية إذ أن السورة قد تشتمل أيضا على معنى آخر غير ما اشتملت عليه في المرة الأولى، والدليل إلى ذلك تتمة القول، إذ بين أنّ السورة مشتملة على شيئين اثنين، أوّلهما: الاستهزاء بالنبي، وثانيهما: رمي القرآن الكريم بأنّه من هذار المجانين، وهذا ما يؤيد ما بيّناه آنفاً، وربّ سائل يسأل ما علاقة ذلك بالسياق؟ وللإجابة نقول: إنّ ما دله على أنّ هذه الآيات المجتزأة من النص برمته ما دله إليها إلّا السياق، إذ أنّها حملت معنى مغايراً أو مشيراً إلى المعنى العام للنص، ولعل ما أوقفه على ذلك هو انقطاع السياق العام إلى سياق أكثر خصوصية وهذا ما أشار إليه ريفاتير فيما ذكره من التضاد الأسلوبي القاطع لسياقه[3] وهنا يمكن القول أن المنهجية المتبعة في هذا هي منهجية أسلوبية بنيويّة بعفو الخاطر لا بقصده.

(1) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 12: 206.

(3) معايير تحليل الأسلوب: 56.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "والمعنيان لا بأس بهما لولا أن السياق لا يلائمهما كل الملائمة، وثانيهما أقرب إليه من أولهما"[1]، أن تجعل السياق عصبا في فهم النص والموازنة بين معاني آياته ذلك تصريحٌ بأن المنهجية المتبعة في التعامل مع النص هي منهجية تتكأ كل الاتكاء بل تقومُ على حاكمية ذلك السياق في الوقوف على المقاصد والمعاني، فضلا عن قصد المتكلم، إذ أن ذكرُ معنيين لآية واحدة ومن ثم رفض هذين المعنيين؛ لأنهما لا يلائمان السياق ذلك إيذانٌ بأن السياق منهج في الدراسة في التعامل مع النص وهذا ما جاء به ريفاتير في حديثه عن السياق والمعاني الأكثر ألفة المكونة له[2]، وهذا ما سار عليه الكاتب في تعامله مع النصوص.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "وذكر في معنى الآية وجوه أخر غير منطبقة على السياق رأينا الصفح عن ذكرها أولى"[3]، إن جعل السياق هو الحاكم على معنى النص وإظهار دلالته يفرضُ على الكاتبِ أن يقصي كل معنى خارج عن ذلك السياق، فإن ورد معنى مقبولاً إلّا أنّه غير موافق لسياق النص فإن الناظر لذلك النص على وفق معناه السياقي سيرفض ذلك المعنى؛ لأن المنهج فرض عليه ذلك من دون قصد لتشربه إياه، ثم إنه لو ورد لنص معين أكثر من معنى من أكثر من مورد للتفسير، وفيها أغلبية غير موافقة للسياق وأقلية وليكن رأياً واحدا قد وافق السياق إلّا أنّه أعطى قشور المعنى لا نواته، فإن المشتغل على وفق السياق سيرجح ذلك المعنى القشري تاركاً نواته، وهذا ديدن الباحث الأسلوبي البنيوي المحكم

(1) الميزان في تفسير القرآن، 13: 57.

(2) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 14: 343.

للسياق[1] في الوقوف على دلالات النصوص ومعانيها لأن المنهج قد فرض عليه ذلك بالتشرب لا بالقصد.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "تحكي الآياتُ اعتراضا آخر من المشركين على رسالة الرسول"[2]، إنّ جمع عدد من الآيات في الوقوف على معنى واحد ذلك يدلُ على أن النظرة إلى تلك الآيات كانت على وفق ما أظهره سياقها من معنى إذ لو اختلف سياق آية عن أخرى لاستشعر الكاتب ذلك الاختلاف متوقفا عنده لذلك صرح بقوله: (تحكي الآياتُ) جامعا إياها تحت غرضٍ واحد وحكاية واحدةٍ وقصداً واحد مستندا في هذا الجمع للآيات إلى وحدة السياق الدالة على ذلك المعنى، وهذا يطابقُ ما جاء به ريفاتير من أنّ في الأسلوبية البنيويّة للسياق حاكميةٌ[3] في إظهار الدلالة داخل النص، بل وله السلطة في إضفاء المعاني على العناصر اللسانية المكونة لسياقه شريطة تآلفها.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "تتضمن السورة تفاريق من المعارف والأحكام والقصص والعبر والمواعظ وفيها قصةُ غزوة الخندق وإشارة إلى قصة بني القريظة من اليهود، وسياق آياتها يشهد بأنها مما نزلت بالمدينة"[4]، أن تتبع سياق آيات نص معين من القرآن الكريم وإظهار أكثر من معنى في داخل ذلك النص ينبئ بأنّ القارئ للنص يقرأ النص على وفق ظاهرهِ لذا يتوقف عند أول معنى يواجهه ويقرر أنّ ذلك المعنى يتحدث عن ذلك الشيء المعين من ثم يذهب إلى قراءة بقية النص ويعطيه معنى آخر وهذا ما جاء به ريفاتير في ما أسماه بالتضاد الأسلوبي"[5]

---

(1) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 15: 88.

(3) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 16: 293.

(5) معايير تحليل الأسلوب: 56.

أي أن في نص واحد أكثر من سياق يعطي المعنى وضده، من ثم السير مع النص والحكم عليه بمجمله وفقاً لسياق آياته أنّه نص مدني قد نزل في المدينة ذلك ينبئ أنّ القارئ قد سبر أغوار علم أسباب النزول فضلا عن نوع خطاب الآيات حتى استدل على أنّ هذه السورة مدنية من سياق آياتها وتلك السورة مكية من سياق آياتها أيضا، إذ أنّه جعل من السياق حكما في الفصل بين نزول النصوص في المدينة ومكة وبتأمل ذلك وما جاء به ريفاتير تظهر سلطة السياق[1] في إظهار الدلالات ومتعلقات النصوص في الوقوف على مقاصدها.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "بيان تلخيصي للمعاني السابقة في سياق آخر ففيه تهديدٌ لهم بالعذاب"[2]. إنّ مقارنة نصين مفترقين ومحاولة الربط بينهما من طريق سياقهما في الوقوف على الدلالات المتحصلة منهما ذلك ينبئ أن القارئ المتعامل مع هذين النصين وقف عند كليهما وقفة سياقية أي نظر اليهما بنظرة عامة على وفق ظاهر المعنى وحكم أنّ هذين النصين تعالقا في موضوع واحد سواء أ كان ذلك لمعنى التعالق بينهما في الإيجاب أم في السلب أم في التضاد بين أسلوبيهما، إذ أنّ السياق له كامل السلطة[3] في إظهار المقاصد على وفق منهج الأسلوبية البنيويّة الذي نادى به ريفاتير وكان خيرُ بل أفضل من نضجت عنده هذه المنهجية هو صاحب الميزان، لذا تجد للسياق أثر فاعل في إظهار دلالات النصوص.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "وثان التفسيرين أوفق لسياق الآيات التالية وخاصة ما يأمر المؤمنين بقتلهم وأسرهم وغيرهم"[4]، يبدو من القول المار أن السياق وسلطته على النص تأخذ بزمام المعنى في إظهار الأحكام الشرعية والآثار المترتبة

(1) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 17: 48.

(3) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 17: 271.

عليها ومن هذا يستشفُ خطورة حاكمية السياق على النص إذ لو كان المتأمل لسياق آيةٍ قاصرا عن فهم مداليله والوقوف على حقيقة مقاصده غير عارف بحدوده الشرعية الواقعية الخارج نصية أي ما يترتب عليه في الخارج، سيذهب بالمعنى إلى غير ما أراد الله ولو كان ذا دراية ومعرفة عاليين كما صاحب الميزان، فإنّه قد يبين ولو بعض ما لمعنى تلك الآيات أو وجها من وجوهها فلا بد من المشتغل على السياق أن يكون ذا إحاطة بعلوم كثيرة منها: الفقه، علوم القرآن، اللغة العربية وآدابها، وما إلى ذلك من العلوم التي لها مساس بالنص الكريم ودلالاته فضلا عن أن يكون عارفاً بما ورد عن آل محمد عليهم السلام وترجيحه إياه على أي معنى آخر ولو كان المعنى الوارد عنهم عليهم السلام غير موافق لما يظهره السياق، فإنّ ما جاء بالقول المار ذكره للكاتب (وثان التفسيرين أوفق لسياق الآيات التالية) يدلُ على أن الترجيح لأجد التفسيرين جاء على وفق حاكمية السياق وهذا يساوق ما جاء به ريفاتير من أن للسياق السلطة الكاملة في إظهار المعاني والوقوف على دلالات النصوص[1]، على وفق المنهجية الأسلوبية البنيويّة.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "غرض السورة هو الحث البالغ على الاهتمام بصلاة الجمعة والقيام بواجب أمرها"[2]، مرّ الذكرُ أنّ للآيات معانٍ يترتب عليها أحكام شرعيةً فضلا عن أن كثير منها يترتب عليها حدود لذلك أن يحتكم إلى السياق فقط غير مسلم بأن ذلك يقودُ إلى دقة المعنى وحقيقة القصد الإلهي إلا أن المشتغل على وفق منهج الأسلوبية البنيويّة، وإن كان عفو خاطره فإنّ ذلك المنهج يفرض عليه أن يسلم إلى ما يدله إليه السياق من معنى وعلى هذا تظهر السلطة الواضحة لذلك السياق في استنباط المعاني والدلالات التي يتدبرها المشتغل على

(1) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 19: 129.

وفق هذا النص بما يؤهله مما اكتنزه من علوم، لذا تجد الكاتب منذ أول كلامه قد أصدر حكما على وفق سياق السورة أنّ الغرض منها الحثُّ على صلاة الجمعة وهذا نتاج النظرة السياقية للنص، ولعل ذلك غير مفترق عمّا جاء به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة من أنّ للسياق سلطته[1] في إظهار المعاني وإيضاح الدلالات والوقوف على المقاصد.

ومن حاكمية السياق أيضا قوله: "السورُ تحتملُ المكيّة والمدنية وسياق آياتها أوفق للمدنية"[2]، واضح الأثر الفاعل للسياق في الحكم على الآيات والسور إذ أنّ من طريقه يرجح الكاتب بيّن هل أن هذه السورة مكية أم مدنية؟ ثمّ يخلص إلى أن سياق آياتها أوفق للمدنية وهذا حكمٌ ساعده في إطلاقه سياق آيات السورة، وذلك لما مارسه السياق من سلطة على النص[3]، وهذا غير مفترق عمّا نادى به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة من أن السياق له الحاكمية على النص، بل هو المتحكم بالدلالة.

ومن ذلك كله نخلص إلى أن السياق وسلطته على النص تأخذ بزمام المعنى في إظهار الأحكام الشرعية والآثار المترتبة عليها ومن هذا يستشفُ خطورة حاكمية السياق على النص إذ لو كان المتأمل لسياق آيةٍ قاصرا عن فهم مداليله والوقوف على حقيقة مقاصده غير عارف بحدوده الشرعية الواقعية الخارج نصية أي ما يترتب عليه في الخارج، سيذهب بالمعنى إلى غير ما أراد الله ولو كان ذا دراية ومعرفة عاليين كما صاحب الميزان فأنه قد يبيّن ولو بعض ما لمعنى تلك الآيات أو وجه من وجوهها فلا بد من المشتغل على السياق أن يكون ذا إحاطة بعلوم كثيرة منها: الفقه، علوم القرآن، اللغة العربية وآدابها، وما إلى ذلك من العلوم التي لها مساس بالنص الكريم ودلالاته فضلا عن أن يكون عارفاً بما ورد عن آل محمد عليهم السلام وترجيحه

(1) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 20: 354.

(3) معايير تحليل الأسلوب: 42.

إياه على أي معنى آخر ولو كان المعنى الوارد عنهم عليهم السلام غير موافق لما يظهره السياق.

المبحث الثّاني

هيمنة القارئ العمدة

لأننا إزاء منهج اتبع في تأليف كتابٍ له مساس بكتاب الله بل متنُ دراسته أقدس كتاب في الوجود، إذن لا بد من أن يكون للمنهج انتشار واضح بين صفحات هذا الكتاب أي(تفسير الميزان) لذا حمل هذا المبحث عنوان هيمنة القارئ العمدة، وإنّما سيردُ من تطبيقات في هذا المبحث إنّما هي لإيضاح المنهج لا الحصر، فلو أردنا إحصائها لوجدنا أن لها هيمنة حقيقية في هذا التفسير وتكاد لا تخلو صفحة منه من مثال لهذا التطبيق، إذ يقول: "أقول:" قد ظهر مما مرّ وجه عموم الرحمن للمؤمنين والكافرين واختصاص الرحيم بالمؤمن"[1]، وبتأمل القول المار من وجهة نظر أسلوبية بنيويّة تجد أن الكاتب صرح في بداية كلامه، بقوله: (أقول) على أنه قارئ نموذجي للنص إذ أبدى رأيهُ الخاص بالمسألة على وفق معطيات النص ومناقشته لآراء العلماء فضلا عن ذكره للروايات الواردة عن آل البيت عليهم السلام، ثمّ الانتهاء بالوقوف عند الرأي الذي خلص إليه من مناقشة ذلك كله، فالأسلوبية البنيويّة تنظر إلى هذه الآلية على أنها أهم وأبين آلياتها إذ أنّها تعطي السلطة الكاملة للكاتب على أن يكون هو القارئ العمدة للنص[2]، أي صاحب السلطة التفسيرية له.

وقال في موضع آخر: "أقول: وما في الرواية من معنى الجنف يظهر معنى قوله تعالى فأصلح بينهم، فالمراد الإصلاح بين الورثة لوقوع النزاع بينهم من جهة جنف الموصي"[3]، جليٌ في القول المار أن الكاتب جعل من نفسه قارئا عمدة للنص متكأ في ذلك على ما تحصله من علوم أهلته إلى أن يقف عند معنى كلمة (جنف)[4]، جاعلا إياها عصب فهم لآية كريمة على وفق تحكيمه لسياق الآية برمته

(1) الميزان في تفسير القرآن، 1: 14.

(2) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 2: 191.

(4) الجنف: الميل في الكلام. لسان العرب، ابن منضور(ت711هـ)، دار صادر – بيروت – لبنان، ط 3، 1414هـ: مادة جَ نَ فَ.

وتأثير العنصر اللساني المذكور في إعطاء الدلالة المرادة من النص على وفق ذلك كله يكون الكاتب هو القارئ العمدة للنص[1] لما وصل إليه من نتيجة للوقوف على مقصدية النص.

ومن التطبيقات أيضا قوله:" أقول: ويروي هذا المعنى السيوطي في الدر المنثور، عن أبي إسحاق وأبي جرير، وابن المنذر عن محمد بن جعفر، بن الزبير، وعن ابن إسحاق عن محمد بن سهل بن أبي إمامة"[2]. إنّ اتخاذ رأي أحد العلماء ومساوقته بالاحتكام إلى سلسلة سند ذلك القول وتأييد ما جاء فيها والركون إلى صفها وموافقتها ذلك ينبئ من وجهة نظر أسلوبية بنيويّة، إنّ الكاتب ومن وافقهم كانوا هم القارئ العمدة[3] لذلك النص، وهذا جليٌ فيما مرّ من قول للكاتب إذ أنّه صرح في بداية كلامه، قوله (أقول) وهذه إشارة نصية أسلوبية بنيويّة واضحة.

كذلك من الأقوال التي تظهر هيمنة القارئ العمدة قوله:" أقول اختلاف الروايات مستند إلى ما تقدم من إطلاق الأوامر"[4]، إن أخذ صلاحية الحكم على النصوص وترجيح بعضها على الآخر فضلا عن البت بمواضع خلاف بين مجموعة من الروايات والركون إلى السبب الأساس في اختلافها وإيضاحه ناتجٌ عن أن الكاتب كان قارئا نموذجيا للنص بل هو القارئ العمدة[5] كما صرح ريفاتير لذلك النص، متخذا من تصريحه بقول (أقول) مفتاحَ ولوج للنص وإثبات أحقية أن يكون هو القارئ النموذجي للنص.

---

(1) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 3: 10.

(3)معايير تحليل الأسلوب: 42.

(4)الميزان في تفسير القرآن ، 4: 226.

(5) معايير تحليل الأسلوب: 42.

ومن التطبيقات أيضا قوله: "أقول: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: وإن صلوا الخ كناية عن وجوب كمال الاتباع"[1]، إنّ تمكن الكاتب من البلاغة العربية وعلومها أهله إلى أن يفهم حديث النبي (صلى الله عليه وآله) فهما بلاغياً كنائياً متوسلاً به إلى المعنى المراد من النص على هذا فأن اكتنازه للعلوم أهله أن يكون هو القارئ العمدة[2] للنص في أن يبين المعاني والمقاصد من النصوص التي يحاول الوقوف على معانيها وما يرشدنا إلى ذلك قوله(أقول) وهذا تصريح بيين على أنه هو القارئ العمدة على وفق المنهجية الأسلوبية البنيويّة.

ومن التطبيقات أيضا قوله: "أقول: والرواية تشاكل ذيل الرواية الأولى التي أوردناها في صدر البحث غير أنها لا تنطبقُ على ظاهر الآية فإن الحلف على ترك واجب أو مباح لا يخلو من عقدٍ عليه"[3]، عندما يكون الكاتب على مستوى من الوعي والعلم والاطلاع بالمرويات التي جاءت مفسرة لآيات القرآن الكريم تصبح لديه المَلكة والمؤهل العلمي الكافي بأن يرجحَ بين رواية وأخرى، وأن يقبلَ رواية دون أخرى وأن يعالقَ بين رواية وأخرى وهذا ما نراهُ في القول المار ذكره، فلِسعَةِ علم الكاتب ومَلكَتِه العالية واطلاعه الواسع، فضلا عن المؤهلات الأخرى الكافية التي اكتنزها على وفق منظور علمي فلسفي لغوي روائي حديثي كل ذلك أهله أن يكون قارئاً عمدة للنص[4] على وفق النظرة الأسلوبية البنيويّة والدليل إلى ذلك قوله: (أقول) وعلى هذا يظهرُ هيمنة القارئ العمدة في المنهج.

(1) الميزان في تفسير القرآن، 5: 10.

(2) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 6: 225.

(4) معايير تحليل الأسلوب: 42.

من تطبيقاته أيضا قوله: "أقول وقد غلط بعضٌ من في طريق الرواية فعكس المعنى وفسر كلّ من المسمى وغيره بمعنى الآخر"[1]، أن تجعل نفسك محاكما لمن نقل الرواية ثم تبيّنُ خطأ نقله إياها وعكسه المعنى المراد منها مبيناً موضع الاختلاف والخطأ مصوبا إياهُ على وفق فهمٍ خاص للرواية ذلك كله نتاج سعة علم واكتناز معارف أهلتك أن تكون قارئا عمدةً للنص[2] على وفق نظرةٍ أسلوبية بنيويّة وخير ما يدل على ذلك قوله (أقول) فأن تبني تصويب الرواية ثم ترجيح معنى جديد لها ذلك نتاج سلطة على ذلك العلم متأتٍ من اطلاع واسع فيه.

من تطبيقات الأسلوبية البنيويّة لديه قوله: "أقول: وفيها تعميم الأمر بالسجدة لجنود إبليس كما يعم نفسه، وفي تأييد ما تقدم أن آدم إنما جعل مثالاً يمثل به الإنسانية من غير خصوصية في شخصه، وإنما مرجع القصة إلى التكوين"[3]، أن تقفَ على مقاصد الرواية متخذا منها دليلا في تفسير نصوص القرآن الكريم محكما في ذلك الإمكانات الذاتية التي اكتسبت من مراحل كثيرة مرّتْ بها علمية ومعرفية ازددتَ بها من العلوم ما جعل منك مؤهلاً أن تكونَ لك السلطة على سبر أغوار الروايات والوقوف على مقاصدها وجعلها دليلاً على تفسير آي القرآن الكريم، وإيضاح معانيه ودلالته على وفق منظور أسلوبي بنيوي ذلك أهلك أن تكون قارئاً عمدةً للنص، وإنّما يدل على أنّ الكاتبَ هو القارئ العمدة للنص[4] تصريحه بقوله: (أقول) وهذه إشارة واضحة على وفق منهج الأسلوبية البنيويّة على أن الكاتبَ سار على هذا المنهج باتساق، ولا أجزم بقصدية هذا المسير وإتباع هذا المنهج إنّما جاء عفو الخاطر.

---

(1) الميزان في تفسير القرآن، 7: 10.

(2) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 8: 213.

(4) معايير تحليل الأسلوب: 42.

من تطبيقات القارئ العمدة[1] فيه أيضا قوله: "أقول: وفي هذه المعاني روايات أخر، وخاصة في الخيل، والرمي، والروايات على أي حال من باب عدِّ المصاديق"[2]، إنّ التصريح في بداية الكلام بقوله: (أقول) ذلك إثبات واضح ودليل جلي على أن المنهجية المتبعة في التعامل مع النصوص والروايات والأحاديث هي منهجية أسلوبية بنيويّة، وإن كانت عفو الخاطر دون قصد، ثم إنّ الاتكاء على إظهار المعاني وترجيحها والإتيان بالشواهد اللغوية والروائية والأحداث الخارج نصية لتعضيد المعنى، ما هي إلا تأكيد واضح على المنهج المذكور آنفاً، وهذا كله يُأهل الكاتب على أن يكون هو القارئ العمدة للنص فضلا عن تصريحه المذكور في بداية الكلام.

من التطبيقات قوله: "أقول: والرواية على طولها غير متعلقة بالتفسير غير أنّا أوردناها لتكونَ كالأنموذج من روايات كثيرة وردت في هذه المعاني من طريق الشيعة وأهل السنة ولتكن عوناً لفهم قصص الآيات من طريق الروايات"[3]، إنّ تدعيم الرأي بما هو خارج النص لزيادةٍ في رصانته أو لإيضاح غموض يكتنفه بالانطلاق من سلطة الذاتية على النص يمارسها الكاتب في إضفاء المعاني والدلالات على النصوص لإيضاح معنى بعيد أو للوقوف على معنى قريب ذلك تصريحٌ بأن المنهج المتبع هو منهج أسلوبي بنيوي يدلُ عليه اتخاذ سلطة القارئ العمدة[4] في التعامل مع النصوص بقرينة قوله: (أقول) مخولة إياهُ سبر أغوار الروايات وترجيح أحدها على الأخرى بل والإتيان بروايات تكونُ نماذجاً لتفسيرات قرآنية كثيرة.

---

(1) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 9: 58.

(3) المصدر نفسه، 10: 279.

(4) معايير تحليل الأسلوب: 42.

من تطبيقات القارئ العمدة[1] قوله: "أقول: وللحديث ذيل سنورده في البحث الروائي التالي أن شاء الله تعالى وفيه نكات ربما لم تلائم ظاهر ما تقدم من بيان الآيات لكنها ترتفعُ بأدنى تأمل"[2]، التعاملُ مع النصوص وتجزئتها على وفق حاجة النص، وإبانة معانيه يحتاجُ من المتعامل مع الرواية معرفة بالرواية نفسها وبعلم الحديث فضلا عن علوم اللغة العربية وعلم الرجال كلّ ذلك يجعل منه مؤهلاً لأن يجتزأ من الرواية أو الحديث ما يتوافق والحاجة لتفسير آيةٍ والوقوف على معناها، وكلّ هذه المكتنزات العلمية جعلت من الكاتب قارئاً نموذجياً للنص على وفق منظور الأسلوبية البنيويّة؛ لأنه تحلى بمؤهلاتٍ جعلت له ردودا فعّالا تجاه الروايات والأحاديث التي مرّ عليها قارئاً، والسبيل إلى إثبات ذلكَ تصريحهُ بقوله: (أقول) على وفق النظرة الأسلوبية البنيويّة.

من تطبيقات القارئ العمدة، قوله: "أقول: ورواه القمي أيضا في تفسيره، وفيه دلالة على حدوث الجبال وكذا النباتُ بعد تمام خلقة الأرض"[3]، إن انتخابَ رواية لتمتعها بدلالة يراها الكاتب تتوافقُ ومعنى يجده هو أيضا بتدبره هو للقرآن مفسرة له معضداً ذلك الانتخاب برأي من سبقه من العلماء والركون إلى ذلك الرأي، هذا يعني من وجه نظر أسلوبية بنيويّة، إنّه ومن انتخبه من العلماء كانا يمثلان القارئ العمدة[4] لذلك النص لتمكنهما من اكتشاف ذلك التعالق الدلالي بين الحديث والمعنى الذي توصلا إليه للآية، وسبيل تأكيد ذلك إفصاح الكاتب بقولهِ: (أقول) وقوله أيضا: (ورواه القمي) إذ أنّه والقمي هما القارئ النموذجي لهذه الرواية.

---

(1) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 11: 52.

(3) المصدر نفسه، 12: 205.

(4) معايير تحليل الأسلوب: 42.

من تطبيقات القارئ العمدة[1] قوله: "أقول: قد ظهر مما قدمناهُ في معنى تسبيح الأشياء الارتباط المشار إليه في الرواية بين تسبيح كلّ شيء وبينَ رزقه، فإنّ الرزق يقدر بالحاجة والسؤال وكلّ شيء، إنّما يسبح الله تعالى بالإشارة بإظهار حاجته ونقصه إلى تنزهه تعالى من ذلك"[2]، إنّ مناقشة نصٍ والانتهاء بنتيجةٍ تفضي إلى معنى جديد بالاعتماد على السياق والتعالق بين نص وآخر، أو الركون إلى اعتماد منهجية أن يتكأ نص على نص أو يكون نص معين سبباً في نتيجة نصٍ آخر، أي أن الكاتبَ يعتمدُ السياق دون الخروج عن النص في أن يعطي نتيجةً على وفق ما اكتنزه من معارفً تؤهله إلى أن يحاكم ذلك النص فهذا يخبرُ بصدق منهجي عالي على أن المنهجية المتبعة في التعامل مع النص هي منهجية أسلوبية بنيويّة، فضلا عن أن الكاتب هو القارئ العمدة لذلك النص على وفق ما قال ريفاتير والسبيل والدليل على ذلك إفصاح الكاتب لقوله: (أقول) وتبنيه للرأي وترجيحه لمعنى على معنى آخر.

من تطبيقات القارئ العمدة[3]، قوله: "أقول: وهو يؤيد ما قدمناه"[4]، أن تطرح رأيا مفسراً به آيةً معينة ثم تأتي برأي آخر وتعطفه عليه تعضيداً له متبعاً في ذلك منهجاً أسلوبياً بنيويا مصرحاً به بالقول: (أقول) ذلك إخبارٌ واعتدادٌ بأن الكاتب هو ذاته القارئ العمدة للنص والدليل على ذلك الإفصاح والإخبار المار ذكرهُ في القول المذكور.

(1) معايير تحليل الأسلوب: 42

(2) الميزان في تفسير القرآن، 13: 52.

(3) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 14: 274.

من تطبيقات القارئ العمدة، قوله:" أقول: والأخبارُ في هذه المعاني كثيرة جداً"[1]، إنّ سعة الاطلاع والمستوى العلمي العالي واكتناز أكثر من علم يؤهلنَ الكاتب إلى أن يكون قارئا نموذجياً للنص جاعلاً من نفسه ميزاناً لقبول أو رد الأخبار والروايات أو صَفِّها على وفق المعنى بصفوف دلالية متقاربة متعالقة، وإنّما اتبع من منهجية في التعامل في هذا النص كانت على وفق المنهج الأسلوبي البنيوي والدليل إلى ذلك قوله: (أقول) أي أنّه أفصح عن نفسه قارئاً عمدةً للنص[2].

من تطبيقات القارئ العمدة[3]، قوله: "أقول ذيل الرواية تفسيرٌ لصدرها وقوله: أي إلى رحمة ربّه"[4]، مرّ في كلام سابق أثر اكتساب العلوم في شخصية الكاتب ومعرفته وإلى ماذا تؤهله حتى أنّها بلغت في هذا القول أن دلت الكاتب من طريق سياق الرواية بدليل قوله: (ذيل الرواية) وقوله: (تفسير لصدرها) ذلك أنّه تتبع سياقها من صدرها إلى ذيلها مكتشفاً ما يسمى في الشعر –إن صح القول– ردّ الأعجاز على الصدور لسعة معرفة الكاتب بالبلاغة العربية وما ذلك إلّا مصداق أن المنهجية المتبعة في التعامل مع الرواية كانت منهجية أسلوبية بنيويّة فضلا عن أن الكاتب صرح بكلامه أنه القارئ العمدة للنص عفو الخاطر لا بقصد بقوله: (أقول) أي له السلطة على النص في سبر أغوار معانيه.

من تطبيقات القارئ العمدة، قوله: "أقول: ورواه أيضا عن البخاري في تأريخه عن ابن عباس عنه (صل الله عليه وآله) ولفظه: الصديقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب آل ياسين وعلي بن ابي طالب. في المجمع، عن تفسير الثعلبي بالإسناد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن النبي (صل الله عليه وآله)

(1) المصدر السابق، 15: 108.

(2) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(3) المصدر نفسه: 42.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 16: 292.

قال: سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون وعليٌ أفضلهم"[1]، إنّ التثبتَ من كلامٍ بالاعتماد على الناقل له في تصويبه وصحته من بطلانه والاتكاء على لفظه الصريح ذلك فيه إشارتان الأولى خارج نصية أي اعتماد سلسلة السند، والأخرى نصية أي اعتماد اللفظ الصريح للقول ثم إعطاء المعنى و تحكيم رواية أخرى في دحض سابقتها أي اعتماد السياق بسلسلة سند أخرى ورواية للحديث من طريق آخر بلفظ مغاير أي أن الكاتب ها هنا حكم السياق واختلافه بين الروايتين لإظهار ما يراه صائباً لكونه هو القارئ العمدة للنص[2] بتصريحه في قوله: (أقول) وإيضاح المنهج المتبع في التعامل مع النص.

من تطبيقات القارئ العمدة، قوله:" أقول: والخبر كما ترى يجعل الآية من كلام الملائكة الحفظة"[3]، كما سلف القول من أن تحكيم السياق والركون إلى الروايات والأخبار في الوقوف على معاني الآيات ودلالتها إفصاحٌ ودليل على أن المنهجية المتبعة في التأليف هي المنهجية الأسلوبية البنيويّة فضلا عن أن الكاتبَ صرح بقوله: (أقول) بأنه القارئ العمدة للنص[4] على وفق ما اكتنزه من علوم ومعارف تؤهله لأن يسبر أغوار النص ومكتنزاته.

من تطبيقات القارئ العمدة، قوله: "أقول: والمعنيان جميعاً واردان في روايات أخر"[5]، مرّ البيان كثيراً في غير شاهد وتطبيق على أنّ المفاضلة وبيان المعاني للنصوص متكأ أسلوبي بنيوي يستعين به الكاتب للتمييز بين معنى وآخر أو

(1) المصدر السابق، 17: 38.

(2) معايير تحليل الأسلوب: 42.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 18: 254.

(4) معايير تحليل الأسلوب: 42

(5) الميزان في تفسير القرآن، 19: 64.

للاستدلال والمقاربة بين معنيين متعالقين وسبيله إلى ذلك السياق وما ينتجه من دلالات للألفاظ والتراكيب، وهذا صميم الأسلوبية البنيويّة فضلا عن أن الكاتب أعطى لنفسه أحقية أن يكون هو القارئ العمدة للنص[1] لما يتحلى به من مؤهلات تخوله بأن يقف على مفصليات النصوص مبدياً ردود أفعاله وآراءه تجاهه وعلى هذا فهو متبعٌ لمنهجية الأسلوبية البنيويّة في كتابته.

من تطبيقات القارئ العمدة، قوله: "أقول: ويروي في الدر المنثور، عن البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن عائشة: مثله"[2]، جليٌ في القول المار أن الكاتب لجأ إلى انتخاب مجموعة من الروات لإثبات صدق الكلام من عدمه، وهذا يشير إلى أنه من انتخبهم كانوا بمنزلة القارئ العمدة للنص[3]، على وفق ما ذكر ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة، والدليل إلى ذلك قوله: (أقول) أي تبنيه وإفصاحه عن مكتنزات النص بما حواه من مؤهلات سمحت له بالولوج إلى النصوص واعتماد آراء علماء آخرين وموافقتها للوقوف على الدلالات والمعاني التي يروم الوصول إليها.

من تطبيقات القارئ العمدة، قوله:" أقول: وأورد الرواية في الدر المنثور، وفيها ثمانون مكان ستون ولفظ آخرها، قال ابن عمر: فلا يتكلن أحد إلخ"[4]، إنّ منهج الأسلوبية البنيويّة يخول الكاتب أن يجمع أكثر من محدد من محدداتها أو آلية من آلياتها في سبيل أن يقف على معنى معين يروم هو الوصول إليه، فلو تأملنا القول المار للكاتب منذ بدايته وقت قال: (أقول) جعل من نفسه قارئا عمدة للنص، ثم قال: (وأورد الرواية في الدر المنثور) انتخب من يتوافق معه فيما ذهب إليه، أي

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 42.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 20: 316.

(3) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 42.

(4) الميزان في تفسير القرآن: 20: 280.

كان هو ومن انتخب قارئا عمدة للنص[1]، ثم قال: (ثمانون مكان) أي اتبع المنهجية الإحصائية لعدد مرات ورود محل شاهده في النص، ثم قال: (ستون ولفظ آخرها) ثم استثنى من الثمانين ستين على وفق محدد عنصر لساني توفر فيهن ولم يتوفر في غيرهن فمن هذا كله نخلص إلى أنّ منهج الأسلوبية البنيويّة قد تشربه الكاتب بعفو الخاطر لا بقصد مما جعله يظهر جلياً على مدى عشرين جزءا أي في التفسير برمته وإنّما ورد في هذا المبحث من تطبيقات ما هي إلّا على سبيل التوضيح لا الحصر، إذ أن التفسير يعد بما يشاكلُ هذه الأمثلة التي تثبت وبالدليل الواضح والصريح المنهج الأسلوبي البنيوي.

(1) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 42.

المبحث الثالث

فاعلية المحور الخارجي والداخلي

إن محاولة الوقوف على معاني ومداليل أي نص لا بد أن تكون هنالك علامات دالة عليه سواء أ كانت في النص ذاته أو بما يتعلق به في الخارج تعين الكاتب على الوقوف على معنى النص سواء برمته أو على جزء منه، وأما في الأسلوبية البنيويّة فلم يغفل ريفاتير عن هذه الصورة أو هذا المعنى إذ جعل من السبل التي تعين الكاتب على وفق منهج الأسلوبية البنيويّة في أن يقف على الدلالات والمعاني التي يكتنزها النص لا بد له من أن يكون مشتملاً على وفق محورين أساسين، أسماهما، الأول: المحور الداخلي: أي كل ما يكتنزه النص نفسه من علامات وإشارات سواء أ كانت لفظية أو تركيبية أو باحثة عن العلاقة بين العناصر اللسانية المكونة لسياق النص ذاته لتكون منطلقاً للوقوف على المعنى، والثاني: المحور الخارجي: وهو الاستعانة بكل ما له صلة بالنص وهو خارج النص أي الانطلاق من النص إلى الواقع في سبيل الوقوف على معاني ذلك النص، وإنّ صاحب الميزان كان بكامل الوعي والإدراك لهذين المحورين بل كان متميزا بفطرته وعلمه على ريفاتير في الاستعانة بهذين المحورين للوقوف على معاني الآيات القرآنية، فمرةً نراهُ يحَكِّم السياق برمته متكأ على عناصره اللسانية المكونة لسياقه، ونوع العلاقات التي تتفاعل بها العناصر اللسانية مع بعضها لتكون دلالة النص، وأخرى نراه يذهب إلى النص للاستعانة بالواقعة أو الحادثة أو الرواية أو سبب النزول للوقوف على معاني الآيات، وإنّ من التطبيقات التي سنقف عندها على سبيل المثال لا الحصر؛ لأن التفسير (الميزان) يعجُ بهذين المحورين وجعلهما على فقرتين في الأول تطبيقاتٌ للمحور الداخلي، وفي الفقرة الثانية تطبيقات للمحور الخارجي، كما هو آتٍ.

أ- المحور الخارجي:

ومن تطبيقاته قوله: "الإنسان البسيط في أوائل نشأته حين ما يطأ موطأ الحياة لا يرى من نفسه إلا أنه ينال من الأشياء أعيانها الخارجية من غير أن يتنبه أنّه يوسط بينه وبينها وصف العلم، وما يزال على هذا الحال حتى يصادف في بعض مواقفه الشك أو الظن، وعند ذلك يتنبه: أنّه لا ينفك في سيره الحيوي ومعاشه الدنيوي عن استعمال العلم لا سيما وهو ربما يخطئ ويغلط في تميزاته، ولا سبيل للخطأ والغلط إلى خارج الأعيان، فيتيقن عند ذلك بوجود صفة العلم (وهو الإدراك المانع من النقيض) فيه"[1]. بتأمل القول المار واتكاء الكاتب على فلسفة التعامل مع العلم والتعلم تجد أن الكاتب ارتكز على أن التعلم من أهم موارده النشأة، أي أن ما يتحصله الفرد من علم يكون نتاجاً لنشأته التي نشأها في مجتمعٍ ما، ثم يعودُ لقول أن ما اكتنزه من هذه النشأة ليس كل العلم، إنّما ظاهره معبر عن ذلك لقوله: (أعيانها الخارجية) معطياً الأولوية في التعرف على هذه الأعيان أو المظاهر الخارجية للأشياء إلى العلم، إذ يجعله وسطاً بين النشأة وتحقق العلم في ذهن الفرد، ثم يجعل من هذا العلم مسلما في داخله ما أن يعترض ذلك العلم عارض مطلقا عليه ومسميا إياه (الشك أو الظن)، أي أنّ ما يطور أو يغير مسلمات الإنسان التي قد جبل عليها منذ نشأته ونعومة أظفاره هو زرع الشك بداخله فيها، لتغيير مفاهيمه ومسلماته التي كان مؤمناً بها، ثم يخلص إلى أن العلم بعد تحقق اليقين منه يصلُ مرحلة الأدراك عند ذلك لا يكون خاضعا للخطأ أو الغلط بل ومانعاً للنقيض، من ذلك؛ لكنه يظهر أن الكاتب ما وقف عند العلم بمعناه اللغوي أو المعنى الاصطلاحي، بل ذهب إلى ما يتعلق به خارج اللغة وهو النشأة وتحصل الفرد على المفاهيم والمسلمات التي تفرضها عليه البيئة جاعلا من كلّ شيء يتحصله علما، من ثم يذهب إلى أن ما

(1) الميزان في تفسير القرآن، 1: 26.

تحصل عليه الفرد ودحض بآراء مغايرة مقنعة منطقية جعلت الشك يدبُ إلى داخله أيضا خارج نصية من أن يرى مثلا شيئا كان يراه مدا نشأته صوابا ولكنه وجد فيه ما يخالف فطرة الإنسان الصحيحة والحقّة، مما زرع فيه الشك والظن تجاههُ وبعد أن يقف على حقيقة الأمر الصادق والساطع، عند ذلك يؤول العلم إلى إدراك أي تصبح هذه الحقيقة من المدركات لا من المعلومات، وجلي في هذا كله اعتماد الكاتب على المحور الخارجي[1] الذي جاء به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة بعفو خاطره لا بقصدهِ.

ومن التطبيقات أيضا قوله: "والحبط هو بطلان العمل وسقوط تأثيره، ولم ينسب في القرآن إلا إلى العمل"[2]. إنّما أعطى للفظ الحبط معناه هو متعلقه الخارجي أي العمل كما ذكر الكاتب، ودليله الى ذلك أنّ هذا اللفظ لم يرد في القرآن الكريم إلّا وكان متعلق بعمل أي أنّ الكاتب انطلق من النص إلى خارجه للوقف على معنى هذا اللفظ أو العنصر اللساني وهذا ما جاء به ريفاتير من منهج الأسلوبية البنيويّة إذ نادى أنّ للوقوف على المعنى لا بد من الانطلاق من النص إلى الواقع الخارجي[3] لبيان الدلالة وهذا ما سار عليه الكاتب في بيان معنى(الحبط).

ومن التطبيقات أيضا قوله: "وقوله عليه السلام فمكث يدعوهم إليه لعله إشارة إلى مدة عمره على ما هو المشهور فإنه عليه السلام كان يكلمهم من المهد إلى الكهولة وكان نبيا من صباه"[4]. في القول المار يحاول الكاتب أن يبين مدة المكث ومعناه مستعينا بذلك بحوادث جرت من مثلها تكليمهم إياه وهو في المهد وحتى كهولته مشيرا إلى أنّه كان نبيا منذ صباه وعلى هذا يكون معنى المكث وهو مدة الدعوة التي دعاهم بها

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 2: 261.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 3: 97.

إلى الصلاح والإيمان به بالاستعانة بالحوادث الخارجية التي حدثت معه عليه السلام ومع أمّه مريم (عليها السلام) ولو تأملت سبيله في الوقوف على هذا المعنى تجده منطلقاً من النص إلى خارج النص أي إلى الواقع الخارجي في إظهار المعاني والدلالات وهذا ما نادى به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة في المحور الخارجي[1] للوقوف على الدلالة.

ومن التطبيقات أيضا قوله "النكاح والازدواج من السنن الاجتماعية التي لم تزل دائرة في المجتمعات الإنسانية أي مجتمع كان على ما بيدنا من تاريخ هذا النوع إلى هذا اليوم، وهو في نفسه دليل على كونه سنة فطرية"[2]، واضحٌ في القول المار اتكاء الكاتب على العادات الاجتماعية المتبعة في المجتمعات لإيضاح معنى النكاح، إذ تراه يقول: (من السنن الاجتماعية) عازيا المسألة إلى السنة الاجتماعية لا إلى المعنى اللغوي أو الاصطلاحي أي أنّه لبيان معنى النكاح ذهب من النص إلى الواقع الخارجي لبيان هذا المعنى وهذا ما أكد عليه ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة وقت تحدث عن المحور الخارجي[3] وأثره في بيان الدلالة والقصد من النص بالانطلاق من النص إلى متعلقه في الخارج أي الواقع الخارجي ومدى التعالق المبين والموضح والمماس لدلالة ذلك النص.

ومن تطبيقات المحور الخارجي أيضا قوله: "يدلُ الكتابُ كما ترى من ظاهر قوله تعالى: "أوفوا بالعقود" على الأمر بالوفاء بالعقود وهو بظاهره عام يشمل كلما يصدق عليه العقد عرفاً مما يلائم الوفاء"[4]. يحاول صاحب الميزان في النص المار ذكره إيضاح معنى الوفاء بالعقد متكأ على ظاهر الكلام آتياً بأمثلة نصية جاعلاً

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 4: 304.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 5: 71.

منها مقياساً للتعامل بل مصرح بأنها (عرف) أي أن كل متعاقدين لابد لهما من الإيفاء بالعقد، فإنّ من لوازم العقد الإيفاء به مستعينا بذلك كله وآتياً بالأمثلة الخارجية أي الخارج نصية لإيضاح قوله تعالى: (أوفوا بالعقود) ومن هذا كله نخلص إلى أن الكاتب استعان بما هو خارج النص منطلقاً من النص نفسه لإيضاح الدلالة والقصد وهذا غير مفترق عما جاء به ريفاتير في المحور الخارجي[1] من الانطلاق إلى الخارج من النص نفسه للوقوف على مقاصد النص ودلالاته.

ومن التطبيقات: "حقيقة معنى قولك: "لعمري أنّ كذا وكذا، وحياتي أن الأمر على ما أخبرته" أنّك تعلق على ما أخبرت به من الخير وتقيدهُ نوع تقييد في صدقه بعمرك وحياتك التي مكانة واحترام عندك بحيث يتلازمان في الوجود والعدم"[2]. يحاول صاحب الميزان في القول المذكور آنفا أن يقف على حقيقة اليمين وما هي الحدود التي يمكن أن تصل إليها العبارة بالتأثير على قائلها في الواقع الخارجي جراء حوادث قد تحصل متعلقة بيمينه، إن كان صادقا فخير، وإن كان كاذبا فسوء متكأ في ذلك على أقوال درج استعمالها عند عامة الناس وكان لها واقعٌ ملموس وتأثير جلي من طريق حوادث قد حصلت جاراً هذا المعنى إلى تفسير آياتٍ كريمات حوين على قسم على لسان غير الله، مبين أحكام ذلك القسم فضلا عن أنه قد بيّن ما أثر المقسوم به أي ما عقد اليمين به، أو ما يترتب على ذلك القسم، من هذا كله يظهر للقارئ أن الكاتب حتى يفسر معنى اليمين ذهب إلى ما هو خارج النص للاستعانة به في تفسير ما هو داخل النص، وهذه المنهجية بالتعامل تتوافقُ تمام التوافق مع ما جاء به ريفاتير في المحور الخارجي[3] من منهج الأسلوبية البنيويّة منادياً للوقوف على الدلالة في المحور الخارجي، لا بد من اجتماع عنصرين أساسيين هما: النص،

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 6: 264 – 265.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

والواقع الخارجي له، وعلى هذا يكون منهج صاحب الميزان القول المار أسلوبيا بنيوياً.

ومن التطبيقات أيضا:" حدثنا نعيم بن عبد الله بن تميم القرشي رضي الله عنه قال: حدثنا أبي عن حمدان بن سليمان النيشابوري عن علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام فقال له المأمون يا بن رسول الله أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال : بلى"[1]. إنّ الاستعانة بسلسلة السند فضلا عن الاستعانة بحادثة معينة للاستدلال على معنى قرآني ذلك يبين أنّ المنهج المتبع في تفسير هذا النص هو منهج أسلوبي بنيوي، إذ ترى الكاتب في القول المار حتى يستدل على صحة عصمة الأنبياء ذهب إلى رواية مبيناً أنّ صحتها متأتيةٌ ممن نقلوها أي سلسلة سند هذه الرواية وذلك بين في الأسماء الواردة في القول المار والعنعنة عنهم فضلا عن إيراده لروايةٍ عن الإمام الرضا عليه السلام يبين فيها معنى عصمة الأنبياء وهذينِ المؤشرينِ هما خارج النص، فالحادثة واقع خارجي وسلسلة السند إسناد خارجي للمعنى وهذا لا يفترق وما جاء به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة تحديدا في المحور الخارجي[2] من أن للوقوف على الدلالة المتوخاة من النص لا بد من الانطلاق أو المزج بين النص والواقع الخارجي المتعلق به والكاشف عن وجه من وجوه الدلالة.

ومن التطبيقات أيضا: "في الكافي بإسناده عن الحسين بن الحكم قال: كتبت إلى العبد الصالح أخبره أني شاك وقد قال إبراهيم: (ربِّ أرني كيف تحيي الموتى) فإني أحب أن تريني شيئا من ذلك. فكتب إليه. أن إبراهيم كان مؤمنا وأحب أن يزداد إيمانا، وأنت شاك والشاك لا خير فيه. وكتب: إنّما الشك ما لم يأت اليقين فإذا جاء

(1) الميزان في تفسير القرآن، 7: 98.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

اليقين لم يجز الشك"[1]. لو تأملت النص المار ذكره تجد أن الكاتب يحاول الوقوف على معنى الشك ومن هو الشاك وحتى يثبت ذلك المعنى جاء بشاهدٍ قرآني خارج نصي وهي قصة إبراهيم عليه السلام، وسؤاله عن إحياء الموتى والحادثة التي جرت آنذاك مبيناً أنّ سؤال إبراهيم جاء عن إيمان ويقين بأن الله هو محيي الموتى لا شك في ذلك إنّما طلب إبراهيم منه عزّ وجلّ أن يريه إحياء الموتى زيادة في الأيمان لا شكا بقدرة الله، أمّا سؤال غيره المشار إليه في النص آنفا فإنّه كان عن شك لا عن إيمان ويقين لذا يستدل الكاتب على أن معنى الشك هو نقيضٌ للإيمان من طريق النص نفسه والاستعانة بالحادثة المار ذكرها، وعلى هذا يكون منهج الكاتب في التعامل مع معنى الشك منهجٌ أسلوبي بنيوي متخذا من المحور الخارجي[2] طريقا لإيضاح ذلك المعنى ورابطا بين النص والواقع الخارجي له.

ومن التطبيقات أيضا: "تقدم في مواضع من هذا الكتاب أنّ الذي تنتجه الأبحاث العقلية أن الحوادث كما أن لها نسبة إلى أسبابها القريبة المتصلة بها كذلك لها نسبة إلى أسبابها القصوى التي هي أسباب لهذه الأسباب فالحوادث أفعال لها في عين أنّها من أفعال أسبابها القريبة المباشرة للعمل فإنّ الفعل كالحركة مثلا يتوقف على فاعله المحرك ويتوقف على محرك محركه بعين ما يتوقف على محركه، نظير العجلة المحركة للأخرى المحركة لثالثة وليست من الحركة بالعرض"[3]. ما أن تذكر في نص معين أن له سبباً خارجياً ذلك إيذانٌ منك بأنك تتبع في تعاملك في ذلك النص منهجاً أسلوبيا بنيويا لأن ذكر السبب خارج النص والاستشعار بالحوادث الخارج نصية وسحبها إلى ساحة النص ذلك هو المحور الخارجي الذي نادى به ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة من أنّك لو أردت الوقوف على

(1) الميزان في تفسير القرآن، 8: 282.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 9: 85.

دلالة النص في المحور الخارجي[1] لابد لك من الاستعانة والربط بين النص وواقعه الخارجي والقول المار يثبت هذا في أكثر من موضع من مثل قوله (أسبابه القريبة المتصلة) وقوله أيضا: (الحوادث) وقوله أيضا: (لها نسبة إلى أسبابها القصوى) وقوله أيضا: (فالحوادث أفعال) كل ذلك ينبئ أنّ الكاتب استعان بالواقع الخارجي للوقوف على دلالات النص.

ومن التطبيقات أيضا: "في آمال الشيخ، قال أخبرنا أبو عمرو قال: أخبرنا أحمد قال: حدثنا يعقوب ابن يوسف بن زياد قال: حدثنا نصر بن مزاحم، قال: حدثنا محمد بن مروان عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس"[2] إن اعتماد سلسلة السند في بيان معنى آية بحديث سواء أ كان عن إمام أو النبي أو رواية إن صحت وإن لم تصح يكفي أنّ الكاتب قد جعلها عصبا في تفسير نص قرآني ذلك ينبئ أن الكاتب اعتمد ما هو خارج النص في تفسير النص نفسه أي أن منهجه في التعامل مع النص القرآني جاء على وفق منهج الأسلوبية البنيويّة وبالتحديد على وفق المحور الخارجي[3] منه أي الانطلاق من النص إلى الواقع الخارجي، فالرواية التي يريدها الكاتب واعتماد سلسلة السند في صحتها ذلك كله خارج النص وما هدى به إلى اختيار تلك الرواية دون غيرها هو النص نفسه وعلى ذلك يكون قد طبق آلية المحور الخارجي في الأسلوبية البنيويّة.

ب- **المحور الداخلي:**

من ذلك قوله: "إن الذين كفروا، هؤلاء قوم ثبتوا على الكفر وتمكن الجحود من قلوبهم، ويدل عليه وصف حالهم بمساواة الإنذار وعدمه فيهم، ولا يبعد أن يكون المراد من هؤلاء الذين كفروا هم الكفار من صناديد قريش وكبراء مكة الذين عاندوا

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 10: 219.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

ولجوا في أمر الدين ولم يألوا جهدا في ذلك ولم يؤمنوا حتى أفناهم الله عن آخرهم في بدر وغيره"[1]. بإنعام النظر في النص السالف الذكر تجد الكاتب يحاول الوقوف على معنى الذين كفروا متخذاً منه السياق الذي وردت فيه اللفظة فضلا عن اعتماده لعناصر لسانية أخرى داخل النص سبيلا لبيان من هؤلاء الذين كفروا؟ ليعود ويقول أن هؤلاء الذين كفروا هم صناديد قريش وكبراء مكة متكأ في ذلك على العناصر اللسانية المكونة لسياق الآية نوعية العلاقات بينها المؤدية إلى المعنى المذكور فضلا عن اعتماده الحوادث الخارج نصية لإيضاح ذلك وبيان معانيه، وهذا ما أسماه ريفاتير بالمحور الداخلي أي الوقوف على دلالة النص من طريق تفاعل عناصره اللسانية.

ومنه أيضا قوله: "كتب عليكم القتال وهو كره لكم، الكتابة كما مّر مرارا ظاهرة في الفرض إذا كان الكلام مسوقا لبيان التشريع، وفي القضاء الحتم إذا كان في التكوين فالآية تدل على فرض القتال على كافة المؤمنين لكون الخطاب متوجها إليهم إلا من أخرجه الدليل"[2]، ترى الكاتب في القول المارّ ذكره يحاولُ الوقوف على معنى لفظ كتاب متخذاً من النص نفسه وعناصره المكونة له سبيلاً للوقوف على معنى هذا اللفظ من طريق العلاقات بين هذا العنصر اللساني والعناصر اللسانية الأخرى متصلة به سابقاً ولاحقاً إذ تراهُ يعطي للفظ [الكره] معنى الفرض ومن ذلك تكون الكتابةُ الأمر الصريح الحتمي بذلك الفرض شريطة أن يكون الموجه إليه الخطاب مؤمن به وإلا لما توافر ذلك المعنى من ذلك نخلص إلى أن الكاتب اعتمد المحور الداخلي من منهج الأسلوبية البنيويّة للوقوف على معاني عناصره والفاظه

(1) الميزان في تفسير القرآن، 27: 1.

(2) المصدر نفسه، 2: 261.

المكونة له، مشترطاً أو معتمداً على العلاقات بين تلك العناصر اللسانية المكونة لسياق الآية في إظهار المعنى.

ومن التطبيقات أيضا قوله: "وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك الجملة معطوفة على قوله إذ قالت امرأة عمران فتكون شرحا مثله لاصطفاء آل عمران المشتمل عليه قوله تعالى إن الله اصطفى"[1]. ترى الكاتب في القول المار لم يخرج خارج حدود النص ذاته بل جاء بنص آخر من القرآن الكريم حتى يوضح معنى النص الأول متوقفا عند لفظ الاصطفاء في كلا الآيتين مستعينا بهما لبيان معنى ذلك اللفظ والوقوف على القصد المراد منه، مصرحا بأن الآية الثانية جاءت شرحا للآية الأولى من أن الاصطفاء والاختيار وعلى ذلك يتضح المنهج الذي اتبعه في التعامل مع النص المار في بيان معنى عنصر لساني بعدم الخروج خارج النص أي اعتمد على تفاعل العناصر اللسانية ونوع العلاقات بينها في إظهار المعنى من طريق إيراد أمثلة ونماذج مقاربة إلى سياق الآية التي كان في صدد شرحها وتفسيرها وعلى هذا يتبيّن المنهج الأسلوبي البنيوي في تفسيره غير مفترق عما جاء به ريفاتير في المحور الداخلي[2] من أن الدلالة في النص معتمدة على تفاعل عناصره في إنتاج المعنى.

ومن التطبيقات أيضا قوله "رجوع إلى أمر النساء بذكر بعض آخر مما يتعلق بهن والآيات مع ذلك مشتملة على قوله وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً فإنه أصل قرآني لحياة المرأة الاجتماعية"[3] لو تأملت النص المار ذكره تجد أن الكاتب لا يغادر النص إلى خارجه ويتكأ على المعاني التي يفرزها النص نفسه بالاستشهاد بآيات أخر لتعضيد المعنى الذي يراهُ

(1) الميزان في تفسير القرآن، 3: 85.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 4: 279.

على وفق ما تحصله من علوم تؤهله إلى تفسير النص وسبر أغواره وبتأمله وتدبره في النص أيضا غير مستعين بما هو خارج النص نفسه بالاتكاء على العناصر المكونة لسياقه ومدى التفاعل بينها، ونوعية العلاقات التي تحكم تلك العناصر في إنتاج المعاني والدلالات التي يحويها النص، إذ أنّ هذا يمثلُ المحور الداخلي[1] الذي جاء به ريفاتير بالأسلوبية البنيويّة من أنّ الدلالة تتحصلُ من طريق النص نفسه بالاعتماد على العناصر اللسانية المكونة له فضلا عن نوع العلاقات بينها ومدى تفاعل كل عنصر لساني مع سابقه ولاحقه.

ومن التطبيقات أيضا قوله "فيها رجوع إلى القصص السابقة بنظر كلي يلخص سنة الله في عباده وما يستتبعه الشرك في الأمم الظالمة من الهلاك في الدنيا والعذاب الخالد في الآخرة ليعتبر بذلك أهل الاعتبار"[2] أن يدور الحديثُ في فلك نص لا يغادرهُ ويعتمدُ على ما ورد فيه من قصص لإيضاح المعاني والوقوف على دلالات ذلك النص محاولاً الربط بين ما ورد في جزء منه سابق لبيان معنى جزء منه لاحق ذلك ينبئ أن المنهج المتبع في التعامل مع ذلك النص هو منهج أسلوبي بنيوي متخذا من المحور الداخلي[3] منه متكأ للوقوف على المعاني، إذ أن المحور الداخلي يؤمن بأن الدلالة متحصلة من تفاعل العناصر اللسانية المكونة لسياق النص بحاكمية نوع العلاقة بينها، وإنك تأتي بقصة قد سلف ذكرها في موضع سابق وتجعل منها شاهدا على معنى لاحق ذلك إيذان بوحدة النص برمته، وإنه غير منقطع من حيث وحدة المعنى وهذا وجه من إعجاز النص القرآني.

ومن التطبيقات أيضا قوله: "هذه هي الطائفة الثالثة من الآيات الموردة أثر ما ذكر في مفتتح السورة من استهزاء الكفار بالكتاب وبالنبي صلى الله عليه وآله

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 11: 5.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

واقتراحهم عليه آية أخرى غير القرآن وقد ذكر الله سبحانه في هذه الطائفة بدء خلقه الإنسان والجان وأمره الملائكة وإبليس إن يسجدوا له وسجودهم وأبى إبليس وهو من الجن ورجمه وإغوائه بني آدم وما قضى الله سبحانه عن ذلك من سعادة المتقين وشقاء الغاوين"[1]، سلف وأن قلنا أن تنطلق من آيةٍ لإيضاح معنى آية أخرى أو للوقف على القصد منها ذلك ينبئ بأنك غير خارج عن وحدة النص وأنك تدور في فلكه وأن التركيز على مفصلية من النص سواء أ كانت لفظا أو تركيبا والبحث عن علاقتها بسابقتها ولاحقتها وأثر تلك العلاقة بينهن في المعنى، إنّك تسير على وفق منهج أسلوبي بنيوي متخذا من المحور الداخلي[2] سبيلا لبيان المعاني والوقوف على مداليلها إذ أن المحور لداخلي يسعى كل السعي للبحث عن العلاقات المؤالفة بين العناصر اللسانية المكونة لسياق النص.

ومن التطبيقات أيضا: "رجوع بعد رجوع إلى حديث القرآن وكونه آية النبوة وما يصحبه من الرحمة والبركة وقد افتتح الكلام فيه بقوله فيما تقدم "**إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ**" ثم رجع إليه بقوله "ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا"[3] صرح الكاتب منذ أوّل ثلاث عبارات أن منهجه أسلوبي بنيوي غير خارج عن النص أبداً إذ قال: (رجوع بعد رجوع) ومتخذا للنص القرآني منطلقا لذلك الرجوع بقوله: (إلى حديث القرآن) فإنّ البحث بين أزقّة النص للوقوف على المعاني والمقاصد المرادة منه وعدم الخروج عن دائرته إلى متعلقاته الخارجية والدوران في فلكه وحده بالاعتماد على عناصره اللسانية المكونة لسياقه يعطي إيذاناً أن الكاتب يسير على وفق المحور الداخلي[4] من الأسلوبية البنيويّة في التعامل مع النص المراد تفسيره.

---

(1) الميزان في تفسير القرآن، 12: 231.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 13: 78.

(4) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

ومن التطبيقات أيضا: "الآيات تعقب الغرض السابق وتبين ثواب الذين هاجروا ثم قتلوا جهادا في سبيل الله أو ماتوا وفيها بعض التحريض على القتال والوعد بالنصر كما يدل عليه قوله "ذَلِكَ ومَن عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ "[1] الإفصاح بمعنى عام لأكثر من آية يخبر الباحث الأسلوبي البنيوي أن الكاتب بإفصاحه (الآيات تعقب الغرض السابق) اعتمد مفصلا من أهم مفصليات المنهج الأسلوبي البنيوي وهو اتكاءه على وحدة النص وإعطاء معنى لمجمل ذلك النص يخبر بأن المحور الداخلي هو المتحكم بالدلالة المتوخاة والقصد المرام الوصول إليه إذ أنك لو تأملت كلامه تجده لا يغادر النص إلى خارجه بل دائر في فلك عناصره اللسانية المشيرة إلى دلالات النص فضلا عن نوع العلاقات التي من طريقها يتمكن من الربط بين آية وأختها وهذا عين ما نادى به ريفاتير في المحور الداخلي[2] من الأسلوبية البنيويّة.

ومن التطبيقات أيضا: "تتضمن الآيات افتراض طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وإنّها لا تفارق طاعة الله تعالى ووجوب الرجوع إلى حكمه وقضاءه، وإن الإعراض عنه آية النفاق وتختتم بوعد جميل للصالحين من المؤمنين وإيعاد للكافرين"[3]، يناقش الكاتب في هذا النص معنى الطاعة وما هي الحدود التي على الإنسان أن يلتزم بها مبيّنا أنّ هناك طاعة للرسول (صلى الله عليه وآله) غير مفترقة عن طاعة الله، جاعلا من هذه الطاعة أساسا في إيمان المؤمنين وعدم الالتزام بها هو كفر وابتعاد عن ما أراده الله، ثم أن عدم إطاعة الرسول آية من آيات النفاق وبإنعام النظر أكثر تجد أن الكاتب لم يخرج عن حدود النص معتمد على وحدة معنى أكثر من آية بقوله: (تتضمن الآيات) وهذا إفصاحٌ بأن المعنى المتحصل

(1) الميزان في تفسير القرآن، 14: 342.

(2) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 15: 65.

للطاعة المشير إليه الكاتب جاء نتاج تدبره وتأمله في الآيات وعدم خروجه عنها محتكم إلى سياقها دائرا في فلك النص ذلته خارجا بهذه النتيجة وهذا ما يتوافق والمحور الداخلي[1] من الأسلوبية البنيويّة التي جاء بها ريفاتير باحثا عن العلاقات بين العناصر اللسانية المكونة لسياق النص وأثر تلك العلاقات في الدلالة.

ومن التطبيقات أيضا قوله: "هذا هو الفصل الثاني من الفصول الأربعة التي يحتج فيها بالأفعال الخاصة وإن شئت فقل: بأسماء الأفعال على إبطال الشركاء ونفي ربوبيتهم وألوهيتهم وعلى إثبات المعاد"[2] جليٌ في هذا القول أن الكاتب اتكأ على العناصر اللسانية المكونة لسياق النص جاعلا منها محل تفريق بين ذات الإله وبين من ادعى أنه يتمتع بالألوهية والربوبية والشركة له عزّ وجلّ، إذ قال: (بأسماء الأفعال) أي يرادُ اسم كل فعل لله يعجز به مدعي لذلك الفعل وهذا ينبئ أن الكاتب غير خارج عن دائرة النص باحثا عن عناصره اللسانية ونوع العلاقات التي أنتجت الدلالة فيها وهذا ما يشير إلى أن الكاتب اتخذ من المحور الداخلي[3] في الأسلوبية البنيويّة منهجاً في التعامل مع النصوص في إظهار دلالاتها بعفو خاطره.

(1) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 16: 259.

(3) ينظر: دراسات في نقد الشعر: 62.

المبحث الرّابع:

فاعلية الدلالة ومقاييسها.

من الطبيعي أنّ كلّ نص يكون مشتملا على صيغٍ صرفية و تراكيب نحوية والفاظ معجمية وسياق له التأثير في تلك الألفاظ وكلّ هذه العناصر لها اليد طولى في تكوين دلالة ذلك النص والتحكم بمعناه بما يتوافق والقصد الذي يروم الكاتب أن يصل إليه أو يوصله إلى المتلقي، ولعلك لو تأملت مساحة عمل هذه العناصر ومجال تحركها ستجد أنّها غير خارجه عن دائرة النص، وهذا ما كان ريفاتير على وعي تام به إذ جعل الدلالة في الأسلوبية البنيويّة خاضعة لما أسماه بالمقاييس الدلالية[1]، وهي كما ذكرناه آنفا (معجمية، صرفية، سياقية، نحوية) وعلى هذا فإنّ من تطبيقات المقاييس الدلالية في تفسير الميزان الآتي: قوله: "والسياق يدل على أن المراد بقوله: "إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض "الزمان الذي كان المسلمون محصورين بمكة قبل الهجرة وهم قليلٌ مستضعفون"[2]. إنّ أخذ المعنى العام لجزء من سورة أو من نص لا للنص كاملا يعطي مؤشرا على أن هنالك سياقان الأولُ: سياق النص برمته، ويشترط فيه أن يتعامل مع النصوص لا مع أجزائها، وأمّا الثاني: فهو أحد مقاييس الدلالة أي السياق الدلالي لتركيب معين داخل النص وما له من أثر في الوقوف على معنى جزئي داخل النص، وما اجتزاء الكاتب للمقطع المذكور من السورة وجعل السياق شاهداً على أن هذا المقطع دليل على الزمان الذي مرّ به المسلمون محددا مكانهم بمكة ومبينا حالهم كيف أنّهم كانوا مستضعفين لا حول لهم ولا قوة لهم إلّا بالله، إذ أنّ ما دلّ على هذا المعنى سياق النص المجتزأ من السورة محل الدراسة والتحليل وهذا ما أشار إليه ريفاتير في الأسلوبية البنيويّة جاعلا إياه أحد محددات الدلالة وهو المقياس السياقي وعلى هذا يكون صاحب الميزان قد حكم هذا المقياس في إنتاج الدلالة والوقوف على القصد المراد من النص.

(1) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 9: 24.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "والظاهر أن الفطر هو الإيجاد عن عدم البحت"[1]، لو تأملت النص تجد الكاتب توقف عند كلمة (الفطر) عائدا بها إلى المعجم في الوقوف على المعنى المتوخى منها في هذا السياق، مبينا أنّها الإيجاد من عدم، ومن الطبيعي أن هذا المعنى له أثر بليغ في الدلالة المتوخاة من النص، إذ أن من مقاييس الدلالة في المنهج الأسلوبي البنيوي هو المقياس المعجمي[2] لما له من أثر في إنتاج الدلالة وبيان القصد والوقوف على المعنى، لذا ترى أنّ صاحب الميزان كثيرا ما يعود إلى المعجم في إظهار معاني الألفاظ التي لها أثر واضح في الدلالة وهذا غير مفترق عما نادى به ريفاتير في المقياس الدلالي المعجمي.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "إلا أنّه تعالى بدل في سورة طه هذه الكلمة أعني قوله: فتكونا من الظالمين من قوله فتشقى والشقاء هو التعب ثم فسر التعب وفصله"[3] إنّ اختيار لفظ دون غيره في سياق ما يعطي فهما أنّ المتكلم أراد من طريق ذلك اللفظ أن يصل إلى قصد معين، فأنّ يأتي بلفظ في سياق ما ثم يأتي بلفظ آخر بذات السياق ذلك يعطي مؤشرا أنّ لكل لفظ قصد وإن كان السياق واحد لأن من لوازم حكمة المتكلم أن يكون قاصداً فكيف إذا كان المتكلم هو الله فمسألة أن يأتي بلفظ في آية ويستبدله بلفظ آخر بذات الآية في سورة أخرى بعيدة كل البعد؛ لأن الله تعالى إنّما جاء بكلا اللفظين لذات السياق مع اختلاف موضعهما في السور لقصد هو أعلم به ومن اصطفاه، وإن منهجية الأسلوبية البنيويّة هي من أخذت بزمام النص إلى أن وقفت بالحكم على هذين اللفظين قد تبدلا والسياق واحد، وهذا من

(1) الميزان في تفسير القرآن، 10: 303.

(2) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 1: 61.

قبيل المقاييس الدلالية[1] وحصرا المقياس المعجمي لما للفظ أو العنصر اللساني من أثر في إنتاج دلالة النص.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "والميسر لغة هو القمار ويسمى المقامر ياسرا والأصل في معناه السهولة، سمي به لسهولة اقتناء مال الغير به من غير تعب الكسب والعمل"[2]، واضح في النص المار ذكره أنّ الكاتب لجأ في تفسيره للميسر إلى المعجم للوقوف على المعنى اللغوي لها ليجعل منه منطلقاً للولوج إلى أعماق النص والكشف عن دلالاته مهتديا بنور المعنى المعجمي للفظ المسير وهذا إن دلّ إنّما يدلّ على الأثر البالغ للمعجم في اسناد الكاتب واعانته على كشف خفايا النصوص وتفسيرها متخذا من منهج الأسلوبية البنيويّة بعفو خاطره لا بقصد مبيت سبيلا لدراسة النصوص لا سيما المقاييس الدلالية متكأ في هذا القول على المقياس المعجمي[3] في الوقوف على المعنى المراد من الآية والقصد وراء تحريم الميسر لما له من أثر اجتماعي في فساد الأمة.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "والإتيانُ بالجملة الإسمية، والابتداء باسم الإشارة ولكونه دال على البعد وتوسيط ضمير الفصل وإضافة الوقود إلى النار دون أن يقال وقود كلّ ذلك يؤكد ظهور الكلام في الحصر"[4]. إنّ الاستدلال بالجملة وتراكيبها والعناصر اللسانية المكونة لسياقها ونوع العلاقات التي فاعلت بين تلك العناصر فضلا عن اختيار نوع الجملة وما الدلالة المتحصلة منها على مستوى الثبوت والحركة يعطي مؤشرا واضحا على أن المنهج المتبع في التعامل مع النص هو منهج أسلوبي بنيوي متخذا من المقاييس الدلالية سبيلا للوقوف على المعنى لا

(1) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 2: 272.

(3)علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 3: 43.

سيما المقياس النحوي[1] إذ أنّ الكاتب في القول المار صرح بقوله: (يؤكد ظهور الكلام في الحصر) ذلك يؤكد أنّ وقوفه عند الجملة الإسمية لم يكن من طريق عبث إنّما لما للجملة الإسمية من ثبات في المعنى وتقييد له وحصر للدلالة وكلّ هذا نتاج اتباع المنهج الأسلوبي البنيوي في التعامل مع النصوص وسبر أغوارها وإيضاح معانيها من طريق المقياس النحوي.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "ومن هناك تظهر نكتة توجيه الخطاب إلى الناس دون المؤمنين خاصة وكذا تعليق التقوى بربهم دون أن يقال: اتقوا الله ونحوه فإن الوصف الذي ذكروا به أعني قوله: الذي خلقكم من نفس واحدة "الخ" يعم جميع الناس من غير أن يختص بالمؤمنين وهو من انصاف أوصاف الربوبية التي تتكفل أمر التدبير والتكميل لا من شؤون الألوهية"[2]. إنّ احتواء النص على ما يشير إلى الخطابية والمخاطب ونوع الخطاب ينبئ بأنّ التعامل مع ذلك النص جاء على وفق نظرة سياقية متخذة من المعنى العام دليل في إيضاح دلالاته ومقاصده وما ذلك إلّا إشارة واضحة وتصريح بيّن بأنّ المنهج المتبع في التعامل مع النص هو منهج أسلوبي بنيوي متخذا من المقياس الدلالي السياقي محدداً للدراسة إذ أنّك لو عدت إلى النص السابق تجد أنّ الكاتب اتخذ من إشارة داخل النص دليلاً على معناه العام والقصد المراد منه إذ أنّه جعل مفتاح النص بلفظين جاء بسياق الآية، وهما: (الناس، ربكم) مشيرا إلى أنّ لفظ الناس يعطي معنى العموم أي لا يختص بفئة دون غيرها أي جميع الناس سواء أكانوا مؤمنين أم غير مؤمنين؛ لأنه لو أراد المؤمنين لصرح بذلك فضلا عن قوله: (ربكم) فإنّه لو أراد المؤمنين كما أشار الكاتب لقال

(1) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 4: 227.

اتقوا الله ولم يقل اتقوا ربكم على هذا يظهر المقياس السياقي[1] للمتعامل به مع النص للكشف عن دلالاته ومقاصده.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "وتقديم الخبر أعني قوله: "ولله" للدلالة على الحصر وبذلك يتم البيان والمعنى: كيف يمكن أن يمنع مانع من إرادته تعالى إهلاك المسيح وغيره ووقوع ما أراده من ذلك"[2] مرّ الوقوف على أثر النحو في الكشف عن دلالات النص واتخاذ المقياس النحوي[3] من الأسلوبية البنيويّة منهجا للتعامل مع الآيات القرآنية في كشف معانيها لدى صاحب الميزان، فمرة يكون استعمال الجملة الإسمية لحصر المعنى وأخرى يكون تقديم الخبر يعطي ذات المعنى أي الحصر، وفي هذا الموضع اتخذ من تقديم الخبر كما أوضح في القول المار سبيلا للوقوف على دلالة النص بتأثير النحو فيه وما فرضه ذلك التقديم من علاقات وأواصر بين عناصر الجملة أو التراكيب اللسانية المعتمدة في إيصال قصد المتكلم على وفق تدبره للآية.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "المربوع" الذي بيّن الطول والقصر، والمشذب الطويل الذي لا كثير لحم على بدنه ورجل الشعر من باب علم فهو رجل بالفتح والسكون أي كان بين السبط والجعد"[4] مرّ بيان أثر المعجم في الإعانة بالوقوف على الدلالات والمقاصد في النص القرآني واعتماد صاحب الميزان عليها في غير مرة للكشف عن دلالة النص والوقوف على القصد المراد منه على وفق تدبره له، إذ أنّ المقياس المعجمي[5] هو أحد أربعة أركان متبعة في الأسلوبية البنيويّة

(1) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 5: 110.

(3) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 6: 306.

(5) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

لسبر أغوار النصوص وكشف خباياها والإفصاح عن مكنوناتها وجلي في القول المار الاتكاء على المعجم للوقوف على المعنى (المربوع) لحاجة المفسر إليها في إظهار معنى نص أراد الوقوف على دلالته.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "المفاتيح جمع مفتح بفتح الميم وهو الخزينة وربما احتمل أن يكون جمع مِفتح وهو المفتاح ويؤيده ما قرئ شاذاً: "وعنده مفاتيح الغيب ومآل المعنيين واحد فإنّ من عنده مفاتيح الخزائن هو عالم بما فيها قادر على التصرف فيها كيف شاء"[1]، من أحد أهم المقاييس الدلالية في الأسلوبية البنيويّة هو المقياس الصرفي[2] إذ أنّ من طريقه يمكن للباحث الأسلوبي البنيوي أو الكاتب على وفق منهجية الأسلوبية البنيويّة أن يقف على دلالات النص من طريق اختيار صيغة صرفية دون غيرها لما لها من أثر في إنتاج الدلالة ولو تأملت القول المار ذكره ستجد أنّ الكاتب ميّز بين (مفتح، مِفتح) مفتوحة الميم ومكسورتها ومبيناً معنى كل واحدة منهما موضحاً السياق الذي يمكن أن ترد فيه كل واحد منهما وعلى هذا يظهر جليلا أثر المقياس الصرفي في إنتاج الدلالة من النصوص واتباع الكاتب لهذه المنهجية لما لها من أثر في الوقوف على حقيقة المقاصد من وراء النص بحسب تدبره له.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "والمراد بالنصيب من الكتاب السهم الذي يختص كلّ واحد منهم من مطلق ما كتب له ولغيره"[3] إنّ للسياق أثر بالغ في إضفاء المعاني على الألفاظ أي أن العلاقات بين العناصر اللسانية المكونة لسياق نص ما لها الأثر البالغ في تكوين الدلالة لذا لو أخذت لفظة (سهم) خارج النص لوجدت أنّها تشير إلى معنى آخر غير ما ذكره الكاتب في القول المار، إلّا أنّ

(1) الميزان في تفسير القرآن، 7: 59.

(2) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية وتأصيلية نقدية: 20.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 8: 236.

السياق ها هنا أأعطى للفظة معنى غير ما سيمر في خاطر المتلقي من أنّ المراد (السهم) هو ما يستعمل في الحروب وجمعه (سهام) فالسياق أخذ بمعنى اللفظ أو العنصر اللساني إلى معنى السهم أي ما يكون نصيبا لأحدهم وجمعه (أسهم) وعلى هذا يظهر المنهج المتبع عند صاحب الميزان في التأليف والتعامل مع النصوص القرآنية أي منهج الأسلوبية البنيويّة متكأ فيها على المقياس المعجمي[1]، والمقياس السياقي في آن واحد للوقوف على الدلالة المتوخاة من النص.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "وكون الرحمة أعني الهداية غاية مقصودة في الخلقة إنّما هو لاتصالها بما هو الغاية الأخيرة وهو السعادة"[2]، من ظاهر كلام الكاتب في حديثه عن معنى الرحمة وتدبره لمعناها صرح بأنّها الهداية إذ لو عدت إلى القول لوجدته يقول: (الرحمة أعني الهداية) فوفق فهمه من ظاهر سياق النص قرر أنّ الرحمة هي الهداية وجعل منها غاية مقصودة، إنّما أخذ بزمام حديثه وللفظة هو السياق الذي وردت فيه لفظة (رحمة) ذلك جراء اتباعه آليات المنهج الأسلوبي البنيوي لاسيما المقياس السياقي[3]، وهو أحد المقاييس المتبعة في الكشف عن دلالة النص لذا على وفق هذا المقياس توصل إلى أنّ الرحمة هي الهداية.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "واسترق السمع أخذ الخبر المسموع في خفية كمن يصغي خفية إلى حديث قوم يسرونه فيما بينهم"[4]. إنّ إعطاء معنى الاسترق في النص لمار ذكره مُتَّكأ فيه على تحكيم سياق التركيب أي الجملة متخذا من عناصره اللسانية والعلاقات المؤالفة بينها سبيل للوقوف على دلالة اللفظ وبيان القصد المراد منه بالإفصاح عن المعنى المستغلق في النص، وإنّما أعان الكاتب

(1) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 11: 30.

(3) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 12: 225.

على ذلك آليات الأسلوبية البنيويّة في الوقوف على الدلالة من طريق المقياس السياقي[1] الكاشف عن مقاصد الكلام على وفق ما ذكر آنفا من اختيار العناصر اللسانية والوقوف عند العلاقات المؤالفة بينها وتحكم السياق بتلك العناصر.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله:" قوله تعالى: "أن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء" إلخ، قال الراغب: الثقفُ – بالفتح فالسكون– الحذق في إدراك الشيء وفعله"[2] لا مناص للمشتغل على النص القرآني من اللجوء إلى المعجم في الكشف عن معاني الألفاظ ودلالاتها وليس صاحب الميزان بمعزل عن هذا فحتى يصل إلى معنى (الثقف) اتخذ من رأي الراغب فيها سبيلاً للكشف عن مضامينها جار ذلك المعنى إلى سياق الآية محل البحث مبيناً معنى الآية من طريقها والتأثير في الدلالة الكلية للآية وهذا يعودُ بنا إلى المقياس المعجمي[3] من المنهج الأسلوبي البنيوي الذي ما فتأ الكاتبُ اتباعاً له في مفاصل تأثيره دون أن يكون له سابق علم به.

وأمن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "والآيتان جواب القسم، وضمير "أنّه" للقرآن والمعنى قسم بكذا وكذا أنّ القرآن لقول فاصل بين الحق والباطل"[4] كثير ما يسلك صاحب الميزان سبيل المقياس النحوي للوقوف على دلالة النصوص وبيان مقاصدها عن طريق الكشف عن العلاقات بين العناصر اللسانية المكونة للتراكيب ونوع هذه العلاقات وما لها من أثر بالغ في إنتاج دلالة النص وما ذلك إلّا اتباع

(1) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 12: 225.

(3) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20، وينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(4) الميزان في تفسير القرآن، 20: 324.

للمنهج الأسلوبي البنيوي فضلا عن اتخاذ المقياس النحوي[1] نهجاً في سبر أغوار النص والوقوف على مقاصده فلو عدت إلى النص المذكور آنفا لوجدت أنّ الكاتب استدل من طريق الضمير في قوله (أنّه) على أنّ القرآن قول فاصل بين الحق والباطل لما لهذا الضمير من إشارة إلى أن المتحدث عنه هو القرآن الكريم دون غيره أي أن متعلق لا ضمير هو القرآن الكريم وعلى هذا يكون المقياس النحوي صاحب السلطة في الكشف عن المعنى الذي توصل إليه الكاتب.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "وظاهر السياق أنّ المراد بالنذير الرسول المبعوث من عند الله وفسر بعظهم النذير بمطلق من يقوم بالعضة والإنذار من نبي أو عالم غير نبي وهو خلاف ظاهر الآية"[2]. إنّ الوقوف عند سياق آية ومحاولة الكشف عن معناها وإظهار الدلالات التي اكتنزتها متخذا من لفظ في تركيبها دليلا على معناها بحثا عن طريق ذلك العنصر اللساني وعلاقته بباقي العناصر المكونة لسياق النص ونوع العلاقات بينها وبالناتج الأخير الإفضاء إلى المعنى المتبادر إلى ذهن الكتاب ذلك ينبئُ أنّ المنهج المتبع في التعامل مع النصوص منهج أسلوبي بنيوي جاعلا من المقياس السياقي[3] سبيلا إلى ذلك إذ لو نظرت إلى النص المار ذكره ستجد أنّ الكاتب أعطى للفظ (النذير) المعنى الذي تبادر إلى ذهنه من ظاهر سياق الآية كما صرح هو أي حكم السياق في إضفاء المعنى عليها بل أخذ ظاهر السياق.

---

(1) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20، وينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 17: 18.

(3) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20، وينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "قوله تعالى: "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية " إلى آخر الآية ... والظرف في قوله: "إذ جعل" متعلق بقوله سابقاً: "صدوركم" وقيل: متعلق بقوله : "لعذبنا" وقيل: متعلق بالذكر المقدر، والجعل بمعنى الإلقاء و"الذين كفروا" فاعله والحمية مفعوله و (حمية الجاهلية) بأنّ للحمية والجاهلية وصف موضوع في موضع الموصوف والتقدير الملة الجاهلية"[1] بينا في غير مرة أثر النحو في إنتاج الدلالة والوقوف على المقاصد والمعاني من النصوص وجلي في القول المار أثر المقياس النحوي[2] واعتماد الكاتب عليه في إظهار دلالات النص المذكور أعلاه، فضلا عن أنّ الكاتب وصل في توضيحه للنص نحويا إلى أن جزء كلّ مفاصله كاشفا عن عناصره اللسانية المكونة لتركيبه مبينا نوع العلاقات المؤالفة بينها سواء بعود الضمير أو بيان متعلقيه حتى وصل في آخر المطاف إلى أنّ (الحمية) هي من صفات الجاهلية بالمؤدى الأخير وما ذلك إلّا تحكيما لدلالة المقياس النحوي في الكشف عن معنى النص والوقوف على غايته.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "وعن سيبويه أنّ (كان) في قوله: "وما كان أكثرهم مؤمنين "صلة زائدة والمعنى: وما كان أكثرهم مؤمنين"[3]، إنّ الانطلاق من عنصر لساني وجعله عصبا في إنتاج معنى النص ذلك يبين أن المنهج المتبع في التعامل مع ذلك النص هو المنهج الأسلوبي البنيوي متخذ من المقياس النحوي[4]

(1) الميزان في تفسير القرآن، 18: 300.

(2) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20 وينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 15: 110.

(4) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20، وينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

سبيلا لذلك، إذ لو عدت إلى القول المار ذكره تجد أنّ رأي سيبويه ارتكز على معنى (كان) وهي عنصر لساني ضمن تركيب وما أخذ الكاتب لرأي سيبويه إلّا لغاية في نفسه يحققها ذلك الرأي ويهدي إلى معنى قد ذهب إليه الكاتب بتدبره ذلك النص وعلى هذا تظهر أهمية ووضوح المنهج الأسلوبي البنيوي والمقياس النحوي منه في إمكانية التعامل مع النصوص والكشف عن دلالاتها ومعانيها.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "قوله تعالى: **"وَلَا تُصَعِّر خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمشِ فِى ٱلأَرضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُختَال فَخُور**"قال الراغب: الصعرُ ميل في العنق والتصعير إمالته عن النظر كبراً "[1] مرّ مرارا وتكرارا أثر المقياس المعجمي في تفسير النصوص وركون المؤلف إلى ذلك المقياس في غير مرة في تفسيره لما له من أهمية بالغة في الوقوف على معاني الفاظ لها العمدة في الكشف عن دلالة النص الوارد فيه، إذ أن لفظ (صعر) في الآية المذكورة هو بمثابة مفتاح لفهم معنى النص فما أن عُرف معناها فهم النص على وفق نظرة المنهج الأسلوبي البنيوي وبالتحديد المقياس المعجمي[2] منه لذا يلجأُ الباحث الأسلوبي البنيوي إلى المعجم في الكشف عن القصد المتبادر إلى ذهنه من طريق تدبره للنصوص والاتكاء على ما أشار إليه المعجم في الفهم والتفسير.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "قوله تعالى: "**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أ بعث الله بشراً رسولاً**" الاستفهام في قوله: "أبعث الله بشراً رسولاً" للإنكار، وجملة "قالوا أ بعث الله" "إلخ" حكاية حالهم بحسب الاعتقاد وإن لم يتكلموا بهذه الكلمة بعينها"[3]، إنّ الوقوف عند الحدود النحوية للتركيب وبيان

(1) الميزان في تفسير القرآن، 16: 270.

(2) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20، وينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(3) الميزان في تفسير القرآن، 13: 87.

مفصلياتها نتاجٌ لاتباع المنهج الأسلوبي البنيوي، وبالتحديد المقياس النحوي منه للكشف عن المعاني والدلالات فإن إيضاح نوع الاستفهام في الآية المار ذكرها وحصر ذلك التركيب كله في الإنكار يعطي معنى أن المستفهم رافض لما جاء به المتكلم ومنكراً لكل ما يحاول أن يخاطب به فهمه إذ من طريقها تمكن الكاتب أن يقف على حقيقة اعتقادهم، وإنّ ما ساعد في ذلك العنصر اللساني (الهمزة) وما خرجت إليه من معنى فضلا عن العلاقة التي آلفت بينها وبين باقي العناصر المكونة للتركيب مما أنتج معنى الإنكار وهذا ما أعان الكاتب على أن يقف عند المعنى الذي تدبره من الآية متكا على المقياس النحوي[1] في الكشف عن ذلك المعنى.

ومن المقاييس الدلالية أيضا قوله: "والركعُ جمع راكع كسجد جمع ساجد والسجود جمع ساجد كالركوع جمع راكع"[2] إن اختيار صيغة صرفية ببنية معينة تواكب الحدث وتترجم الحال الذي عليها المتكلم أو ما يروم المتكلم إيصالها إلى المتلقي يكمنُ في ما يكنه ذلك المتكلم من قصد، إذ أن الكاتب في القول المار عند مناقشته للفظي (الركوع، والسجود) خلص إلى أن هذين اللفظين مشيران إلى الهيأة التي يكون عليها (الراكع، والساجد) وإنّما أعان الكاتب على ذلك اتباعه للمنهج الأسلوبي البنيوي واتخاذه للمقياس الصرفي[3] سبيلاً للوقوف على المعنى المراد من النص والمتوخاة منه فضلا عن اعتماده على اختيار بنية العنصر اللساني بما يتوافق والقصد المراد من النص وعلاقة هذا العنصر بباقي العناصر المكونة للتركيب الوارد

(1) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20، وينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(2) الميزان في تفسير القرآن، 14: 328.

(3) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: 20، وينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

فيه، فضلا عن العلاقات المؤالفة بينهم، لذا تمكن الكاتبُ من طريق المقياس الصرفي من الوقوف على دلالة النص.

ومن ذلك كله نخلص إلى أن المنهج الذي سار عليه صاحب الميزان في التعامل مع القرآن الكريم وتفسيره إياه هو المنهج الأسلوبي البنيوي متخذاً من المقاييس الدلالية التي جاء بها ريفاتير سبيلاً للوقوف على المقاصد ومتكأ لسبر أغوار النصوص وإيضاح المعاني والدلالات التي تضمنها النص، ولا أجزم قاطعا أنّ صاحب الميزان باشر ذلك بقصد منه إنّما جاء ذلك عفو خاطره.

النتائج

1. إنّ الأسلوبية البنيويّة متأصلة في التراث العربي البلاغي، وإنّ مظاهرها منتشرة في أصقاع الكتب بين طيات صياغاتها وأزقة أفكارها، إلّا أنّ المسألة غير مشرقة الظهور بالمصطلح الصريح، ولريفاتير أفضلية أنّه شذبها وجمعها بين دفتي منهج.
2. يمكن عدّ الطباطبائي سابقا على ريفاتير في تطبيق آليات الأسلوبية البنيوية وان كان هناك اختلاف في المنظومتين المصطلحيتين لكل واحد منهما.
3. ان النص هو المصدر الأساس والوحيد لإنتاج الدلالة على وفق ما ذهب إليه ريفاتير متخذا من السياق والمقاييس الأسلوبية والحدث الأسلوبي وما إلى ذلك من اليات المنهج الأسلوبي البنيوي سبيلا للوقوف على الدلالة المتوخاة منه وهذا ما عليه أكثر المفسرين.
4. ان للسياق الاثر الفاعل في إظهار الدلالة في الأسلوبية البنيويّة لأنه هو المتحكم بنوع العلاقات بين العناصر اللسانية واستبدالاتها العمودية في التركيب وهذا ما اعتمده الطباطبائي في كتاب الميزان.
5. عرف الطباطبائي في كتاب الميزان بأنه يعتمد منهج تفسير القرآن بالقرآن جريا على عادة القدماء في تقسيم انماط تفسير القرآن، إلّا أن البحث توصل الى أنه اعتمد منهج (الأسلوبية البنيويّة)، وهو منهج إجرائي بحت إذ أنّ المنظومة المصطلحية اختلفت بين صاحب الميزان وريفاتير فما أسماه ريفاتير بالقارئ العمدة صرح به صاحب الميزان بقوله: (أقول) وما أسماه ريفاتير بالأسلوبية البنيويّة جاء عند صاحب الميزان تحت عنوان (لسان الآية) وكانت آلياته هي آليات العرفان النظري من إضفاء معنى على لفظ على وفق عقيدة آمن بها صاحب النص.
6. ان الأسلوبية البنيويّة التي جاء بها ريفاتير لم تغادر مفهومنا وتصورنا لنظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني كما مرّ توضيحه في طيات هذه الدراسة.

7. إنَّ تفسير آية بآية أخرى مما يعرف بتفسير القرآن بالقرآن، يعتمد على ما ينتج من ضربهما بعض، وهذا عمل سياقي صرف.
8. قد يجد ريفاتير في السياق ما ينشده في تفسير نص ما ،ولكن من الصعوبة بمكان أن يفسر قول الله تعالى بما نفهمه من السياق، بمعنى ان للسياق معانيا مختلفة وأوجها مختلفة لكل معنى، تختلف باختلاف المتلقي، وهذا يعدّ في الأدب منحىً جماليا، أما في النص المقدس الشرعي، فلا يساعدنا على معرفة حقيقة قصد المتكلم والتقيد به على نحو اليقين.
9. يختلف القارئ العمدة من حقبة الى أخرى، إلا أنّه يبقى فيصلا في منهج الأسلوبية البنيوية، وإذا كان القارئ العمدة لدى اصحاب الجهود التقليدية والمجددة هم العلماء الفقهاء، فإنه عند أصحاب الجهود الحداثوية أشد بروزا إذ يعد كل واحد منهم نفسه قارئا عمدة، وهذا يتعارض مع مفهوم (أهل الذكر) في القرآن الكريم.
10. من جهة الأسلوبية البنيوية يمتلك السياق الحاكمية على النص، ويمتلك القارئ العمدة حاكمية على السياق، وهذا يفضي ان القارئ العمدة هو الحكم على الدلالة في النص الأدبي وهو الحاكم باسم الله في النص الديني، وهذا يؤشر خطورة في اعتماد منهج الأسلوبية البنيوية في تفسير القرآن الكريم، وإبداعا وتجديدا في تحليل النص الأدبي واستكناه دلالته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع، مدينة مصر، 1421هـ.
2. الاتجاه العقلي في التفسير دراسةٌ في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، نصر حامد ابو زيد،(ت 2010م)، المركز الثقافي العربي، ط 3، 1996.
3. اتجاهات البحث الأسلوبي، شكري محمد عياد، دار العلوم، جدة، السعودية، ط1.
4. احكام القرآن، محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت 543هـ)، راجع اصوله وخرج احاديثه وعلق عليه: محمد د القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
5. ادب الكاتب، ابن قتيبة، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد الدالي، دار مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د. ط.
6. أدبية النص، صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2002.
7. اسباب النزول، ابو الحسن علي بن احمد الواحدي (ت468هـ) تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الاصلاح الدمام، ط2، 1412هـ – 1992م.
8. الاستعارة في النقد الأدبي، أبو العدوس، عمان: الأهلية، ط1، 1997.
9. اسرار البلاغة في علم البيان، الجرجاني، علق عليه محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1988.
10. الاسلاميات قراءة اجتماعية سياسية للسيرة النبوية، سيد محمود القمني (ت 2022م)، المركز المصري لبحوث الحضارة، ط 1، 2001.
11. اسلامية المعرفة بين الامس واليوم، طه جابر العلواني، المعهد العالي للفكر الاسلامي، القاهرة، ط1، 1417هـ ت 1996م.
12. الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي، محي الدين محسب، علوم اللغة، العدد 2، 1998م.

13. الأسلوبية بين مجالي الادب ونقده والدراسات اللغوية، د. مؤمني بو زيد، جامعة محمد الصديق بن يحيى – حيجل، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية العدد 9 – 2014.

14. الأسلوبية عند ريفاتير، طارق البكري، مجلة الموقف الألدبي،عدد،402 تشرين اول 2004م، نسخة إلكترونية من موقع اتحاد الكتاب العرب org.dam-awu.w.

15. الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، فرحان بدري الحربي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

16. الأسلوبية منهجا ونقدا، محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، سوريا، ط1، 1989.

17. الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، وتونس، 1977.

18. الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث(الأسلوبية والاسلوب)، نور الدين السد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

19. الأسلوبية وطرق قراءة النص الأدبي"، دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمر العنبر، محمد عواد، (2014)، العدد 2، المجلد 41.

20. الأسلوبية، مجلة كلية الآداب د محمود جاد الرب، العدد الخامس، جامعة المنصورة، 1984.

21. الأسلوبية، www.uobabylon.edu.iq.

22. الأسلوبية، مفاهيمها وتجلياتها، موسى سامح ربابعة، دار الكندي، الاردن، ط1، 2003.

23. أصول التفسير والتأويل، مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين، الحيدري، السيد كمال، دار فراقد، إيران، ط2، 2006م.
24. الاعتصام، ابو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي (ت 790هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
25. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب للباقلاني 403هـ، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط3.
26. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1992.
27. الألسنيةّ العربية، طحان، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1981.
28. إيضاح الحكمة في شرح بداية الحكمة، علي باني كلبيكاني، ترجمة: محمد شقير، دار الهادي، ط2، 1422هـ - 2001م.
29. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن (ت739هـ)، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ - 2003م.
30. الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة اصوله واختلاف الناس فيه، ابو محمد مكي بن ابي طالب القيسي (ت 437هـ)، تح: احمد حسن فرحان، دار المنارة، جدة، ط1، 1406هـ - 1986م.
31. البدائع في علوم القرآن، ابن قيم الجوزية(ت 751هـ)،، تح: يسرى السيد محمد، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط2، 1427هـ - 2006م.
32. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، تح: ابي الفضل الدمياطي، دار الحديث، 2006م.
33. البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، طبعة مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط2، 1994.

34. بنيويّـة جاكبسـون التأسـيس والاسـتدراك، تـأليف ليونـارد جاكسـون، ترجمـة إبراهيم خليل، عمان نزوى العدد رقم عشرة، 1997.

35. بنيويّة موسوعة عارف، مقالة 3arf.org https:3arf.org>wiki>

36. بهجة الاريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، علي بن عثمان المارديني (ت 750هـ)، تح: الدكتور ضاحي عبد الباقي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، د.ط، د. ت.

37. البيان في تفسير القرآن، السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي (ت1413هـ)، مؤسسة الخوئي الاسلامية، ط4، 2009.

38. البيان والتّبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) تحقيق وشرح: عبدالسّلام هارون، مكتبة الجاحظ، مؤسّسة الخانجي، القاهرة، ط2، دت.

39. تأصيل النص (المنهج البنيوي لدى لوسيان جولدمان)، محمد خشفة، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1997.

40. التأويل والتأويل المفرط، أمبرتو ايكو، ترجمة ناصر الحلواني، مركز الانماء الحضاري، حلب – سورية .

41. التأويل والحقيقة، علي حرب، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، د.ط، 2007.

42. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ)، تح: آغا بزرك الطهراني، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

43. تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.

44. التراث والعلمانية (البنى والمرتكزات، خلفيات ومعطيات)، عبد الكريم سروش، ترجمة: احمد القبانجي، منشورات الجمل، بيروت – لبنان، ط1، 2009.

45. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب (ت 1966م)، دا الشرق، ط17، 1425هـ - 2004م.

46. تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية، عبد الجبار الرفاعي،، بيروت، دار الهادي، ط2، 2005م: 128. نقلاً عن يادنامه مفسر كبير استاذ علامة سيد محمد حسين طباطبائي (الفارسية) انتشارات قم.

47. تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد محمد بن المصطفى ابن باديس الصنهاجي (ت 1359هـ)،جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، ومحمد الصالح رمضان، علق عليه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،1402هـ.

48. تفسير الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ) جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه) الناشر: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.

49. التفسير البنائي للقران الكريم، الدكتور محمود البستان (ت 1432هـ)، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، ط1.

50. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(ت 1973م)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

51. تفسير الحبري، جمع: ابو عبد الله الكوفي الحسيني ابن الحكم بن مسلم الحبري(ت 286هـ)، تح: محمد رضا الحسيني، مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، د. ط، د.ت.

52. تفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني (ت 1091هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: العلّامة محمد حسين الاعلمي، مكتبة الصدر، طهران، ط3، د.ت.

53. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي1تح: قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة- قم، (ت320هـ)، ط1.

54. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا الحسيني (ت 1354هـ)، مطبعة المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ - 1947م.

55. تفسير القرآن العظيم، سهل بن عبد الله بن ينس التستري (ت 283هـ)، تح: طه عبد الرؤوف سعد وسعد محمد حسن علي، دار الحرم للتراث، ط1425،1هـ - 2004م.

56. تفسير القرآن الكريم، صدر المتألهين محمد بن ابراهيم الشيرازي(ت 1050هـ)، صححه: محمد خواجوي، مطبعة امير - قم، قم،ط2.

57. تفسير المعين، محمد بن مرتضى الكاشاني المتوفى بعد عام (1115هـ)، اشراف: محمود المرعشي، تح: حسين دركهاي، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط1.

58. تفسير المنار، محمد رشيد رضا(ت 1345هـ)، دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ - 1947م.

59. تفسير سفيان الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت ١٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

60. تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همّام الصنعاني (ت 211هـ)، دراسة وتحقيق: دكتور محمود محمد عبده، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ - 1999م.

61. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي(ق12هـ)، تح: حسين دركاهي، منشورات مؤسسة شمس الضحى، ط1، 1430هـ.

62. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠2هـ) المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

63. تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته(ت150هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1423هـ - 2002م.

64. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104هـ)، تح: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

65. التفكير الأسلوبي عند ريفاتير، مونية مكرسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الادب العربي تخصص البلاغة والأسلوبية، جامعة الحاج لخضر – باتنة، 2009- 2010.

66. جامع الجوامع، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ)، تح: مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، ط2، 1423هـ.

67. الجواهر في تفسير القرآن، طنطاوي جوهري المصري (ت:1358هـ)، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1346هـ.

68. الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، السيد عبد الله شبر (ت 1242هـ)، مراجعة وتعليق: اسامة الساعدي، ذوي القربى، ط1، 1413هـ.

69. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة(ت 403هـ)، تح: سعيد الافغاني، مؤسسة الرسالة، ط5، 1418هـ - 1997م.

70. دراسات في نقد الشعر، إلياس الخوري، دار ابن رشد، بيروت، لبنان، ط 1، 1979.

71. دروس في الألسنية العامة، فرناندو ديسوسير، ترجمة: صالح الفرماوي وآخرون، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985.

72. دروس في الحكمة المتعالية، كمال الحيدري، شرح كتاب بداية الحكمة، دار الصادقين، قم، ط1، 1999.

73. دلالات الأسلوبية البنيويّة بين عبد القاهر الجرجاني وميكائيل ريفاتير، طاطا بن قرماز (ناقدة واكاديمية من الجزائر)، نزوي، العدد: 78، عمان، 2014م.

74. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت– لبنان، 1981 .

75. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، صححه وعلق عليه: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده، مصر، ميدان الازهر، 1372هـ – 1952م.

76. سيرة العلّامة الطباطبائي، بقلم كبار العلماء والأعلام، بيروت، دار الهادي، ط1، 2000م.

77. الشمس الساطعة، رسالة في ذكر العالم الرباني العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي التبريزي، الحسيني الطهراني، السيد محمد حسين، تعريب: عباس نور الدين وعبد الرحيم مبارك، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط1، 1997م.

78. الشيعة في الإسلام، الطباطبائي، بيت الكتاب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

79. صحيح البخاري، محمد بن ابراهيم الجعفي البخاري(ت 256هـ)، تعليقات: حاشية السهارنفوري، احمد علي السهارنفوري، حاشية السندي، محمد عبد الهادي السندي، الأبواب والتراجم، محمد زكريا الكاندهلوي، جمعية البشرى، 1437هـ – 2016م.

80. صحيح مسلم، مسلم بن الحاج بن مسلم القشيري النيسابوري(ت 261هـ)، تح: رائد بن صبري ابن ابي علفة، دار طويق للنشر والتوزيع، ط1، 1429هـ – 2008م.

81. الصوفية والسريالية، أدونيس، دار الساقي، ط3.
82. الطباطبائي مفسّراً وفيلسوفاً، عبد الله الآملي، سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي، تأليف مجموعة مؤلفين، تعريب عباس صافي، بيروت، 2012.
83. الطباطبائي ملامح من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي، السيد كمال الحيدري، مكتبة عروج، العراق، بغداد، د.ت، د.ط .
84. طبقات أعلام الشيعة نقباء البشر في القرن الرابع عشر، القسم الرابع في الجزء الأول في أعلام القرن الرابع عشر الشيخ آغا بزرك الطهراني، دار المرتضى للنشر، مطبعة سعيد، مشهد، ط2، 1404هـ.
85. العرفان النظري مبادئه وأصوله، يد الله يزدان بناه، ترجمة: علي عباس الموسوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ط1، 2014م.
86. علم الأسلوب (مبادئه واجراءاته)، صلاح فضل، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ط1، 1985م.
87. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، النادي الثقافي، بجدة، ط3.
88. علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، فايز الداي، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1973م.
89. علوم القرآن اية الله السيد محمد حسين الطباطبائي "دراسة مقارنة، الشيخ عارف هنديجاني فرد، جمعية القرآن الكريم، لبنان – بيروت، ط1، 1434هـ 2013م.
90. على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، النشر العلمي جامعة الشارقة، 1423هـ-2002 م.
91. عوالم العلوم والمعارف والاحوال من الآيات والاخبار والأقوال، الشيخ عبد الله البحراني الاصفهاني (ت 1109هـ)، تح: مدرسة الامام المهدي عليه السلام، ط1، 1405هـ،

92. فتح البيان في مقاصد القرآن، صدّيق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري (ت 1307هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعه: عبد الله بن ابراهيم الانصاري، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، 1412هـ – 1992م.

93. الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري، تح: لجنة احياء التراث العربي في دار افاق الجديدة، دار افاق الجديدة، بيروت، ط4، 1400هـ – 1980م.

94. فصوص الحكمة، محيي الدين بن عربي(ت 638هـ)، دار آفاق، القاهرة، ط1، 2016م.

95. فلسفة العرفان النظري، دراسة تحليلية في أصول العلم ومنهجه المعرفي، فادي ناصر، دار الولاء لصناعة النشر، بيروت– لبنان، ط1، 1439هـ – 2018م.

96. في البنيويّة التركيبية، دراسة في منهج لو سيان جولدمان، جمال شحيد، دار ابن رشد بيروت، 1982.

97. في معرفة النص، يمنى العيد، دار الآداب، بيروت، ط4، 1999.

98. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: محمد اركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة – بيروت – لبنان، ط2، 2005:18.

99. قضايا إسلامية معاصرة (منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية)، محمد ابو القاسم حاج حمد، دار الهادي، ط1، 1424هـ – 2003م.

100. قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، عبد المطلب، الشركة العربية العالمية للنشر، مصر، ط.1995 .

101. الكافي، الشيخ الكليني، تعليق وتصحيح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران، ايران، ط5، د.ت.

102. كتاب البديع، ابن المعتز(ت 296هـ)، اعتنى بنشره والتعليق والمقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشيوفسكي عضو أكاديمية العلوم في لينين غراد، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1402هـ - 1982م.

103. كتاب السبعة، ابن مجاهد (ت324هـ)، عرض ودراسة: احمد سعد حسين المطيري، كرسي القرآن الكريم وعلومه جامعة الملك سعود، ط1، 1436هـ.

104. كتاب الصافي في تفسير القرآن، محمد بن المرتضى المعروف بالمولى محسن الكاشاني (ت 1091 هـ)، تح: محسن الحسيني الاميني، دار الكتب الاسلامية – ايران – طهران، ط1، 1419هـ.

105. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت 395هـ)، تح: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2.

106. كتاب الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي(ت749هـ)، دار الكتب العامة، بيروت، لبنان.

107. كتاب دلائل الاعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، قرأه تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي – مطبعة المدني، د.ط، د. ت.

108. كتاب علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د. ط.

109. كتاب معاني القرآن، لابي الاحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط (ت 215هـ)، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1411هـ - 1990م.

110. الكتاب والقرآن (دراسات اسلامية معاصرة 1)، محمد شحرور (ت 2019م)، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية – دمشق، د. ط، د. ت.

111. الكشاف من حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 528هـ)، دار الكتب العربي، بيروت، 1947م.

112. لسان العرب، ابن منظور(ت711هـ)، دار صادر – بيروت– لبنان،ط3، 1414هـ.

113. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر، عمان، ط3، 1423هـ–2003م.

114. متشابه القرآن، ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت 189هـ) تح: الدكتور صبيح التميمي، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الاسلامي، ط1، 1994.

115. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الاثير(ت 637هـ)، تح: احمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، د. ط.

116. محاضرات في الأسلوبية وتحليل الخطاب (المحاضرة الاولى)، محمد نعمي، جامعة البليدة 2، الجزائر، الأسلوبية البنيويّة.

117. محمد المبارك، استقبال النصّ عند العرب ط:1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت1999.

118. مدخل إلى القرآن الكريم (في التعريف بالقرآن)، الدكتور محمد عابد الجابري(ت2010م)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 2006.

119. المدرسة القرآنية، السد محمد باقر الصدر(ت1400هـ)، دار الكتاب الاسلامي، ط2، 1434هـ.

120. مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد، محمد نووي بن عمر بن عربي الجاوي (ت: 1316هـ)،ضبطه: محمد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ - 1997م.

121. مسالك الافهام إلى آيات الاحكام، العلّامة الفاضل الجواد الكاظمي (ق12هـ)، علق عليه واخرج احاديثه المحقق: محمد باقر شريف زاده، اشرف على تصحيحه : السيد محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء التراث الجعفري.

122. المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط2، 1997.

123. معايير تحليل الاسلوب، ميكائيل ريفاتير، ترجمة: د. حميد لحمداني، دار النجاح الجديد – البيضاء، ط1، 1993.دراسات في نقد الشعر، إلياس الخوري، دار ابن رشد، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

124. معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، القاهرة، د.ط، د.ت.

125. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت 626هـ)، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، 1987.

126. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت 502هـ)، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.

127. مقالات عن البنية الأسلوبية، عرض وترجمة دانيال في فلاماريون باريسر، نقلا عن: الدلالات الأسلوبية البنيويّة بين عبد القاهر الجرجاني وميكائيل ريفاتير، طاطة بين قرماز.

128. مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي، اتحاد الكتاب العربي، 1990.

129. مقدمة في علم الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، دار المصورات، ط2، 2021.

130. من النص إلى الواقع (تكوين النص)، حسن حنفي، مركز الكتاب للنشر، مصر، ط1، 2004م.

131. المناهج الأسلوبية والنظريات النصية، عبد الله العنبر، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد: 34، ملحق: 4، 2016: 1815.

132. منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني(ت 648هـ)، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986.

133. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الحسن بن بشر الآمدي، تح: السيد أحمد صقر – عبد الله المحارب، دار المعارف – مكتبة الخانجي، ط4، 1994م.

134. ميزان الحكمة (اخلاقي، عقيدي، اجتماعي، سياسي، اقتصادي، ادبي)، المحمدي الريشهري، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ايران، د.ط، د.ت.

135. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مطبعة ثامن الحج عليهم السلام، ايران – قم، ط1.

136. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حزم الاندلسي (ت 117هـ)، تح: د. عبد الغفار سليمان البنداوي، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، ط1، 2016.

137. الناسخ والمنسوخ، محمد بن شهاب الزهري (ت 124هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ – 1998م.

138. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، حميد الدين عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر الأنصاري الفراهي(ت:1349هـ)، الدائرة الحميدية، الهند، ط1، 2008م.

139. النقد البنيوي بين لبنان وأوربا، فؤاد أبو منصور، دار الجبل بيروت، 1985.

140. النقد البنيوي، الخلفيات اللسانية والاسس المعرفية والخصائص، محمد بالقاسم، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009 .

141. النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ)، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، 1976م.

142. نهج البلاغة، وهو ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، ط1، 1431هـ-2010 م.

143. نهج البيان عن كشف معاني القرآن، محمد بن الحسن الشتبيّني (ت ق7 هـ)، تح: حسين دركاهي، مطبعة الهادي، ط1، 1419هـ.

144. نيل المرام من تفسير آيات الاحكام، تصنيف: محمد صدّيق حسين خان، المطبعة الرحمانية بمصر، 1347هـ - 1929م.

145. الوجه والقفاص في تلازم التراث والحداثة، حمادي صمود، تح: توفيق بكار، الدار التونسية للنشر، ط1، 1988م.

146. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان (ت 150هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، مكتبة الرشد ناشرون، العراق - بغداد، ط2، 1432هـ - 2011م.

147. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن احمد الواحدي (ت 468هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، الدار الشامية- بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م.

148. الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د. ط، 1966م.

Abstract

Modern stylistic studies have received great attention from scholars and divers in the sciences of rhetoric, criticism, and linguistics. However, examining stylistic trends and what can be benefited from them, I do not claim that it is few, except that it has not taken the breadth of what other studies have taken, in addition to the fact that structural stylistics is one of the approaches that has He had a great impact on reading texts and examining their meanings. Perhaps the most prominent person who studied and developed mechanisms for structural method was Jacobson, and then came Riffaterre. A questioner may ask: Why did the researcher stop at Riffaterre's method, ignoring what Jacobson brought? The structural method that Jacobson came up with goes into the depths of language more than it enters into the seas of literature. It works according to the mechanisms of language and the connotations that those mechanisms lead to. As for what Riffaterre came up with in terms of the literaryness of literature and working on the articulations of the text to find out the meaning, it was consistent with what the researcher was aiming for in terms of standing. On the basis of this approach, perhaps a questioner may ask again: What is the motive behind choosing the book Al-Mizan as an example for this study? The study also passed through its folds from research into the heritage, then to the modernist, then to the modernists who worked on the Qur'anic text, and showed the features and manifestations of structural stylistics in it. Therefore, one of the most mature and most consistent experiments, and even the most representative of the structural stylistic approach, was the interpretation of the scale for working on the text according to the context and according to the levels of the language. Or standards of language, as Rifattere called them, in addition to the deliberate reader's judgment in

deducing meanings and delving into the text itself by interpreting the Qur'an by the Qur'an, as the author of Al-Mizan stated. Perhaps this takes us to the fact that the author of Al-Mizan came with an approach to interpreting the Qur'an that no other scholar had stopped at before. I claim to be the first to He stopped at this approach, which is the (structural stylistic) approach. However, the terminological system differed between the author of Al-Mizan and Rifater. What Rifater called the general reciter was stated by the author of Al-Mizan by saying: (I say), and what Rifater called the structural stylistic came to the author of Al-Mizan under the title (the tongue of the verse) and it was Its mechanisms are the mechanisms of theoretical knowledge of giving meaning to a word according to a belief in which the author of the text believed. Perhaps I am not wrong if I say that the author of Al-Mizan had preceded the structural stylistic approach and developed his mechanisms and worked on them and stopped at the meanings of the verses and surahs before Rifaatir. However, the terminological system differed between both of them and what The researcher was helped to understand all of this by choosing a working mechanism through which he could comprehend even a small portion of this modern approach to reading and interpreting the Qur'anic text.

A questioner may ask: What helped the researcher to explore the depths of such a topic, and what method did he follow in this study? To answer these questions, we say: What helped the writer in revealing the secrets of texts and accessing their meanings is the adoption of the analytical and descriptive approaches, which are not hidden from every student because they have a great impact on such topics, in addition to relying on the mechanisms of criticism in determining the intended objectives of the texts. And deal with it from a purely critical point of view.

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Karbala

College of Islamic Sciences

Department of Arabic Language/ Qur'an Language and Literature

Structural stylistics is an interpretive approach, al-Mizan by Tabatabai, as an example

A Dissertation thesis submitted to the Council of College of Islamic Sciences/ University of Karbala as a Part of the Requirements for Obtaining the (Ph.D.) degree in Language and Literature of Qur'an

Written by

Karrar Jawad Kadhem Al-Mafraji

Student

Karrar Jawad Kadhim Al –Mafraji

Supervisor

Professor Dr. Amjad Hamid Al – Fadel

1445 A.H. **2024A.D**